العلاّمة الشيخ عبد اللطيف برّي

الزواج والأسرة في الإسلام

الحقوق والواجبات والآداب



المجمع الإسلامي الثقافي
ديترويت - أمريكا

دار المحجة البيضاء



الزواج والأسرة في الإسلام

الحقوق والواجبات والآداب


بسم الله الرحمن الرحيم

الزواج والأسرة في الإسلام

الحقوق والواجبات والآداب

العلّامة الشيخ عبد اللطيف برّي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المقدمة

باسمه تعالى شأنه وله الحمد، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الأمين وآله وصحبه الطيبين

يضم هذا الكتاب مجموعات منسقة من المقالات التي نشرناها باللغتين العربية والإنكليزية في صحيفة (العصر الإسلامي) Islamic Times الصادرة في الولايات المتحدة الأميركية ـ ديترويت، في مطلع القرن الحادي والعشرين حول الزواج والأسرة مراعية للتجربة العصرية التي تخوضها الأسرة العربية والمسلمة والأسر المحافظة في الغرب في أحدث حياة عصرية.

وقد بدأنا البحث في هذا الكتاب من المرحلة الأولى التي تسبق الزواج، فتحدثنا عن: أهميته، والتعارف بين الشاب والفتاة، وموضوع الحب، ومواصفات الشريك المناسب، وكيفية التعرف على حقيقة الخاطب. وتحدثنا عن: الخطبة، وديانة الخطيبين، وعن مدى تدخل الحظّ والنصيب، أو التدبير والحكمة في سلامة الاختيار ونجاح الزواج أو فشله.

ثم دخلنا في المرحلة الثانية فتحدثنا عن: عقد الزواج، والعرس، والزفاف، والمخدع الزوجي، وحق الاستمتاع للطرفين.

ثم عن حقوق الزوجين وواجباتهما، والمعاشرة بالمعروف، وحدود المعروف، والقوامة، وحدود الطاعة، وعمل الزوجة خارج البيت. ودرسنا فنّ الحياة الزوجية وطرق إسعادها. .

ثم مررنا بالمرحلة الثالثة وهي الخلافات الزوجية وحلولها، ودققنا في مواضيع: الغيرة، وتعدد الزوجات، والخيانة الزوجية، والعنف المنزلي، والصدام بين الزوجين. وأشرنا إلى ذلك في عدة مناسبات من الكتاب بحسب اختلاف زاوية الطرح والحلول المقترحة.

ثم وصلنا إلى المرحلة الرابعة وهي: دراسة موضوع الطلاق وتأثيره وإيجابياته وسلبياته وأحكامه. ودرسنا قضية تصلّب الزوج برفض الطلاق، وطلاق الحاكم الشرعي والعالم المجتهد.

ورأينا أن الفائدة تكتمل بإدخال فصل آخر يتعلق بتربية الأولاد ودور الوالدين، وأهمية تماسك الأسرة في نجاحها، وكيفية حماية الأسرة العصرية.

وهكذا وجدنا أن العمل يكتمل بهذه المنهجية والتوزيع تقريباً.

ولقد دعمنا هذه الدراسة ووثقناها بالآيات والأحاديث النبوية وأخبار أهل البيت ﷺ وتحليلات متخصصين وتوجيهاتهم. وما حصل من تكرار وإعادة في بعض الشروح اقتضته طبيعة البحث والمناسبة، علماً أن فصول الكتاب هي مقالات نُشرت موزّعة على مراحل استدعت الإفاضة في بعض المواضيع لأهميتها وحساسيتها، ولكنا جمعناها على عجل

للطبع مع إلقاء نظرة سريعة لم يتح لنا الوقت أكثر منها، حرصاً على الإسراع في نشر العمل ليتلقى المزيد من النقد والملاحظات، وليساهم بدور في تقدم الأسرة الفاضلة، آملين أن يشكل فعلاً إضافة إيجابية في هذا الحقل والله تعالى ولي التوفيق.

عبد اللطيف بري
ديربورن ـ ديترويت ـ الولايات المتحدة الأميركية
١٨ ربيع الثاني ١٤٢٩ / ٢٤ نيسان ٢٠٠٨



الزواج.. خيرٌ لابدّ منه

هل الزواج شرٌ لابدّ منه؟:

يتعاطى بعض الناس ـ متزوجين وغير متزوجين ـ المثل الشائع: (الزواج شرّ لابدّ منه) وكأنهم يتداولون آية منزلة، أو سنّة محقّقة، من دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء البحث في مدى صحة هذه المقولة أو خطئها.

فمع أننا نتفق على أن أكثر الأشياء في هذه الحياة الدنيا قائم على النسبية، فليس ثمة أمر ينطوي على خير مطلق إلّا القليل، وليس ثمة أمر هو شرّ مطلق ـ وان بدا كذلك ـ وانما هي حالة عوانٌ بين هذا وذاك، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

الزواج والعزوبيّة في كفّتي الميزان:

لكننا إذا أردنا اختيار شيء ـ والزواج اختيار ـ فإنّنا لابدّ أن نضع في إحدى كفتي الميزان سلبيات ذلك الشيء، وفي الكفة الثانية إيجابياته لنرى أي الكفتين أرجح، فإذا

(١) البقرة: ٢/٢١٦.

رجحت كفّة السلبيات أحجمنا، وإذا رجحت كفّة الإيجابيات أقدمنا..

تلك مسألة عقلية لا يتناطح عليها كبشان ـ كما يقال ـ فهل الزواج شرٌ كلّه كما يتردد على ألسنة البعض؟

إن أفضل إجابة على هذا السؤال يمكن استحصالها من المقارنة بين (العزوبة) و(الزواج).

هل سلبيّات الزواج هي حقاً سلبيّة؟:

قد يحلو لمن يصف الزواج بأنّه شرّ أن يترحّم على أيام العزوبة التي يعتبرها أيام الانعتاق والانطلاق والحرية، في حين يرى أن الزواج (قفص) وليس (جنة) وأنه (قيود) وليس (بناءً) للحياة المشتركة المسؤولة.

وبالتأكيد، فلو نظرنا إلى ما يفتقده الأعزب من بعض حريته في الزواج لرأينا أنه كان بالأمس القريب يخرج من البيت متى يحلو له، ويعود ساعة يشاء، أي أن وقته كان حراً أو مفتوحاً أكثر. أما اليوم، وبسبب الالتزامات التي تتطلبها الحياة الزوجية، فإنه لا يجد تلك السعة في الوقت التي كان يجدها أيام عزوبته.

وهذا أمر غير مقتصر على الزواج، فأي التزام يتعهد به الإنسان يقلّص مساحة حريته، فالتزامك بالعمل في دائرة معينة يقتضي أن تحدّد أوقاتك على ضوء متطلبات العمل الذي سيحرمك من (حرية) سابقة على العمل، وهكذا في أي شأن من شؤون

الحياة، فتلك هي طبيعة الحياة في شتى مجالاتها وحقولها، فأيّما (توسعة) في أمر يلازمها من الجهة الثانية (تضييق) وما من شيء إلّا ويجري على حساب شيء آخر، والحقوق تستلزم الزامات.

وقد يتذرع البعض أن الحياة الجديدة مكلفة بأعبائها، فهي لا تكلّفه وقته فحسب؛ بل تستدعيه أن يعمل أكثر ليوفّي بمتطلبات الحياة الزوجية، وأن يتحمّل مشاكل جديدة ربما لم تكن من قبل، وأن يستعد لتربية الأولاد والسهر على راحة الأسرة، وما إلى هناك من متطلبات.

هذه وغيرها من الأعذار أو الأسباب التي تدعو البعض إلى اعتبار الزواج شرّا، تمثل نظرة قاصرة.

إنها النظر بعين واحدة .. ومن زاوية واحدة، إنها نظرة سلبية إلى الزواج، تحمل الكثير من إساءة الفهم لهذه الشراكة الرائعة، وما هي إلّا ترديد لمقولات لا تقوم على أساس قويًّ غالباً، ولا تصمد إزاء نقدٍ إلّا قليلاً.

أكثر شرار الأمّة عزّابها:

إن الحديث الشريف الذي يقول: «**أكثر شرار أمّتي عزّابها**»[(١)] يؤكّد لنا أنّ الشرّ هو في العزوبة وليس في الزواج، ويقابله الحديث عن المصطفى ﷺ: «**من تزوّج أحرز نصف دينه فليتقّ الله في النصف الآخر**»[(٢)].

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٢٢. ح٤٢. ب١.
(٢) المصدر نفسه. ص٢١٩. ح١٣. ب١.

وإحراز نصف الدين ربح كبير، ومن ضمنَ نصفاً أَوْسَعَه المجال أن يكسب بعض النصف الآخر أو كلّه. كيف؟

إن الزواج بما هو اقتران شرعي بين فتاة وشاب، أو بين رجل وامرأة، يحقّق من الفوائد ما لا يقاس ولا يقارن بما في العزوبة من (**صداع الرأس**) والوقوع في الشبهات والمحرّمات.

ففي الزواج (**سكَنٌ**) والأعزب أينما تنقّل فإنّه لا يجد سكناً أكثر أماناً من بيت الزوجية، ولا راحة كتلك التي يستشعرها مع الزوجة الحبيبة وشريكة الحياة الأنيسة الطائعة الوفيّة..

وللأعزب أن يضع في حسابه، أن أعباء الحياة ثقيلة، ولابدّ لحملها من كاهلين، ومجربٌ هو الشاعر الذي يقول: (**فلذيذُ العيش أن نشتركا**).. في حلوها ومرّها.. في سرّائها وضرّائها.. وفي كلّ شؤونها وشجونها..

فحتى الدمعة تحتاج إلى أن تركن إلى الدمعة، وحتى الآهة تبحثُ عن كتف آهة أخرى لتلقي برأسها المثقل عليه.. ناهيك عن الابتسامة التي تجد في وجه الحبيب إشراقها، والكلمة الرقيقة التي تجد في نفس الشريك صداها.

الزواج مودّة:

والزواج (**مودّة**) والحاجة إلى الحبّ حاجة أساسية، فنحن بحاجة إلى أن نُحِبّ، وبحاجة مماثلة إلى أن نُحَب، وملتقى الزواج يهيء لنا الفرصة السانحة إلى أن نتبادل الحبّ في أنصع وأطهر وأجمل صوره..

والحب ليس مجرد لقاء على سرير، ولا هو عاطفة مشبوبة تنطفئ بلقاء جسدين، ولا هو قصيدة شعر قد نملّ من قراءتها بعد أن نردّدها عدّة مرات.. إنّه (مودّة)، والمودة عاطفة أطول عمراً من (الحب)، إنّها الحب بالمعنى الحسيّ.

فهي استشعار للذة الحياة بالقرب من إنسان يفهمني وأفهمه.. يتحسّسني وأتحسسّه.. يفرح لفرحي وأفرح لفرحه.. ويحزن لحزني وأحزن لحزنه، ولذلك فإنّ حصر الحب في العلاقة الجنسية ـ كما يتصور البعض ـ لا يمثل سوى الميل الجسدي كاندفاع الجائع إلى الطعام، فإذا ما شبعت البطن عافته.

ولك أن تسأل منْ تذوّقوا حلاوة الزواج، ليخبروك أنّ العلاقة بين الشريكين أكثر حميمية من المعاشرة الجنسية، ولسنا هنا نقلل من أهميتها ودورها في إسعاد الزوجين وبعث الحرارة في جسد الحياة الزوجية بين حين وآخر، لكننا نتحدث عن (المودة) التي تبقى حتى بعد انطفاء النيران، وانفصال الجسدين، وخمود الرغبة، تربط بينهما برباط مقدّس لا تنفصم عراه.

والزواج (**رحمة**)، ولولا أنْ منّ الله به علينا لاستحالت أو لكانت الحياة جحيماً لا يطاق، سواء بالنسبة للمرأة أو بالنسبة للرجل.

ولذلك كان الزواج (**آية**) من آيات الله الكريمة والعظيمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

---

(١) الروم: ٣٠/٢١.

هذه هي بعض أوجه المقارنة بين العزوبة والزواج.. فإذا كانت العزوبة قلقاً وضجراً وسأماً وأوقاتاً فارغة، فإنّ الزواج ألفة وأنس ومودة وعيش مشترك..

وإذا كانت العزوبة قفراء موحشة..

فإنّ الزواج جنّة خضراء ترفل بالرياحين والزهور والفراشات الملوّنة.

وإذا كانت العزوبة آلاماً نفسيّة وضغوطاً جسديّة..

فإنّ الزواج راحة نفسيّة، واطمئنان قلبيّ، وسكينة تظلّل رمضاء الحياة بخيمة من عطاء مشترك.

لهذا، ولغيره، نشأت الحاجة إلى تأليف كتاب نتناول فيه الحقوق والواجبات والآداب في الحياة الزوجية منذ أن تنبثق كفكرة في رأس الشاب أو الفتاة، وحتى تختمر وتصبح قراراً يدفعهما للبحث عن شريك الحياة المناسب، إلى حين دخولهما عشّ الزوجية، وتواصل مشوار رفقة العمر في الرحلة السعيدة بعد الزواج، ليعيش كل منهما روائع الحياة التي من شأنها أن توثّق العلاقة بالآخر وتسعد رحلة العمر.

وندرس معهما أيضاً كلّ ما يمكن أن ينجم من مشاكل ومنغّصات تعكّر صفاء الحياة المشتركة السعيدة، والتي قد تصل أحيانا إلى درجة الفصام والافتراق والطلاق، وقد تكون بمثابة الملح في الطعام كما يحلو للبعض أن يصفها.

القانون لا يحمي المغفّلين:

إنّ غاية ما ننشده في هذا البحث هو أن نضع ثقافة الحياة الزوجية بين يدي الزوجين السعيدين، ذلك أن معرفة (حقوق) هذه الحياة سوف يجعل كل طرف في الزواج مسؤولاً عن الوفاء بحقوقه إزاء الطرف الآخر، فكما أن للزوج حقوقاً؛ فإنّ للزوجة حقوقاً أيضا.

ومن بين سوءات المجتمع الذكوري أن غمط حقوق المرأة، حتى تصورت بعض النساء الجاهلات أن لا حقّ لهنّ على الرجل، وأنّ للرجل عليهنّ كلّ الحقوق، وكما في لغة القضاء فإنّ **(القانون لا يحمي المغفّلين)** فلا يصحّ أن تبقى المرأة جاهلة بحقوقها، وهي ليست منّة من أحد، وإنّما تفضّل الله سبحانه وتعالى بها عليها، ولا يحق للزوج أو لغيره إنقاصها أو تجاهلها أو طمسها.

ومن سوءات المجتمع غير الذكوري أن طمس كثيراً من حقوق الرجل وتغافل عنها:

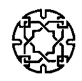
لذا من الضروري التنبيه على تلك الحقوق من جهة، والواجبات من جهة أخرى على كلٍّ من الطرفين، المرأة والرجل.

كما أن معرفة **(الواجبات)** تستدعي أن يفهم كلٌ من الزوجين أن ثمة التزامات لابد أن يقوما ويفيا بها، وهي واجبات موزّعة على عاتق الزوجين، فلا يجوز أن يُلقي أحدهما كُلّه على الآخر.

وأما **(الآداب)** فقد لاحظنا في دراستنا أن إهمالها، أو التقليل من أهميتها، يشكّل سبباً من أسباب فتور العلاقة الزوجية،

وعاملاً من عوامل نشوء الخصومات الأسرية، وأن الأخذ بها سبيلٌ من سبل ترسيخ جذور المودة بين الشريكين.

وفي مشوار رحلتنا مع الحياة الزوجية التي جهدنا أن نوفر لها في كتابنا هذا كل سبيل لتكون هانئة سعيدة، نقف ـ في فصل لاحق ـ مع تشكيل الأسرة وتربية الأولاد وقفة متلبّثة، ذلك أن من كمال سعادة الزوجين أن يرزقا بأطفال أصحّاء في أبدانهم ونفوسهم وعقولهم وسلوكهم، وهذا ما راعينا البحث فيه، سائلين المولى القدير أن ينفع بهذا الجهد أجيالنا العصرية من الجنسين، إنه تعالى سميع مجيب.





الفصل الأول

بناء نواة المجتمع



الزواج مقوّم الأسرة، والأسرة نواة المجتمع

قبل الزواج:

إن هدف الزواج في الإسلام، كما هو تحقيق السعادة والهناء والنجاح، فإنّه يهدف في العمق إلى بناء نواة المجتمع الصالح..

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

فلسفة الزواج في الإسلام:

إن فلسفة الزواج في الإسلام وحكمته قائمة على (السكن) بكل ما في الكلمة من معنى السكن الروحي والاطمئنان القلبي.

ووسيلة تحقيق هذه الفلسفة والنهاية العظيمة هي (المودة والرحمة) المتبادلة..

فالسكن فلسفة الزواج وحكمته، والمودة والرحمة وسيلتاه.. وإذا انتفت المودة، وتبددت الرحمة، وتناقص الحب؛ تحطّم

(١) الروم: ٣٠/٢١.

السكن وتلاشى، وبدأ النفور والكراهية، وحلَّ الحقد والرغبة بالانتقام أحياناً..

وأعلى مستويات الحب هو العشق، ولعل القرآن عبَّر عنه بكلمة (**مودّة**) وأدنى مستوياته هو (**الرحمة**) فإن لم يكن عشق بين الزوجين فالمطلوب أدنى المستويات وهو الرحمة الإنسانية.. فإن اضمحل العشق بسبب سوء النظر أو الطباع أو الجهل، واضمحلت الرحمة بسبب التخاصم والمناكدة والكره والحقد.. تعرّض (**السكن**) للانهيار، واستحالت الحياة الزوجية جحيماً يفكر كل طرف فيه بالفرار منه بأية وسيلة، وربما اللجوء إلى الوسائل غير الشرعية أيضاً. وهنا تنتفي الحكمة من الزواج، ويفقد أعظم بناء في الإسلام مبرره..

ولما كان هدف الزواج السعادة والهناء والاستقرار، فهو لا يتاح لمن لا يقدر على فهم طبيعة وشروط ونفقات وواجبات الزواج، لأن الزواج حينئذ ينتج عكس المطلوب، ومن لم يكن مؤهلاً لذلك فالطريق أمامه ما يرسمه القرآن: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[1].

عن النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة** (أي القدرة على الزواج بكل معنى الكلمة) **فليتزوج، ومن لم يستطع؛ فعليه بالصوم فإنه له وجاء** (أي وقاية من الانحراف)»[2].

---

(١) النور: ٢٤/ ٣٣.

(٢) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٢٠. ح٢٠. ب٢.

وعنه ﷺ: «**مَن تزوّج؛ فقد أعطي نصف السعادة**»[١].

ضمانات النجاح:

لكي يكون الزواج ناجحاً ومحققاً للسكن والسعادة، وضع الإسلام ضمانات لنجاحه من خلال مقدمات الزواج الضرورية، كحسن اختيار الزوجة، وجواز النظر إلى المخطوبة، ومن خلال مسؤوليات الزواج من الداخل كحقوق العشرة والتآلف.

وصعّب الإسلام الطلاق وشدّد لهجته فيه، لأنّه يهدم الأسرة ويشرّد الأولاد، ولذلك جعل دونه خطوات:

- **منها أن يصبر الرجل ويتحمّل إن كان قادراً**: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢].
- **التحكيم**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[٣].

فإن لم يفد كل ذلك، ولم ينفع، ولم يشفع؛ فالطلاق آخر الدواء، وقد أجازه الإسلام، وجعل فيه مراحل لتكون هناك فرصة للإصلاح والإبقاء على رابطة الزوجية التي قامت على كلمة الله.

فألزم الطلاق في طهر لم تتم فيه مواقعة، وجعل له عدّة، حتى يمكن لكل من الطرفين أن يعيد حساباته خلال هذه الفترة..

(١) المصدر نفسه. ح٢٢. ب٢.
(٢) النساء: ٤/ ١٩.
(٣) النساء: ٤/ ٣٥.

أحبّه بعمق روحي وعرضها وطولها!:

إن موقع الزوجة إلى الزوج في الإسلام موقع النفس، وهو أقرب المواقع على الإطلاق: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾.. ولهذا فإنّ اقتلاعها منه اقتلاع لجذور نفسه من بدنه.. واقتلاعه منها كأنه اقتلاع لنفسها من صميم كيانها.

جاء عن النبي ﷺ: «**ما يمنع أحدكم أن يتزوج؛ لعلّ الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلّا الله**»[1].

وفي قبال هذا الحثّ والتأكيد على الزواج، نهى الإسلام عن الترهبن والعزوف عن الزواج، وعن التبتّل والكبت، حيث يذكر أن:

أحد أصحاب النبي ﷺ وهو عثمان بن مظعون حرّم على نفسه النساء ليتفرّغ للعبادة، وهجر زوجته وتدعى (الحولاء) في المخدع الزوجي، وصدف أن زارت هذه المرأة بيت السيدة عائشة زوجة النبي، فقالت لها السيدة عائشة ومن معها من نساء النبي ﷺ:

مابالك يا حولاء متغيرة اللون، لا تمشطين ولا تطيبين؟!

فقالت: وكيف أتطيب وأمشّط وما وقع عليَّ زوجي، ولا رفع عني ثوباً منذ كذا وكذا!!

وإذا بالرسول ﷺ يدخل، فأخبرته السيدة عائشة بالأمر، فدعا بزوجها وسأله، فقال: إني تركتها لله لكي أتخلّى للعبادة!

---

(١) بحار الأنوار. ج ١٠٣. ص٢٣٥. ح٣٦. ب١.

فأمره النبي ﷺ أن يعاشر زوجته وأن لا يهجرها..

وفي اليوم الثاني رأت السيدة عائشة زوجته (الحولاء) ممتشطة مكتحلة منطيبة فسألتها: ما لك يا حولاء؟

فقالت: أصابنا ما أصاب الناس!!

فقال ﷺ: «ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم. ألا إني أنام وأقوم (أي أقوم الليل للعبادة) وأفطر وأصوم (وفي خبر آخر) وأتزوج النساء، وتلك سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس منّي»[١].

ويروى أن «امرأة دخلت على الإمام الصادق عليه السلام وقالت له: أصلحك الله إني امرأة متبتلة ..

فقال: وما التبتُّل عندك؟

قالت: لا أتزوج.

قال: ولِمَ؟

قالت: ألتمس بذلك الفضل..

فقال: انصرفي! فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة أحقَّ به منك، إنه ليس أحدٌ يسبقها إلى الفضل»[٢].

أهداف الزواج في الإسلام:

من خلال ذلك كلّه، نخلص إلى أنّ أهداف الزواج في الإسلام هي:

---

(١) باختصار عن عدة مصادر منها: (محمد رسول الحرية) للشرقاوي.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٤. كتاب النكاح. ب٨٤. ص١١٨١١٧.

١ ـ تحقيق الاستمتاع، وتلبية الرغبة الجنسية. قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[(١)].

٢ ـ تحقيق السكينة النفسية والنضوج، واستكمال الذات بالآخر.. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى أيضاً: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[(٣)].

٣ ـ تحصين النفس بالعفّة من الانحراف والفساد.

٤ ـ استكمال الدين في تهيئة الأرضية الخصبة لنمو الفضائل الأخلاقية: «**من تزوج فقد أحرز نصف ـ أو ثلثي ـ دينه، فليتقِ الله في النصف أو في الثلث الآخر**»[(٤)].

٥ ـ بناء الأسرة وإنجاب الأولاد.

٦ ـ تكثير الدعاة إلى الله، وربط الزواج بالهدف الرسالي، فلقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً؛ لعلَّ الله يرزقه نسمةً تثقل الأرض بلا إله إلّا الله**»[(٥)].

وهذا لا يعني أن كلّ هذه المقاصد يجب أن تتوفر مجتمعة وإلّا لم يصح الزواج، بل يكفي توفر بعضها ولو كان الزواج

---

(١) النساء: ٤/ ٢٤.
(٢) الروم: ٣٠/ ٢١.
(٣) البقرة: ٢/ ١٨٧.
(٤) بحار الأنوار. ج١٠٠. ص٢١٩. ح١٤.
(٥) وسائل الشيعة. ج١٤. ص٣. ب١. ح٣.

للأنس المتبادل بين الزوجين لا لإنجاب الأولاد؛ لكفى شرعاً وصح العقد.

وفي إجابتها على سؤال: لماذا يتزوّج الناس؟ تقول د. سناء الخولي:

(يتزوّج الناس لأسباب عديدة، منها: تبادل الحبّ مع شخص آخر، والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل، وإنجاب الأطفال، وتحقيق الأمن العاطفي، والاستجابة لرغبات الوالدين، والهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين، أو من موقف غير مرغوب فيه، أو الحصول على المال والرفقة، أو الجاذبية الجنسية، أو طلباً للحماية والشهرة، أو الوصول إلى وضع اجتماعي معين، أو الوفاء بالجميل، أو الشفقة، أو النكاية، أو المغامرة، واهتمامات أخرى عديدة لا نهاية لها)[(١)].

وقد تلتقي بعض هذه الأهداف بالأهداف الإسلامية للزواج، لكنّ بعضها الآخر لا يعدّ أهدافاً ثابتة، وإنّما هي أهداف مرحلية أو مؤقتة ربما تنتهي بانتهاء الدافع وانتفاء السبب الموجب لها، فما لم يقم الزواج على أهدافه الثابتة المعروفة، فإنّه يكون مجرد إشباع رغبة جنسيّة. وهذا أيضاً أجازه الإسلام وأقرّه لأن ميول الناس ورغباتهم في هذا الشأن تختلف.

لقد أحبت الشاعرة (اليزابيث باربت) زوجها (روبرت براوينج) وقد ساعدها على الشفاء من إعاقتها، فاستعادت قدرتها على المشي..

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية. ص١٤١ ـ ١٤٢.

تقول: ما هو حبيّ له؟

دعني أعدّد الطرق: أحبّه بعمق روحي وعرضها وطولها!

وهذا الحب ذو الاتجاهات الثلاثة هو الذي يربط أيّ زوجين يُحسنا اختيار بعضهما البعض برباط مقدس وثيق، كلّما أوشك أن يتمزق أو يتصدّع؛ تدخلت يد الرحمة لإعادة ربطه من جديد، إلّا إذا أبى الزوجان وصلاً.

ولهذا نرى أن بعض الأزواج أو الزوجات يرتكب حماقة أو جريمة إذا خانه الآخر.. أمّا الإسلام فقد ربط الزواج بالأهداف العظيمة والطموحات الكبيرة لتطوير العالم وتحقيق عدالة الله في الأرض.

إن هدف الزواج في الإسلام هو السكن الروحي والمحبة والدفء العاطفي، وفوق ذلك هو لنشر عدالة الله في الأرض أيضاً إذا استطعنا أن نوجهه إلى أبعد هدف مقدّس. وإن كان كلّ ذلك من كماليات الزواج وليس من شروط صحة العقد.

أجمل أيّام الزواج ما كان في العمر المبكّر:

على الآباء والأمهات أن يعرفوا أن لأولادهم رغبات جنسية، وأنهم بحاجة إلى الزواج والحصول على الشريك، وأن أحدهم يكاد لا ينام الليل وهو يحلم بالجنس الآخر.. فالشاب يستغرق بالتفكير في فتاة أحلامه، والفتاة كذلك لا يشغلها شيء أكثر من التفكير بفتى أحلامها. والأحاديث بين الشبان تدور في أكثرها حول الفتيات وبين الفتيات حول الشبّان!

وقد ورد عن النبي ﷺ في وصف العازبين: «**الرجل العازب مسكين وان كان ثرياً، والمرأة العزباء مسكينة وإن كانت ثرية**»[١].

لذا فإنّ على الأهل مساعدة الولد في الحصول على الشريك المناسب، والتعجيل بذلك حتى تتم فرحة العمر لابنهم أو ابنتهم، وهي بالتالي فرحتهما الكبرى أيضاً، فينبغي عدم تجاهل حاجة الفتى أو الفتاة إلى الزواج إن استطاع الأهل التبكير في ذلك، والعمل على توفير الضمانات اللازمة لديمومته وصيانته..

إن أجمل أيام الزواج ما كان في العمر المبكر، حيث نشاط الفتوّة وفرح الحياة وحيويّتها، قبل أن ينطفئ وهج الشباب وتميل الشمس للغياب، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ**»[٢].

إن الزواج المبكر يهيء فرصة التوافق بين الزوجين بسرعة أكثر من الزواج المتأخر. فالعانس والعانسة يحتاجان إلى وقت طويل للتفاهم والتكيف، حيث تخبو في داخلهما النار، وتضعف الطبيعة، وتسوء الطباع، ويزداد السخط على الحياة والحظ العاثر!!

وعلى كل الأحوال، فإنّ الزواج يحسّن المستوى الصحي للإنسان، ويملأ حياته بالاطمئنان والسكينة والاستقرار، ويقلّل من

(١) العلاقات الزوجية. ص١٧.
(٢) البحار. ج٧٤. ص٨٠.

سخط الإنسان الفاشل، ويبعث على الحيوية والنشاط، ويدفع إلى الجد والكد والنجاح.

وما أجمل قول تلك الفتاة العربية وهي تهدّد والدها الذي أخّر زواجها بالوقوع في الغرام والجنون إن لم يزوّجها، وتعرب عن حنينها إلى الزواج، وتحثّ الشباب أن يطلبوا يدها:

ألا أيها الفتيان إن فتاتكم دهاها سَماعُ العاشقين فحنَّتِ
فدونكم أبغوها فتىً غير زُمّل وإلّا صبت تلك الفتاة وجُنّتِ(1)

وهذه الرغبة الصريحة إن دلت على شيء فإنما تدل على الشوق الدفين في أعماق كل شاب وفتاة للاقتران بشريك يلبي رغباته، ويطفئ لهيب أشواقه، وإلّا سلكا طريقاً منحرفاً يعود عليهما وعلى أهلهما وعلى المجتمع بالسوء والفساد، وهذا معنى الحديث النبوي: «**إلّا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفساد كبير**» أي يترتب على ترك الزواج والتزويج مفاسد وعواقب وخيمة.

عوائق الزواج.. وما أكثرها!!:

غير أنّ العوائق التي تقف في طريق الزواج، والعصي التي تعترض عجلته كثيرة، يمكن الإشارة إلى أهمها على نحو الإيجاز(2):

١ - التوقعات اللامحدودة والخيالية للشبان وللفتيات ولأهلهما على حد سواء.

---

(1) الزمّل: الضعيف، الجبان. طرائف ونوادر. ج١. ص١٨٧.
(2) عن كتاب (الشباب ومشاكلهم الجنسية) ناصر مكارم الشيرازي. ص٤٢.

٢ ـ المهور العالية والقاصمة للظهر.

٣ ـ الترف الزائد الذي تطالب به بعض الأمهات والأقارب والأصدقاء.

٤ ـ التشريفات الزائدة والتباهي والتظاهر والافتخار أمام الناس بمراسم الزواج الباذخة.

٥ ـ التذرّع بعدم التكافؤ العائلي، أي مراعاة الفوارق الطبقية.

٦ ـ الشبق الملتهب الذي لا يمكن السيطرة عليه أحياناً، ما يوقع الطرفين في اختيار الطرق المنحرفة لتنفيسه.

٧ ـ الوسواس الخارج عن الحد وانعدام الثقة.

كما يشير مؤلف (الشباب ومشاكلهم الجنسية) إلى أسباب تأخير الزواج في العصر الراهن ويحددها بأربعة:

١ ـ طول مدة التحصيل الدراسي.

٢ ـ إمكانية حصول الارتباطات اللامشروعة.

٣ ـ عدم تأمين احتياجات الحياة (كما يهوى القلب) وثقل مصاريف الزواج.

٤ ـ انعدام الثقة بين الشباب الذكور والإناث.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الزواج المبكر أو المتأخر قد تكون له أسبابه الذاتية وليس الموضوعية فقط، أي أن لكلّ عائلة ولكل شاب وفتاة ظروفه التي قد تعجّل بزواجه أو تؤخره، لكن المنصوح

به إسلامياً وطبيّاً هو التعجيل بالزواج إن توافرت إمكاناته المناسبة.

فيما يرى بعض علماء النفس أن الزواج المبكر قد يوفر فرصاً طيبة لعلاج الاضطرابات النفسية، لكنهم يرون أن قدرة الشاب أو الفتاة في مطلع شبابهما على إدارة دفة الحياة الزوجية ضعيفة، ويطرحون لذلك علاج السكن مع عائلة أحد العروسين، حتى يتمكنا من الحصول على النضج الكافي.

الحبّ وحق التعارف بين الجنسين:

لم يستخدم الإسلام في تشريعاته كلّها الإكراه أو التحريم فيما يسبب للإنسان حرجا ومشقة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]. ولم يلجأ قطّ إلى الحالة التي يصفها الشاعر بقوله:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء

فما أغلق عليه باباً الّا وقد فتح له باباً آخر يجد فيه متنفساً، وتلك هي رحمة الله اللطيف بعبده الضعيف.

فمنذ أن يبدأ الشاب يستشعر حاجته الحقيقية إلى فتاة يقترن بها اقتراناً شرعياً، أي من حين تبدأ الغريزة الجنسية ـ وهي من أقوى الغرائز وأشدّها على الإنسان ـ بقرع جرس الإنذار وبالإلحاح عليه لتلبيتها، وهو دائم التفكير في تأمين تلك الحاجة.

وهكذا هي الفتاة، فمن حين سن المراهقة تبدأ تفكّر بأنها ستصبح زوجة وأماً ذات يوم، ومن هنا تنشأ علاقة الحنين التي

---

(١) الحج: ٧٨/٢٢.

تربط بين الجنسين، فتبدأ أول ما تبدأ ميلاً وانجذاباً يسمّى في عالم الشباب بـ(الحب) حينما يشتد بين طرفين.

واسطة التعرّف على الشريك، ما لها وما عليها:

وقد لا يتاح المجال للشاب أن يتعرّف على الفتاة التي يحبّها ويرغب فيها زوجةً له، وقد لا تجد الفتاة فرصة التعرف على شريك حياتها، بسبب العلاقات الضيقة التي لا تسمح بالعثور على الشريك المناسب، وقد يكون ذلك بسبب الأجواء المحافظة التي يصعب فيها التعرّف على (فارس الأحلام) أو (فتاة الأحلام) ما يضطرّهما إلى اللجوء إلى أشخاص يقومون بدور الوساطة الحميدة في التقريب بين قلبين، والإعانة على اجتماع شاب وفتاة تحت سقف واحد.

وهذا الأسلوب في الخطوبة أو ما يعبّر عنه في المصطلح المعاصر بـ(خطوبة الصالونات) يتنازعه اتجاهان: مؤيد ورافض، حيث تقوم أم الشاب أو امرأة أخرى من الأقارب والمعارف، أو ربما عالم الدين أو إمام المسجد، بإرشاد الشاب للبيت الذي يطرق بابه ليطلب يد ابنة الأسرة التي أرشد إليها.

أو يقوم المكلّف بدور الوسيط بنقل وجهات نظر الطرفين حتى تتحقق الفرصة المناسبة للقاء الحاسم، حيث يكون الطرفان (الشاب) و(الفتاة) قد أخذا فكرة أولية عن بعضهما البعض، ولم يبق إلّا أن يجتمعا ليقررا ما إذا كان الموصوف أو المنقول دقيقاً. وقد يحظى الشاب أو الفتاة بالقناعة الكافية التي تجعلهما يعلنان الموافقة دون الحاجة إلى إجراء لقاءات لاحقة.

المؤيدون لهذا الأسلوب هم الذين لا تتاح لهم الفرصة للتعرّف على الشريك بشكل مباشر، ولذا فإنهم يطرحون الثقة بالوسيط من أجل إنجاز المهمة.

والرافضون له يعتبرونه أسلوبا تقليدياً غير عصري، وينتقدونه بالقول: لِمَ أشرك غيري في قرارٍ حيويّ مصيري مثل هذا؟ لِمَ لا أقوم بالبحث عن فتاة أحلامي بنفسي؟ وقد يستطرد: نحن في عصر الانفتاح والتواصل والتعارف، فهل يعقل أن أكلّف أمّي أو خالتي أو جارتنا بالبحث عن شريكة حياتي؟!

الوساطة في السنّة النبويّة:

ولابدّ من مناقشة هادئة لهذا الأسلوب في التعرّف على الشريك، فمن الناحية الشرعية، نرى أنّ السنّة النبوية المطهّرة تحدّثنا عن أنّ النبي ﷺ كان يُقصَد من قبل الرجال والنساء على حدّ سواء، طالبين منه أن يوفّر لهم فرصة الزواج من الجنس الآخر، وكان ﷺ يعرض أمرهم على أصحابه فيزوّجهم.

فعن سهل بن سعد قال: (**أتت النبي ﷺ امرأة فقالت إنّها قد وهبت نفسها لله ولرسوله**

فقال ﷺ: «ما لي في النساء من حاجة».

فقال رجل: زوجنيها؟

قال: «أعطها ثوباً».

قال: لا أجد.

قال: «أعطها ولو خاتماً من حديد» فاعتلّ له[١].

فقال: «ما معك من القرآن؟».

قال: كذا وكذا.

قال: «زوجتكها بما معك من القرآن»[٢].

وفي الأخبار أن المرأة كانت تأتي الرسول ﷺ فتقول له بكل صراحة: زوّجني يا رسول الله. وكان ﷺ يعرض طلبها على المسلمين، فمن أبدى استعداده عقد له عليها، وكذلك الرجال، ما يعني أنّ الرسول ﷺ كان واسطة الخير والرحمة في جمع قلوب المسلمين والمسلمات في بيوت الزوجية السعيدة.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام الحثّ على الوساطة في التزويج، ففي الخبر أنّه عليه السلام قال: «**أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما**»[٣].

المتخوّفون من الوساطة:

ومن عجب أنّنا نرى كثيراً من الناس يتجنبون هذه الوساطة ولا يقومون بها لتزويج شباننا وفتياتنا، مع أنّ الكثيرين منهم كانوا أحوج إليها حينما تزوّجوا، فلماذا ينسون هذا الفضل والدور الجليل لمن يكون أميناً في التوفيق بين القلوب؟

---

(١) فاعتل له: أي اعتذر بعدم إمكانية ذلك.

(٢) ابن كثير: فضائل القرآن. ص٤٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤. ص٢٧. ب١٢. ح٢.

قد يحتجّ بعضهم بالخوف من فشل الزواج ووقوع المسؤولية عليه، والحقّ أنّه مجرد واسطة خير لا يتحمّل أية مسؤولية إلّا إذا كذّب ودلّس على أحد الطرفين، الأمر الذي يستوجب أن يكون الإنسان حريصاً ودقيقاً وأميناً في نقله، وليفترض أن من كلّفه هو ابنه أو ابنته، فكيف يا ترى يبحث لهما عن الشريك؟

إنّ على الوسيط أن يكون واضحاً صريحاً مع الطرفين، ومشجّعاً على الزواج، ومحمّلاً الزوجين تمام المسؤولية في اختيارهما، وطالبا من الأهل البحث بدقّة عن أخلاق الشريك وعاداته حتى يكون قرارهم سليماً وحكيما، أمّا دوره هو فدور الوسيط المعرّف ليس إلّا.

كما لا يحقّ لأهل الزوجين تحميله المسؤولية في الخلافات التي تنشأ مستقبلاً، فهو قد قال ما يعرف عنهما، ولا علم له بما يحمله الغيب.

وقد تسير الحياة الزوجية في البداية سيراً سليماً، لكن ضغوط الحياة واختلاف أمزجة الزوجين، وربما عدم التقاء قناعاتهما على شيء معين، قد تساعد على نشوب الخلاف، وليس ثمة غالباً بيت لم ينشب فيه خلاف إطلاقاً، فالزوجان مهما يكونا متفقين ومنسجمين، فإنّهما لا يمثلان نسخة طبق الأصل لبعضهما البعض.

إنّ تجربة صادمة أو فاشلة هنا وهناك يجب أن لا تثني عزم الخيرين من الدخول كوسطاء في بناء بيوت جديدة للإسلام وأُسَرٍ

ناجحة للإنسانية، ففي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**من زوّج أخاه المسلم؛ أظلّه الله يوم القيامة بظلّ عرشه**»[(١)].

الوسائل الحديثة للتعارف (الصحف والانترنيت) يكثر فيها الخداع ويقلّ الاطمئنان:

وتبقى لنا وقفة مع وسائط حديثة للتعارف، ومنها استخدام الشبكة العنكبوتية (الإنترنيت) حيث يجري الاتصال عبر المقاهي التي تفتحها هذه الشبكة، ومن خلال رسائل الاتصال المكتوبة وحتى المرئية يتم التعارف بين الشاب والفتاة، وربما انتهى الأمر إلى الزواج.

ومع أنّ هذه الواسطة لا إشكال شرعياً فيها إذا استعملت بطريقة مهذّبة، وكان هدف الطرفين الوصول بالعلاقة إلى المرفأ الأمين، وهو تأسيس بيت الزوجية وفقاً للقواعد الشرعية والسلوكية المنضبطة، إلّا أننا نحب أن ننبه إلى أن (الإنترنيت) يبقى وسيلة اتصال وليس وسيلة تواصل حيّ، فكما يمكن أن تخدع بعض الفتيات بالكلام المعسول لفتى يغازلها عبر الهاتف فتنجرّ معه إلى ما يهوى وتطاوعه في ما يريد، فكذلك الحال مع هذه المقاهي التي يدور فيها الكلام عن بعد دون توافر العوامل المساعدة أو المطمئنة التي تحقق للارتباط بين الشاب والفتاة نجاحه.

وربّما تنجح بعض التجارب هنا وهناك، لكنّها تجارب لا

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤. ب١٢.ح٣.

يمكن القياس عليها ولا يمكن اعتبارها القاعدة في الاختيار إلّا بضمّ أدلة ثبوتية أخرى إلى جانبها.

ولا ينبغي أن نتحرّك بوحي من عقدة التجديد، فنتصوّر أن كل ما هو جديد وحديث هو شرعي وسليم أو غير شرعي.. فإنّ علينا التدقيق واتخاذ جانب الاحتياط والحذر، فقد يكون الكثير من الدخيل المستورد يديف السمّ في العسل، ولذلك فلابدّ من التحفظ الشديد تجنباً من الوقوع في شرك الخداع والغش.

اجتذاب الرجال.. بين الغنج والفضيلة:

ماذا تفعل الفتاة من أجل الحصول على فتى أحلامها؟

إنّ أمامها وسيلتين:

الوسيلة الأولى: التبرّج والتغنّج، وهي وسيلة غالباً ما تشدّ الشبان الطائشين الذين يأسرهم الشكل والمنظر أكثر من المضمون والجوهر، فإذا تزوجوا الفتاة المتبرّجة اللعوب وانتهى شهر العسل، وبدأ الجدّ والبحث عن الاستقرار، وغابت السكرة وجاءت الفكرة، اكتشفوا فداحة الخسارة، وذلك حينما تعصف المشاكل والمواجهات بين الطرفين، ليتحول البيت من (**عش هانئ تتناغم فيه النفوس**) إلى (**ساحة حرب طاحنة ضروس**)!!

فالزوجة من هذا الصنف ـ على أنّها باتت في عصمة زوج وذمّته ـ قد تحنّ إلى ماضيها وتتوق إلى الحديث مع الشبان الذين كانوا يعرفونها قبل الزواج، وربما ترى في زواجها مدعاة إلى أن تزيد في تبرّجها واحتكاكها بعالم الرجال، لأنّ هذا الجو هو الذي

شبّت وتعودت عليه ومن (**شبّ على شيء شاب عليه غالباً**) وإذا بالزوج الذي غرّه منها مظهرها الخليع يصدمه الواقع، ليرى أنّ زوجته التي أرادها خالصة لنفسه ليست كذلك، وأنّه حتى يأمن جانبها عليه أن يبقى رقيباً عليها، في البيت وخارج البيت.

وإذا دخل معها في محاسبة فإنّ من المرجّح أن تردّه ردّاً قاسياً في أنّ هذه حريتها وهي لا ترضى أن يحدّ منها، أو أنّها تنفر منه وتتهمه بالتخلّف والرجعية، وهذا ما يحوّله إلى شرطي تفتيش، ويحوّلها إلى عاصية عنيدة لا تستجيب لإرادته، ويستحيل البيت إلى جحيم لا يطاق، ما إن تخمد إحدى حرائقه؛ حتى تشتعل أخرى.

وقد يعمد بعض الشبان المؤمنين إلى انتشال فتاة متبرّجة من واقعها الفاسد ليحملها على طريق العفّة والصلاح، ثم يتخذ منها زوجة له بعد أن يطمئن إلى براءتها من الحالة السابقة، واستعدادها لتقبّل أجواء الاحتشام والاستقامة، فيكون بذلك قد حقّق هدفين مزدوجين:

- أعادها إلى جادة الصلاح والهداية.

- وحظي بها زوجة محبّة تدين له بهدايتها وسعادتها.

ومن علائم حبّها له أنّها لبّت له دعوته إلى نبذ حياة التبرّج والخلاعة، وانتقلت إلى حياة الإيمان والسعادة والاستقرار وهذا ممكن.

الوسيلة الثانية: التعفّف والصون والفضيلة، حيث تستهوي الفتاة الشاب وتشدّه إليها بعفّتها وحصانتها وحيائها وسترها، فيرى

فيها جمالين: جمال الشكل وجمال الروح، وحتى لو لم يكن جمال الشكل جوهراً فإنه يرى أن جمالها الخُلقي والروحي يمنحها جمالاً أين منه جمال المساحيق وأدوات الزينة؟!

إن سبب الانجذاب هنا مهم جداً، فالشاب الباحث عن الاستقرار في ظل الحياة الزوجية يتلمّس مقدمات الاستقرار النفسي في فتاة أحلامه العفيفة التي ادخرت فتنتها وجمالها وسحرها له وحده، كما أنه يشعر بالاطمئنان إلى أنّها ستكون أمينة على شرفه وسمعته وكرامته وبيته وعرضه وأولاده وأمواله، وهذا جزء مهم في السعادة.

المروّجات للتبرّج:

وقد تضعف بعض الفتيات أمام مقولات تروّجها لهنّ قرينات السوء من رفيقات الدراسة أو زميلات العمل، وربما المعلمات المائعات ممن نسين شرف المهنة، في أنها ينبغي أن لا تظلم جمالها ولا تحبسه في أردية الحجاب.

فلقد قالت إحدى المعلمات إلى طالبة تستر شعرها: ارفعي غطاء الرأس، فلمّا رفعته رأت المعلمة شعراً جميلاً، فقالت لها: أليس من الظلم أن تحبسي شعرك الجميل بهذا الغطاء؟!

عدم الالتزام الإسلامي خطوة تقود إلى خطوات:

إننا لا نريد أن نناقش خطورة الدور الذي تمارسه معلّمة يفترض بها أن تكون مربية أمينة ومرشدة ومستشارة مخلصة، لكننا نعالج ظاهرة موجودة في مجتمعاتنا، فحتى المحجبات العفيفات لا يسلمن

من ضغوطات تمارس عليهنّ من هذا الطرف أو ذاك، لترتدّ إحداهنّ عن عفّتها واحتشامها، وبالتالي عن إسلامها، ذلك أن التخلّي عن الالتزام الإسلاميّ خطوة، سيقود إلى خطوات تنازل وانجرار أكثر، حتى لا يبقى شيء من إسلام المسلمة أو المسلم.

فالحذر . . من أولئك الذين يصوّرون للمرأة أنها إذا بقيت في الحجاب فلن يتقدّم أحد لطلب يدها، فكما أن ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ ولا يتزوج المنحرفة غالباً قبل أن تتوب إلَّا منحرف أو مخدوع مغرّر، لـ(**إنّ الطيور على أشكالها تقع**) فكذلك يقول تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[1] فأنتِ ـ أيّتها المرأة المحتشمة ـ بتقواك والتزامك بسترك الشرعي، يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ويرزقك ما تتمنين: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2].

إنّ في ساحة المجتمع الكثير الكثير من الشبان المؤمنين الصالحين الذين يسعدون ويفتخرون بقبولك زوجة لأحدهم، ولا نغالي إذا قلنا إنّك مهوى قلوب حتى ضعيفي الالتزام، لأنهم بما جرّبوا من علاقات مع غير الملتزمات، وجدوا أنهنّ لا يصلحن أزواجاً لهم يمكن أن يأتمنوهنّ على بيوتهم وأسرهم في المستقبل.

احترام سمعة الخطيب والخطيبة مسؤولية أخلاقية ودينية:

ولابدّ من التنبيه هنا إلى أنّ الخُلق الإسلاميّ يفترض بالشاب

(١) النور: ٢٤/٢٦.
(٢) الطلاق: ٦٥/٢ ـ ٣.

الذي يتقدّم لخطبة فتاة لم تَرُقْ له فيما بعد، أن لا يسيء إلى سمعتها أو ينال منها، فربما كانت انطباعاته تمثل وجهة نظره الشخصية، فلا يجوز له إسقاطها على خطيبته التي ربّما ترى غير رأيه، وقد تكون لها انطباعاتها المغايرة.

أمّا إذا نقل صورة مشوّهة أو مسيئة عن الفتاة أو الفتيات اللائي تقدم لخطبتهنّ ولم يعجبنه، فعلاوة على أنه يرتكب مخالفة شرعية في اغتياب الفتاة والقول عنها بما يحط فيها ويجرحها، فإنّه ربما يقطع عليها سبيل الخطوبة أو الزواج، أو قد يؤخّر فرصة ذلك، وهذا إجحاف بحقها، وإساءة لحرمة البيوت التي فتحت له أبوابها مرحّبة ومستضيفة.

إذا لم تعجبك فتاة؛ دعها وفرصتها الأخرى، وكن أميناً على خصوصياتها، فلربما أعجبت غيرك والأذواق تختلف.. لماذا تتصرّف بحماقة واستهتار وتظهر خفّة عقلك لتحطّم حياة الأبرياء؟!

وكما لا يجوز للشاب أو للرجل نشر الخصوصيات والعيوب المستورة لفتاة أو امرأة مؤمنة لم تعجبه، فكذلك لا يجوز للفتاة أو المرأة الحديث بالسوء نفسه عن الشخص المؤمن الذي تقدم لخطبتها ورفضته، فإنّ ذلك من الغيبة التي نهى الإسلام عنها، ومدعاة لامتناع الفتيات الأخريات عن قبوله خوفاً من لسانها.

مواصفات الشريك المناسب:

اعتدنا ـ في حياتنا اليومية ـ أن ندقّق كثيراً في اختيارنا للأشياء والسلع، فأنت تبحث مثلاً عن السكن المناسب الذي تتوافر فيه صفات السكن المريح الذي تعيش فيه أوقات الاستراحة

من تعب النهار، وتدقق في اختيار السيارة التي تركبها، والكتاب الذي تقرأه، والمدرسة التي تسجل فيها. والبضاعة التي تشتريها من السوق، ولكن التدقيق في الاختيار بالنسبة لشريك الحياة أشدّ، لماذا؟

لأنّك يمكن أن تغيّر السكن الذي لا يناسبك، والسيارة التي لا تعجبك، والكتاب الذي لا يروق لك، والبضاعة التي لم ترتح إليها، ولكنّك.. وإن كنت قادراً على تغيير شريكة الحياة، الّا أنّ المسألة هنا تختلف، فالمعاشرة والعلاقة الحميمة والترابط الوثيق في الآلام والآمال المشتركة في الزواج، وما يزيد في وثاقة العلاقة من أولاد، تجعل عملية التغيير أحياناً خطيرة أو صعبة، وأحياناً شبه مستحيلة.

ذلك أن هذه الإنسانة التي شاطرتك هموم الحياة وحلاوتها، وأعطتك ذوب عاطفتها وحنانها، تنتظر منك أن تكون وفياً لها مخلصاً في عواطفك ومشاعرك نحوها، وأن تجازيها خيراً على ما صنعته معك، ولذلك وحتى لا تطرق باب الطلاق ذات يوم، أو تلجأ إلى المحاكم لحسم الخلاف، أو إلى الحَكَم من أهلك وأهلها لفضّ النزاع، كن متمهلاً مدققاً في اختيارك، وإذا كنت تتردّ مرتين وثلاثا في انتقاء شراء بضاعة معينة، فليكن تردّدك في انتخاب شريكة الحياة أكثر، ولا يعني ذلك أن تعيش التردّد، في الاختيار وإنّما أن تكون دقيقاً في الاختيار.

(الدقة) لا (التشدّد).. في إحراز صفات زوجة المستقبل:

• إن زوجة المستقبل، أو التي ستصبح عمّا قليل زوجة لك،

ومديرة لبيتك، وأمّاً ومربية لأولادك، وأختاً لك في الله وفي أعمال البر والخير والإحسان، حريّ بك أن تدقّق في اختيارك لها، لا بمعنى أن تضع شروطاً صعبة وتعجيزية وخارقة للعادة، وإنّما أن تكون بصيراً بما أنت عاقد العزم عليه، ففتاة أحلامك ليست مجرد شكل ظاهري جميل، وإنّما هي التي تتوفر على خصائص وصفات أغلى وأهم.

وكما نتوجه بالخطاب إلى الشابّ، نتوجّه به إلى الفتاة أيضاً، فلقد سادت نظرة خاطئة عند الكثير من الناس، وهي أن الشاب هو الذي يختار، وهو الذي يحدّد المواصفات التي يريدها في شريكة حياته، ولعل هذه النظرة لانتخاب الشريك قد جعلت من الفتاة عنصراً سلبياً في عملية تأسيس البيت الزوجيّ، وإنّا وإن كنّا نلحظ انحسار هذه النظرة مع تقدّم الحياة وتطوّرها، حيث بات للفتاة كلمتها في مستقبل حياتها الزوجية، الّا أنّ النظرة السائدة مازالت تلقي بظلالها على الكثير من الزيجات، وتحرم الفتاة من تقرير مصيرها.

التقاء الإيمان بالإيمان والخلق النبيل بالخلق النبيل:

إنّ الإسلام الكريم بما عرف عنه من نظرته المتوازنة إلى الأمور دعا الاثنين معاً: الشاب والفتاة إلى حسن الاختيار، ففي حين يطالب الحديث الشريف الشاب باختيار الفتاة المؤمنة كشرط أول وأساس: «**عليك بذات الدين تربت يداك**»[1]، تراه من ناحية ثانية يخاطب الفتاة بأن يكون اختيارها مشروطاً بالشرط ذاته: «**إذا**

(١) أصول الكافي. ج٥. ص٣٣٢. ح١.

جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه»[1]، ولاحظوا اقتران الخلق بالدين، وإلّا فمن لا خلق له لا دين له.

وبذلك يكتمل شرط الإيمان من جهتين، جهة الشاب الخاطب وجهة الفتاة المخطوبة، فإذا التقى الإيمان والإيمان، والخلق النبيل بالخلق النبيل، والرحمة بالرحمة، والمودة بالمودة والسكن بالسكن.. تحوّل البيت الزوجيّ إلى جنينة وارفة الظلال، تشدو فيها عصافير السعادة، وتترنّم في أنحائها خلجات الحبّ والصفاء، وتتنزل عليها السكينة والبركة.

وبناءً على هذا، كان لابدّ من تعريف الجنسين الشاب والفتاة المقبلين على الزواج بالمواصفات التي ينبغي مراعاتها للوصول إلى بيت سعيد، ذلك أنّ البيوت السعيدة تخرّج رجالاً أكفّاء أقوياء، وأبناءً صلحاء أوفياء، وبنات عفيفات صالحات، وأسرة متينة كريمة تنعم بالحنان والألفة والوداد، كما ينعم غيرها، ممن يمتُّ لها بصلة، بالخير والأمان والاطمئنان، فالخير عميم كما أن الشرّ عميم، ولأن سعادتنا بأيدينا؛ فإنّ مساحة الخير هي الأخرى تحت أيدينا سعةً وضيقاً.

وتسأل: وماذا نصنع بالساقطين والساقطات؟

هل نتركهم للريح والضياع إذا تم تزويج الأسوياء فقط؟

الجواب: إن زيجات المنحرفين غالباً ما تكون فاشلة، تنتج أجيالاً ضائعة منحرفة.

---

(١) المصدر نفسه. ص٣٤٧. ح٢.

والحل بالتصحيح قبل الزواج.. فإنّ التوبة وإصلاح السلوك والأخلاق مدخل للنجاح والسعادة، وحتى أولئك الذين تورطوا سلفاً بزواجٍ منحرف يمكنهم أن يعقدوا العزم سوية على التوبة والتصحيح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

صفات عامّة ينبغي توفرها في الشريكين:

هناك صفات عامّة مشتركة بين الشاب والفتاة، أو بين الرجل والمرأة، وأولاها وأهمّها: **(التدين)**. ولقد مرّ بنا كيف أنّ الإسلام طلب إلى الرجل أن يختار ذات الدين، وإلى المرأة أن تختار ذا الدين المتخلّق بأخلاق الإسلام وآدابه.

ولابدّ لهذا القاسم المشترك من وقفة أطول، ذلك أنّ التجربة أثبتت أن زواج المتدينين أطول عمراً وأكثر سعادة وأشدّ علقة من أي زواج آخر، لسبب بسيط، هو أنّ الزوج المتدين يعرف حقوق زوجته فيراعيها، والزوجة المتدينة تعرف حقوق زوجها فتداريها وتراعيها وتحافظ عليها. وهذا قد يحصل حتى بين بعض الأزواج غير المتدينين، ونحن لا ننفي ذلك، ولكننا نؤكد أن ضمانة الدين هي أكبر الضمانات التي تحفظ للحياة الزوجية نضارتها ودوام سعادتها، ولقد شاع في الإسلام النصح بالزواج بالإنسان الفاضل الذي إذا أحبّ زوجته أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها.

الدين هو الشرط الأساس:

لقد حثَّ القرآن الكريم على الزواج بالمؤمنات في قوله تعالى:

---

(١) الرعد: ١٣/١١.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(١) وأكد على ضرورة التجانس الزوجي الصالح في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾(٢)، وهذا يعني أن على الشاب المؤمن الطيّب أن لا يختار سوى المؤمنة الطيّبة حتى تتحول حياتهما إلى بحبوحة من السعادة، وذريتهما إلى جيل مؤمن طيّب، وبيتهما إلى جنّة وارفة الظلال.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾(٣).

ومن خلال الاقتران بين الطيبين من الرجال والطيبات من النساء تتفرع الشجرة الطيبة: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾(٤).

وللمرأة أو الفتاة ـ كما للشاب وللرجل ـ أن يتأمّلا في مجتمع يزرع فيه المؤمنون والمؤمنات والطيبون والطيبات هذه الغراس الطيبة، ليكون حصاد هذا التزاوج الميمون خيراً وبركة وسعادة وأماناً.. أما كان وجه الدنيا غير الوجه الذي نراها عليه؟!

---

(١) البقرة: ٢/٢٢١.
(٢) النور: ٢٤/٢٦.
(٣) الفرقان: ٢٥/٧٤.
(٤) الأحزاب: ٣٣/٣٤ ـ ٣٥.

ولعلّ أشدّ ما يثير في نفس الشاب والفتاة على حدّ سواء، حرصهما على خصيصة الدين بين الخصائص الأخرى، هو ما يقرأونه أو يسمعونه عن نبيهم ﷺ: «**عليك بذات الدين**»..

وقوله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه**». وهو الناطق بلسان السماء: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾[1].

وهذا يعني أنّ وصية الرسول ﷺ باختيار الشريك المؤمن أو الشريكة المؤمنة إنّما هي وصية الله سبحانه وتعالى للجنسين معاً!

ومن جميل ما يذكر في هذا الصدد: **أن نوح ابن مريم قاضي** مرو (خراسان) **أراد أن يزوّج ابنه** (أو ابنته) **فاستشار جاراً له مجوسياً، فقال المجوسي:**

ـ سبحان الله! الناس يستفتونك وأنت تستفتيني!

قال: لابدّ أن تشير عليَّ..

ـ فقال: إنّ رئيس الفرس كسرى كان يختار (المال)، ورئيس الروم قيصر كان يختار (الجمال)، ورئيس العرب كان يختار (الحَسَبْ)، ورئيسكم محمد كان يختار (الدين)، فانظر لنفسك بمن تقتدي؟!

الدين والأخلاق:

جاء عن الإمام الرضا عليه السلام: «**إذا خطب إليك رجل رضيت**

(١) النجم: ٥٣/٣ ـ ٤.

دينه وخلقه؛ فزوّجه ولا يمنعك فقره وفاقته، قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]»[2].

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية حسنة السند: «**إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها؛ وُكل إلى ذلك. وإذا تزوّجها لدينها؛ رزقه الله المال والجمال**»[3].

وعن إبراهيم الكرخي، قال: **قلت لأبي عبد الله** عليه السلام: **إنّ صاحبتي هلكت، وكانت لي موافقة، وهممت أن أتزوّج. فقال لي: «أنظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرّك»**[4].

من خلال ذلك، نخلص إلى أنّ الإسلام ركّز بالدرجة الأساس على خصلتين، أو قلْ قيمتين: **(الدين)** و**(الأخلاق)**.

وهذا لا يعني إهمال الخصال الأخرى، ولكنّه أعطى الأهمية القصوى لهاتين القيمتين، باعتبار أن الدين يلزم الزوجين بضوابطه، والأخلاق ترفع من مكانة بعضهما في نظر البعض الآخر وأمام الناس، وتخلق أجواء انسجام وتحابب وتآلف تفتقدها الزيجات التي لا تقوم على احترام الأخلاق ولا تراعي ضوابط الشريعة ولا تلتزم بآداب السلوك.

---

(١) النور: ٢٤/ ٣٢.
(٢) فقه الرضا. ص٣١.
(٣) وسائل الشيعة. ج١٤. ب١٤. ح١. ص٢٠.
(٤) بحار الأنوار. ج١٠٣. ب٧٨. ح٧. ص٣٧٢.

أولاً: معرفة أسرة الشريكين:

وإذا أردنا التطلّع إلى الأمور العامّة الأخرى في اختيار الشريك، فيمكن أن ننظر إلى ما يلي:

(الأسرة)، وذلك باختيار الأسرة الصالحة، وغض النظر عن الوجاهات العائلية، والثراء والمقامات الدنيوية الأخرى، والاهتمام بالشريك المتحدّر من أسرة مؤمنة ملتزمة متخلّقة بأخلاق الإسلام، معروفة بسيرتها الحسنة بين الناس.

إن لجوّ الأسرة ـ باعتباره المحضن الأول للتربية ـ دوراً في تنشئة الفتى الصالح أو الفتاة الصالحة، ولذلك ندبت الأحاديث إلى اختيار كريمة الأصل أو العزيزة في أهلها، مثلما نهت عن الزواج بـ(**خضراء الدمن**)[1]، وهي المرأة الحسناء في منبت السوء، أي الجميلة التي نشأت وترعرعت في الانحراف والانحلال.

وإذا كان المعيار في الاختيار هو ذلك، فلا تقف الحواجز الطبقية حائلاً دون زواج المتكافئين في الإيمان، ولا يضير بعد ذلك إن كانا من أسرتين فقيرتين، أو من أسرة ثرية وأخرى فقيرة أو أقل ثراءً.

إنّ المال لم يكن سبباً أوحد في نجاح الزيجات الناجحة، بل ربّما كان في بعض الأحيان وبالاً على الزواج والمتزوجين.

وقد صوّر الشاعر رغبة الفتاة بمن تحبه وترضاه زوجاً لها وإن

---

(١) الكافي. ج٥. ص٣٣٢.

كان فقيراً معدماً، في هذا الحوار الجميل بين المعجبة بذلك الشاب الفقير مالياً وربما الغني بأخلاقه، وبين رفيقاتها:

قلن: وإن كان فقيراً معدماً؟ قالت: وإنْ!

ثانياً: التوافق العمري:

كما اننا نعتبر أنّ للعمر مدخلية في اختيار الشريكين، على الرغم مما يؤكده البعض من أنّ زواج الشابّة من المسنّ أو الشيخ الكبير ممكن، وقد نجحت بعض حالات الزواج من هذا القبيل، لكننا ـ كقاعدة عامّة ـ نشجّع ونؤكّد على **(التجانس الزوجي)** أو **(التوافق بين الزوجين)** في الإيمان والعمر والثقافة والعادات والتقاليد مهما يمكن.

ولا يعني ذلك أن تكون الأمور المذكورة متطابقة تماماً، بمعنى أن ابن العشرين لابدّ أن يتزوّج ابنة العشرين، أو الذي على درجة عالية من الإيمان أن يتزوج عالمة فقيهة، أو لحامل شهادة الدكتوراه أن يتزوّج نظيرته.

إنّ زواج النظائر ليس دائماً موفّقاً، ونحن لا ندعو إلى التماثل الكلّي، فشيء من التفاوت يجعل الحياة أجمل، وذلك حينما يستشعر أحد الزوجين أنّ الآخر يكمّله في ما يفتقر هو إليه، فمن دواعي الزواج هو البحث عن هذا التكامل في إطار الحياة الزوجية والرضا النفسي والتوافق الروحي وإن اختلفت الأعمار والمواقع.

جاء في الحكمة المأثورة: (**ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استحقرته: بالسنّ، والطول، والمال،**

والحسب. وأن تكون فوقه بأربع: بالجمال، والآداب، والورع، والخُلق)[1].

ثالثاً: الجمال والوسامة:

ومن الخصال المشتركة، وإن كانت في الفتاة والمرأة أكبر وأهم: الجمال والوسامة.. فالمرأة بما حباها الله من لطف في الخلقة، ورقّة في الطبع، ونعومة في الهيئة، تُطلب عادة لجمالها، وهي تهفو أيضاً إلى شاب ترتاح له نفسها إذا نظرت إليه، كما تسرّه إذا نظر إليها.

لكنّنا نحب أن نؤكّد لفتياتنا ولشباننا ـ بعدما شاعت ثقافة الشكل أو المظهر الخارجي، فطغت على ما سواها من خصال وصفات أكّد عليها الإسلام، واثبتت التجارب أنّ لها أولوية في قائمة اختيار الشريك ـ إنّ المظهر الخارجي، وإن كنّا لا نغمطه حقّه ولا نقلل من أثره وتأثيره في نفوس الشبان والشابّات وباقي العقلاء، لكنه ليس عماد الشخصية.

فلقد اتضح أنّ بعض الجميلات لا يمتلكن خُلقاً مماثلاً لخَلقِهنّ، وأنّ بعض المفتقرات إلى الجمال يمتلكن من الروح الجميلة، أو ما يسمّى في علم النفس بـ(**سحر الشخصية**) أو (**الجاذبية الشخصية**) ما يضفي على الشكل الخارجي جمالاً غير معهود.

وهكذا هو الحال في الرجال أيضاً، فالكثير من هؤلاء ليس

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٩. ص٧٠.

لهم حظّ كبير في الوسامة، لكنّهم بما يتمتعون به من خلق جميل وسلوك رشيق وتعامل اجتماعي لطيف، يبدون أكثر جمالاً من بعض أصحاب الوسامة، الأمر الذي يعني أن جمال الشخصية أقوى من الجمال الشكلي.

ومن طريف ما يذكر هنا، أن (بثينة) دخلت على (عبد الملك بن مروان)، فقال لها: **يا بثينة! ما أرى فيك شيئاً مما يقوله جميل** (جميل بن معمر العاشق).

فقالت: إنه كان يرنو (ينظر) إليّ بعينين ليستا في رأسك![1]

قال: فكيف رأيته في عشقه؟

قالت: كان كما قال الشاعر:

لا والذي تسجد الجباه له   مالي بما تحت ذيلها خَبَرُ
ولا بفيها، ولا هممتُ بها   ما كان الّا الحديث والنظرُ

فهي تميّز ـ كما هو جميل ـ بين جمال الشكل وجمال الروح، وهو جمال الشخصية.

هذا بالإضافة إلى أن **(العفاف)** هو صفة أخرى مشتركة ينبغي لكل من الشريكين الالتفات اليها.

ومع أنّ العفاف مطلوب من الفتاة بدرجة أكبر، وهو يمثل زينة لها، إلّا أن الحياء جميل من المرأة والرجل، بأن يتعففا في نظراتهما وفي كلماتهما وفي سلوكهما، حتى إذا اجتمعا تحت

(١) طرائف ونوادر، ج٢. ص٢٠.

سقف واحد، وتحت غطاء شرعي هو (الزواج)، كان لهما ما يريدان.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**الكفوء أن يكون عفيفاً وعنده يسار**»[١].

لكن تبقى صفة العفاف في الفتاة الأولى بين صفات شخصيتها الأخرى. فلقد سأل أحدهم الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو): ما هو رأيك في الصفات التي يجب أن تتحلّى بها المرأة الفاضلة، فقال له أكتب:

العفاف ـ واحد.

تدبير المنزل ـ صفر.

مداراة الزوج ـ صفر.

فن الطبخ ـ صفر.

فن الخياطة ـ صفر.

فقال الشخص إنه لم يفهم لذلك معنى!

فقال (روسو): إذا لم تتصف المرأة بالعفاف؛ فكلّ الصفات الباقية لا قيمة لها، شأن الأصفار إذا لم يسبقها الرقم واحداً!

من هنا يمكن القول إنّ على شبابنا وفتياتنا أن يركّزوا على العفة والجمال الروحي أو الجاذبية الشخصية أكثر من تركيزهم

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٣٧٢. ح٤. ب٢١.

على الجمال المظهري، فهذا يذوي مع الأيام، وذاك يزداد نضارة بتقدّم الأيام والسنوات.

أمّا إذا اجتمع الحُسنيان: جمال الوجه وجمال الروح، فذلك من صفات الجمال المتناسق المتآلف، ومن أوتي ذلك؛ فقد أوتي خيراً كثيراً.

صفات الزوجة الصالحة:

وقد ذُكرت للزوجة الصالحة أو الناجحة صفات كثيرة، الغاية منها ترغيب الشاب بانتخابها من بين الفتيات الأخريات، حتى لا تكون فتنة أو فساد كبير في الأرض حسب النصّ النبوي.

وها نحن نحاول أن نضع بين يدي أبنائنا وبناتنا هذه المواصفات للشريك، لأنّ كلّ فضيلة أو كل خصلة حميدة من هذه الخصال هي بمثابة وسام وزينة للإنسان.

أ) صفات الزوجة المناسبة في الحديث النبوي:

جاء عن الرسول ﷺ: «**إنّ خير نسائكم: الولود، الودود،** العفيفة، **العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي تسمع قوله، وتطيع أمره**»[١].

ثم قال ﷺ في عملية إجراء مقارنة بين الخيِّرات من النساء وغير المناسِبات منهنّ:

«**ألا أخبركم بشرار نسائكم: الذليلة في أهلها، العزيزة مع**

(١) بحار الأنوار. ج١٣. ص٤٣٠. ح٢٣. ح١٨.

بعلها، العقيم ـ وليس المقصود أن العقيم شرّيرة فقد تكون فاضلة، مؤمنة كريمة، لكنها غير صالحة لإنجاب الولد ـ، **الحقود، التي لا ترتدع من قبيح، المتبرّجة إذا غاب عنها بعلها، الحصان معه إذا حضر، لا تسمع قوله ولا تطيع أمره»**[1].

فهذه تسع خصال أو صفات عن رسول الله ﷺ توضع بين يدي كلّ شاب وشابّة يبحثان عن الزواج وفق الشروط التي تحقق له النجاح، وبالتالي فهي مواصفات من لدن خبير بصير يضعها بين يدي كل امرأة مسلمة ورجل مسلم، وهي:

ـ **(الإنجاب)** فجمال الحياة الزوجية وحلاوتها تكتمل بالذريّة الصالحة، وإن كان البعض يبحث عن المرأة التي لا تنجب لعدم حاجته إلى الأطفال.

ـ **(المودّة)** وهي الحب الهادئ العميق الذي جعله الله بين الزوجين، حيث يحاول كلٌّ منهما إظهاره للآخر للتعبير عن شكره لله الذي منَّ عليه بشريك صالح محب هنّأ حياته.

ـ **(العفّة)** وهي مطلوبة في الفتاة قبل الزواج وبعده، حتى تكون موضع ثقة زوجها واطمئنانه وراحة باله، وحتى يسري هذا الخلق الرفيع في بناتها فيما بعد، والعفة عن الحرام مطلوبة من الطرفين.

ـ **(العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها)** وهاتان خصلتان مترابطتان، فمن خصال المرأة الفاضلة والشابة الصالحة أن تكون

(١) المصدر نفسه. ج١٥. ص٣٥٠. ح١٢. ب١.

عزيزة في أهلها منيعة، تحمي نفسها من أن يتحرش بها أحد، ليست مائعة بل محترمة، لكنها إذا دخلت بيت الزوجية تستحيل ـ طوع إرادتها ـ إلى ذلولة مطواعة لزوجها، فلكل مقام مقال، ولكل بيت أسلوبه الخاص في التعامل والتعاطي.

ولا يعني الحديث الشريف بالذلّة انسحاق الشخصية، ولكن ترك كلّ ما من شأنه أن يعبّر عن الغرور والتكبّر والعجب والافتتان بالنفس والتعالي والامتناع عن الزوج وما إلى ذلك، أي إنه **(تذلّل)** وليس **(ذلّة)** وهو في عرف الحب والمعاشرة جميل مطلوب لأنه تعبير عن المرونة واللطف.

ـ **(المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره)** وهاتان أيضاً خصلتان متكاملتان، فالمرأة الناجحة والزوجة الصالحة هي التي تجد فرصتها ـ في ظل الزواج ـ لإطلاق الحرية لجمالها أن يعبر عن روعته أمام الزوج، ولجسدها أن يتفنّن في إظهار رشاقته وفتونه في حرم الزوجية، لكنك إذا رأيتها خارج هذا الإطار، رأيت العفيفة المحتشمة التي لا توحي إلّا بالوقار والصلاح والحياء والمنعة.

ـ **(التي تسمع قوله وتطيع أمره)** فيما لا يغضب الله ويسخطه، فقول الزوج مسموع لديها طالما فيه رضا لله، وأمره مطاع طالما أنه صدى لأمر الله، وإلّا إذا كان معاكساً لتعاليم الله، ماحياً لها، فـ«**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[(١)].

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠. ص٢٢٧. ح١٤. ب١.

ب) صفات الزوجة الصالحة في أخبار الإمام علي عليه السلام:

عن الإمام علي عليه السلام: «**خير نسائكم الخمس: الهينة، اللينة، المؤاتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، والتي إذا غاب زوجها حفظته في غيبته، فتلك عاملة من عمّال الله لا تخيب**»[1].

- فـ(**الهينة**) التي لا تتعصّب ولا تتشدّد مع زوجها.

- (**اللينة**) التي تطيعه وتستجيب لإرادته ولا ترفض له طلباً في حدود ما أحلّه الله وأباحه.

- (**المؤاتية**) المجارية، وهو تعبير بلاغي جميل، فهي كالريح المواتية التي تعين قبطان السفينة على أن يمخر في البحر.

- (**إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى**) أي لا يأتيها النوم ولا تستغرق فيه وهي تعلم أن زوجها غير راضٍ عنها، وكأنّ رضاه هو الذي يجلب لعينيها النوم، فتنام هانئة قريرة.

- (**والتي إذا غاب زوجها حفظته في غيبته**) فإذا كان ذلك هو تعاملها معه في حضرته، فإنّ تعاملها معه في غيابه أن تحفظ سمعته وشرفه وعرضه وماله، وكأنّه حاضر لم يغب عنها أبدا.

ونأمل من كلّ فتياتنا وشباننا أن يلتفتوا إلى ما وصف به الإمام علي عليه السلام هذه الفتاة أو المرأة: «**فتلك عاملة من عمّال الله لا تخيب**» أي أن مآلها الجنّة، خاصة إذا ربطنا ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**» أي حسن تعامل الزوجة

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٣١. ح٨. ب٣.

مع بعلها وزوجها بإظهار اللطف والموافقة والمحبة وكلّ ما يجذب الرجل ويسعده، وهل هناك تبعّل حسن غير هذا؟

وعلي عليه السلام إذ يصف المرأة الصالحة يقدّم لنا نموذجها حياً عاشه بكلّه. فلقد ورد عنه عليه السلام مدحه وإطراؤه لزوجته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأنه لم ير منها مكروهاً في يوم ما، وأنها كانت له طائعة، حيث يقول بحقها ـ كما في سيرتها ـ: «**كنتُ إذا نظرت إلى فاطمة؛ انجلت عنّي الهموم والأحزان**»[(١)].

ويتبين مدى سعادة الإمام علي عليه السلام بزواجه من فاطمة عليها السلام ما ورد من أنه عليه السلام حينما توفيت شعر بالانكسار فلم يستطع حمل جنازتها وهو البطل المغوار الذي دحا باب خيبر، فقال لأبي ذر وهو يكابد وطأة الألم الكبير: «**عم يا أبا ذر، أعنّي على حمل فاطمة!!**».

وهكذا تنكسر حياة الرجل بوفاة شريكة حياته الصالحة. ولذا ورد عنه عليه السلام أنه قال معبّراً عن عميق حزنه لفراق فاطمة عليها السلام والذي يعبّر من جهة ثانية عن عميق حبه لها:

نفسي على زفراتها محبوسةٌ يا ليتها خرجت مع الزفراتِ
لا خيرَ بعدكِ في الحياةِ وإنما أبكي مخافةَ أن تطولَ حياتي

ج) هذه هي التي يُخطب ودّها:

ورد أنّ شخصاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: **إن لي زوجة إذا دخلتُ تلقّتني، وإذا خرجتُ شيّعتني، وإذا رأتني مهموماً**

(١) الأسرار الفاطمية. ص٢٠٠.

قالت: ما يهمّك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفّل به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همّاً!! فأبدى ﷺ إعجابه بها قائلاً: «بشّرها بالجنة وقل لها: إنّك عاملة من عمّال الله»[١].

إنّ هذا الحديث الشريف يلتقي مع الحديث السابق في الجوهر والمضمون. فكما أنّ المجاهد عامل من عمّال الله وأجره على الله الجنّة، فكذلك المرأة الصالحة التي وصفها هذا الرجل للنبي ﷺ، فما من أمنية يتمنّاها أي رجل في العالم سوى أن تحتفي به زوجته كما يحتفي المضيف بضيفه الكريم، وأن تودّعه كما تودّع الضيف العزيز. وإذا كان مهموماً طبّبت جراحه النفسية برقيق كلماتها ودفء عاطفتها ودافق حنانها.

وقد صدق من قال: **إنّ الرجل طفل كبير، إذا أحسنت الزوجة معاملته؛ اندفع ليشري الحياة ويواجه الصعاب بصدر رحب!!**

حسن التبعّل:

لكنّنا نحبّ أن نلفت الانتباه إلى نقطة على جانب كبير من الأهمية فالحديث أعلاه وأمثاله فيه تركيز واضح على حسن معاملة الزوجة لزوجها، وهو (حسن التبعّل)، لكنّ المتأمّل في التجارب الزوجية، يرى أنّ حاجة المرأة إلى الحب والحنان والرفق والمؤانسة والملاطفة كما هي حاجة الرجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ

(١) النظام التربوي في الإسلام. الشيخ القرشي. ص٨٦.

﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]. فعربة الحياة الزوجية لا تسير سيراً صحيحاً إلَّا بحصانين، وكلّما تبادل الزوج والزوجة هذا الدور العاطفي؛ كان الناتج حياة أسعد وأرغد وأكثر عطاء وبركة ونجاحاً وتوفيقاً.

يقول (العتبي): «**رأيت امرأة أعجبتني صورتها، فقلت لها: ألكِ بعل؟ قالت: لا. قلت: أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم، ولكن لي خصلة أظنّك لا ترضاها. قلت: وما هي؟ قالت: بياضٌ برأسي** (تعني الشيب) **قال: فثنيت عنان فرسي وسرت قليلاً** (حيث صرف النظر عنها) **فنادتني: أقسمتُ عليكَ لتقفنَّ. ثم أتت إلى موضع خالٍ فكشفت عن شعرٍ كأنّه العناقيد السود، فقالت: والله ما بلغت العشرين، ولكن عرّفتك أنّا نكره منك ما تكره منّا! قال: فخجلت**»[2].

ولعلّ هذه القصّة تعبّر أصدق تعبير عن أنّ المرأة تحبّ من الرجل ما يحبُّ منها، وتكره منه ما يكره منها، ذلك أنّها في التقييم النهائي إنسان مثله.

الزوجة الصالحة كما نراها:

هذا وقد ذكرنا في كتابنا (**الإسلام ومشاكل المرأة**) الجزء الأول، أهم صفات الزوجة الصالحة إجابةً عن سؤال أحد الشبان فقلنا: إن الفقهاء يقولون: (**يستحب اختيار امرأة تجمع عدداً من**

---

(١) البقرة: ٢/٢٢٨.

(٢) الخطيب. متعة الأديب. ص٨٨.

الصفات، وذلك بأن تكون: بكراً، ولوداً[(١)] ودودا، عفيفة، كريمة الأصل، طيبة الريح، جميلة، ذات شعر، صالحة، تعين زوجها على الدنيا والآخرة، عزيزة في أهلها، ذلولة مطيعة لزوجها، متبرّجة متزيّنة مع زوجها، متحصّنة مع غيره، ويكره الاقتصار على الجمال والثروة)[(٢)].

ويتبين من هذه الصفات أنّ الفقهاء استقوها من الأحاديث الشريفة التي امتدحت تلك الخصال. ولكن هذا لا يعني أن تكون الفتاة متوفرة على جميع هذه الصفات وإلّا بقي الشاب أعزبَ؛ فضلاً عن أن البحث عن هذه الصفات كلها واستقصائها ليس بالأمر الميسور.

فكما ألمحنا سابقاً أن الظفر بذات الدين والخلق هو الشرط

---

(١) مما لا إشكال فيه أنّ المرأة الولود هي أحبّ للرجل الباحث عن ذرية من المرأة العاقر التي لا تنجب، ذلك أنّ الحياة الزوجية لا تكتمل سعادتها إلّا بالذرية الصالحة، لكننا نتساءل: كيف يمكن التأكّد من هذا الشرط، وقد شاءت حكمة الله تعالى أن تكون النساء ولودات وعاقرات: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ـ أي ينوّعهم ـ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٥٠].
إن بإمكان الرجل الذي يكتشف أن زوجته عاقر الزواج بأخرى تلد له بنين وبنات، ولكن ماذا إذا اكتشفت المرأة الولود أن زوجها عاقر؟، قد يقال: إنها يحق لها أيضاً طلب الانفصال لتتزوج بمن يهبها الذرية التي تحنّ إليها كلّ امرأة.
وكل ذلك لا يحصل إلّا بعد المعاشرة الزوجية، ولا علاقة ـ كما هو ثابت علمياً ـ للفتاة بأمها أو بأخواتها الولودات حتى نعتمد الوراثة، فقد تكون عاقراً من دونهنّ.
المهم: أن هذا الشرط ليس عمليا قبل الزواج، أما بعده فللزوج وما اختار: البقاء على التي لم تلد، أو الزواج بأخرى ولود، أو الجمع بينهما. وللزوجة الحق أن تطلب الطلاق من زوجها العقيم، وللزوج أن يوافق أو يرفض..
(٢) الإسلام ومشاكل المرأة: الشيخ عبد اللطيف بري. ص٢٨.

الأساس، وتأتي الأمور أو الصفات الأخرى بالدرجة التالية، ومثلما أنّك ربما لست الشاب الكامل في كلّ صفاتك، فليس هناك الفتاة الكاملة في جميع أوصافها دائماً. ولذا فإننا ننصح أبناءنا الشبّان في أن يتساهلوا في الشروط الأخرى قدر الأمكان، فربّما مرّ قطار الزواج سريعاً وهم لا يزالون يبحثون عمّن تستجيب لشروطهم التعجيزية والمواصفات المثالية في الفتاة التي يريدون الزواج بها.

ومن الطريف هنا الإشارة إلى أنّ أحد الشبّان كان قد وضع أربعين شرطاً صعباً للغاية لفتاة المستقبل وشريكة الحياة، وبعدما تقدّم به العمر ولم يعثر على مأربه، سأله أحدهم: كيف أنت الآن بعدما خطّ الشيب مفرقيك؟

قال: لقد وضعت في شبابي أربعين شرطاً لمن أريد الزواج بها، ورحت أتنازل عنها شرطاً فشرطاً، ولم يبق اليوم إلّا شرط واحد: أن أجد فتاة ترضى بي زوجاً!!

وقد ناقشنا في كتابنا (الإسلام ومشاكل المرأة) الصفات التي يستحسن أن تتوافر في الزوجة المنشودة بعد شرطي الإيمان وحسن الخلق، وهذه بعض تلك الصفات:

القريبة والغريبة:

فلقد ثبت علمياً أنّ زواج الأقارب يضعف السلالة، ويصيب الأبناء ببعض الأمراض أحياناً.

جاء عن رسول الله ﷺ: «**لا تنكحوا** ـ أي لا تتزوجوا ـ **القرابة القريبة، فإنّ الولد يخلق ضاوياً** ـ أي هزيلاً».

وعنه ﷺ: «اغتربوا ولا تضووا»[1]..

ومعنى الاغتراب هنا هو البحث خارج دائرة العائلة أو القرابة. ذلك أن من شرائط تحسين النسل وتقويته أن تجتمع صفات وراثية من مصاهرة بين عائلتين بعيدتين قويتي السلالة.

المائعة والمحافظة:

من خلال قراءة للعديد من الإحصائيات واستطلاعات الرأي التي أجريت في أوساط الشبّان العصريين تبيّن أن الفتاة المائعة لا تحظى بثقة الشاب، وأنّها تربح هذه الثقة كلما كانت محافظة ملتزمة ومتزنة في منطقها وسلوكها.

ومن بين الأمور المدانة أن تلقى شاباً مؤمناً يبحث عن الزواج بفتاة مائعة متبرّجة متهتكة، ويترك المؤمنة، وهذا يخلّف في نفسية فتياتنا المؤمنات الملتزمات شعوراً بالأسى والغربة، ويشجّع على الانحراف والتبذّل.

لذلك ننصح شباننا باختيار الفتاة الملتزمة بعفافها، المحافظة على دينها، الناشئة في بيئة أسرية صالحة، ففي ذلك ضمانة أكيدة لحياة سعيدة.

وأما المائعة فإنّ عليها أن تغيِّر سلوكها نحو الأفضل وتلتحق بالركب.

---

(١) الإسلام وتنظيم الأسرة. ج٢. ص١٥١.

الجمال والدين والمال:

الجمال مطلوب، وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**إذا أراد أحد أن يتزوّج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها، فإنّ الشعر أحد الجمالين**»[1].

وإذا اجتمع الجمال والحسب والمال والدين؛ فهذا من كمال السعادة وتمامها، وإذا لم يتسنّ كلّ ذلك، فالأولوية لذات الدين، لأنّ الجميلة غير المحافظة محنة وفتنة على الزوج.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «**إيّاكم وخضراء الدمن. قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء**»[2].

فالحسناء التي نشأت في بيت وبيئة فاسدة وليس لها دين، لا يكفي جمالها وحده، وقد تكون سبباً لتشويه الأسرة والبيت والمستقبل والأطفال.. فالجمال يذوي ويضمحل مع الأيام، فإذا لم يكن هناك إيمان وفضيلة، فماذا يبقى من المرأة؟ إنها تكون كمزهرية جميلة ولكن ليس فيها زهور جميلة، يقول تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[3].

والخلاصة كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**لا تَزوّجوا النساء لحسنهنّ فعسى حسنهنّ أن يرديهنّ، ولا تَزوّجوهنّ لأموالهنّ فعسى**

(١) بحار الأنوار، المجلد ٢٣. ج١٠٣. ص٢٣٧.
(٢) المحجة البيضاء. ج٣. ص٩٣.
(٣) البقرة: ٢/٢٢١.

أموالهنّ أن تطغيهنّ، ولكن تزوّجوهنّ على الدين»[١]. وقد مرّ بنا الأثر الكبير لهذا الشرط في نجاح الزواج وديمومته.

إعرف الفتاة من خلال أمّها:

من المنصوح به عملياً أن يدرس الخاطب سيرة الأم وسلوكها وتعاملها الزوجيّ والأسري، فالفتاة ـ كما تؤكد الأمثال الشعبية التي صاغتها التجارب ـ كثيرة الشبه بأمها، فهي تلتقط خصالها وصفاتها منذ طفولتها، والأم تعتبر المعلّم الأول والمثال والقدوة بالنسبة لبناتها، فإذا كانت الأم صالحة؛ يمكن لك أن تتوقع زوجة صالحة من خلال التنشئة الصالحة، والعكس صحيح غالباً، ولكلّ قاعدة شواذ.

نعم، قد تلتقي بفتاة أكثر نضجاً من أمها، وأكثر ثقافة ووعياً لعصرها، ولكنّ بصمات الأم تحفر في العمق من وجدانها، ويمكنك ببساطة أن تتلمّس بعض ملامح شخصية الأم في ملامح شخصية الفتاة مهما بلغت من الثقافة والوعي.

ففي الوقت الذي ندعو إلى أن تحرص كلّ أمّ على صياغة شخصية ابنتها لتكون ربّة منزل ناجحة، وزوجة صالحة، وأمّاً مربّية، وسيدة اجتماعية، نرى أنّ أمام الشاب فرصة أخرى أو عاملاً إضافياً لمعرفة فتاة أحلامه، وذلك بمقارنتها بأمّها.

كما ينبغي معرفة أخلاق إخوان الفتاة التي ترغب الزواج منها

---

(١) ميزان الحكمة. ج٤. ص٢٧٧. وللمزيد راجع كتابنا (الإسلام ومشاكل المرأة) ص٢٧ ـ ٣٦.

وسيرتهم وسلوكهم، فالحديث الشريف يؤكّد أنّ: «**الخال أحد الضجيعين**»[1]. وكثيراً ما تناقلت الأمثال الشعبية هذا المعنى في وراثة الأبناء لبعض خصال وخصائص وصفات أخوالهم.

معرفة الصفات الوراثية:

يقول النبي ﷺ: «**اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الخال أحد الضجيعين**»[2].

وقال ﷺ: «**اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الأبناء تشبه الأخوال**»[3].

وقال بعض الأدباء:

لا تخطبنّ سوى كريمة معشرٍ فالعرق دسّاس من الطرفينِ

وكما يستحسن دراسة أخلاق وسيرة عائلة الفتاة التي تريد الاقتران بها، كذلك يفضّل معرفة الصفات الوراثية التي قد تؤثر على النسل مستقبلاً، فقد يستغرب الأب في المستقبل إذا رأى أن أحد أولاده أو إحدى بناته مصابٌ بإعاقة أو تشوّه بدني، وربما كان ذلك في بعض أخوة أو أخوات أو أعمام أو عمّات أو أخوال أو خالات أو جدّي التي يتزوجها من عاهة بدنية أو عقلية تنتقل بالوراثة إلى ابنك أو ابنتك، بل إنّ الأمر يمتدّ إلى الذكاء والفطنة والطباع أيضاً؛ فكن حذراً ودقيقاً.

وكما يقال ذلك عن أسرة الفتاة، فإنه يمكن سحبه على أسرة

---

(١) أصول الكافي. ج٥. ص ٣٣٢. ح٢.
(٢) أصول الكافي. ج٥. ص ٣٣٢. ح٢.
(٣) المصدر نفسه. ج٧. ص ١١٩. ح٥.

الشاب الذي يروم الزواج، فلابدّ من النظر فيما إذا كان من أسرة محترمة مصونة طيبة الصيت والسمعة، ليس فيها تشوّهات وإعاقات، أو أنها مفككة فاسدة، أو من ذوات الاحتياجات الخاصة، علماً أننا نحث على دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع والأسرة، بل إن بعض الشبّان والشابات الإنسانيين جداً يودّون الزواج من ذوي الاحتياجات الخاصة حصراً كالبكم والصم للتعبير عن شعورهم الإنساني الفياض تجاه آلام البشر، لكنّنا نقدم هنا مجرد لفت نظر.

إعرفي أمّ زوجك أيضاً:

بل إن معرفة أم الشاب الخاطب له أهمية موازية لمعرفة أم الفتاة المخطوبة، فإذا كانت سيئة الأخلاق، تنفر منها النساء أو جاهلة متعنتة، أو مستبدّة متزمّتة، فإنها يمكن أن تقلب حياة كنّتها جحيماً، خاصة إذا أرادت الهيمنة على ابنها وزوجته وبيتهما، بحيث تدسّ أنفها في الصغيرة والكبيرة، ولا تحترم خصوصية حياة ولدها الزوجية.

إسألي أيتها الفتاة المخطوبة: هل لأم خاطبك ولد متزوّج، وهل تدخّلت أمه في حياته تدخلاً مباشراً؟ وبذلك يمكنك القياس على هذه الحالة ومعرفة ما سيحدث لك في المستقبل، وإن كان لكل حالة خصوصيتها، فلابدّ من دراسة ذلك وعدم اعتباره النقطة الوحيدة التي تستحقُّ التوقف، فربما كان تعاملها ناتجاً عن سوء معاملة كنتها الأخرى.

وربما كان من المناسب أيضاً أن تعرف الفتاة أقطاب التأثير

على زوجها، فلربما كانت أمّه ميّتة، لكنّ له أختاً أو خالة أو عمّة تسيطر عليه.

ويمكن أن يتعرّف الخطيبان على ماضي بعضهما البعض من خلال الأصدقاء والصديقات الذين كانوا يصطحبونهم قبل الزواج (**فكلّ قرين بالمقارن يقتدي**).

ماذا تقول استطلاعات الرأي؟:

وثمة مواصفات أخرى نبّهت إليها بعض استطلاعات الرأي لا نجد بأساً في الاستفادة منها، لا على أنّها إلزامية ولابد من الأخذ بها، ولكن لمعرفة ما يرغب فيه كلّ من الجنسين في الجنس الآخر.

فلقد طلبت إحدى المجلات إحصاء المميزات التي ينبغي أن تتميز بها المرأة العصرية لكي تجتذب قلب الرجل، فجاءت الأجوبة مجمعة على أنّه من الضروري أن تمتاز **بالنظافة والمظهر الأنيق، والابتكار والطموح، وأن تكون لبقة**.

كما أجرت بعض مواقع الشبكة العنكبوتية (**الإنترنيت**) استطلاعاً آخر كانت خلاصته أن أغلب الشبان اليوم يؤكدون على الخصال والصفات التالية: (**الالتزام ـ رجاحة العقل ـ الاتزان ـ الأخلاق ـ الثقافة ـ الجمال ـ الحب ـ الشخصية ـ التديّن ـ الحجاب، وأن تكون ملابسها ملائمة للموضة..**)

وأكّد آخرون على التقارب العمري بين الزوجين، وخلوهما من الأمراض العقلية والعيوب الشكلية، ونظافة سجلّهما الشخصي من اقتراف إحدى الجرائم.

وهذا يعني أن المواصفات قد تتغير بتغير الزمن، لكن بعض الشروط ثابتة لا يؤثر عليها تقادم الزمن، كشرط الدين والأمانة والأخلاق.

كيف تختارين زوجك؟:

لم تعد مسألة الاختيار قاصرة على جنس الرجال والشبّان فحسب، فالفتاة أو المرأة تختار أيضاً، وحتى التي يتقدّم الشاب أو الرجل لخطبتها، يمكن أن (ترفض) ويمكن أن (تقبل) أي ان مفتاح المسألة بيدها، فإذا رفضت لأسباب معقولة فإنّها ترى أن الاختيار غير مناسب، وإذا قبلت لأسباب وجيهة، فإنّها تكون قد اختارت ما تراه مناسباً، ولذا فإننا نعتبر كلمة الفتاة التي تُخطب للزواج هي كلمة الفصل، وبرأيها يتقرّر الزواج من عدمه، أي أنّها الطرف الأهم في عملية تقرير مصيرها بالرفض أو القبول، وهذا بالطبع من وجهة النظر الإسلامية، لا من جهة العرف الذي قد يجور على الفتاة؛ فيحرمها حقها المشروع.

وكما سبق وأكدنا، فإنّ الإسلام أراد للمؤمن أن يتزوج المؤمنة، ولذي الخُلُق والدين أن يظفر بذات الخلق والدين، أي أنّ الفتاة العاقلة مدعوّة أن لا تنظر إلى (**جيب**) الرجل فقط، كما أنه مدعوّ أن لا ينظر إلى (**شكل**) المرأة فقط.

الزواج ليس صفقة:

ولا يعني ذلك التقليل من شأن المال لبناء مملكة الزوجية، فلقد قيل إن الزوجين يمكن أن يناما بدون حبّ، ولكن لا يمكن

أن يناما بدون غذاء أو طعام، لكننا لا نريد لفتياتنا أن يستغرقن في المستوى الماديّ للمتقدم للزواج بهنّ، فيجعلنه الشرط الوحيد، وينسين أنّ الدين والخلق هما أثمن من ذلك.

لقد حصل إسفاف في العقود المتأخرة في مستوى النظرة إلى الزواج، وهو علاقة ربانية مقدّسة تجمع الرجل والمرأة بين أحضان السكن والمودة والرحمة، على أنه (**صفقة**) تجارية يتجاذب فيها الطرفان، وخاصة أهل الزوج وأهل الزوجة، الحبل، وكأننا في سوق بيع وشراء، أو مزاد علني! أو سباق لكسر الرقم القياسي!

ومهما يكن من أمر، فإنّ للفتاة الحق في أن تضع المواصفات التي تراها مناسبة في شريك حياتها، فسعادتها مهمّة كما هي سعادته، وكما أبينا على الشاب أن يتعسّف ويتشدّد في شروطه لئلا تكون فتنة وفساد كبير، نأبى على الفتاة ونربأ بها أن تبدأ حياتها بإثقال كاهل الزوج بطلبات ما أنزل الله بها من سلطان، ولعلّ تخفيفاً من جانب الفتاة وتسهيلاً من جانب الشاب يمكن أن يكون فاتحة عهد زوجيّ مشرق وسعيد.

التديّن والتهذيب:

قلنا إنّ الأولوية في شريك الحياة أن يكون مؤمناً خلوقاً، كما ورد عن الرسول ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه**»[1]. استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ ـ زوّجوا

---

(١) كنز العمال. خ٤٤٦٩٥.

العزّاب والعازبات ـ ﴿مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

وورد في أهمية الأخلاق كشرط في المتقدم للزواج، أنّ رجلاً كتب إلى الإمام الرضا عليه السلام: (**إنّ لي قرابة قد خطب إليّ وفي خُلقه سوء. قال** عليه السلام: «**لا تزوّجه إن كان سيّئ الخلق**»[٢].

والواقع أن الأب يعقّ ابنته ويدمّر حياتها إذا وافق على هذا النوع من الزواج، ففي الحديث: «**لينظر أحدكم لمن يرقّ كريمته**»[٣]. أي أنّ الفتاة ستكون في عهدة زوج يتحكم في حياتها، وتكون له القيمومة عليها، فإذا كان كريماً أحسن معاملتها، وإن كان لئيماً أساء إليها.

فلا يناسب الفتاة الشريفة الكريمة الصالحة إلّا شاب مثلها في الكرامة والصلاح، حتى يقدّر خصالها الطيّبة، ويتحقّق الانسجام والتوافق.

العفّة والغنى:

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الزوج الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار**»[٤]، واليسار السعة في المال، ولا يشترط أن تصل السعة إلى حدود الغنى الفاحش، وإنّما القدرة على تلبية متطلبات الحياة الزوجية في أساسياتها وضرورياتها وأهم

---

(١) النور: ٢٤/٣٢.
(٢) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٣٥.
(٣) المصدر نفسه. ص٢٧١.
(٤) الكافي. ج٥. ص٣٤٧.

كمالياتها، فلا يدخل في بيت الزوجية وهو غارق في الديون أو يعيش الكسل والتواكل، ويلقي كلّه على أهله أو أهلها.

أمّا إذا كان كاداً عاملاً باذلاً وسعه في تأمين الحياة الكريمة لزوجته ولأولاده مستقبلاً، فقد لا يشينه الفقر، ذلك أن رزقه ورزق عياله بيد الله الذي تكفّل بأن يوسّع على المتزوجين: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

والغنى المالي لاشكّ مهمّ، لكن الغنى الأكبر هو غنى الروح والأخلاق والانبساط والثقافة والتعامل الرفيق الرقيق، فكم من معسرٍ وجدت فيه زوجته كريماً في أخلاقه، حتى إذا صبر وصبرت؛ فتح الله عليهما أبواب رزقه ورحمته. وفي كلّ الأحوال إن راحة البال شرط أساسي قبل المال، فقد تجد السعادة في كوخ والشقاء في قصر.

وأمّا العفّة، فهي ضرورية ـ كما سبق ـ بالنسبة للزوجين على حدٍّ سواء. فقد جاء في رواية أنّ: «**من زوّج ابنته إلى فاسق؛ فقد قطع رحمها**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تزوجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا، إلّا أن تعرفوا منهما التوبة**»[2]. لأنّهما يشكلان وباءً اجتماعياً لابدّ من التطهّر منه بالتوبة أو الابتعاد عن الشريك غير العفيف.

---

(١) النور: ٢٤/ ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج١٠٧. ص٢٥٦. ح٦. ب٣.

لا تزوّجوا السكّير:

كما نهت أحاديث أخرى عن تزويج شارب الخمر، فقد ورد عنه ﷺ: «**شارب الخمر لا يزوّج إذا خطب**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من زوّج كريمته من شارب الخمر؛ فقد قطع رحمها**»[٢].

فإذا عرفنا أنّ شارب الخمر إنسان يتصرف بوحي **(جنونه)** لا بوحي **(عقله)**، وأنه يمكن أن يرتكب جرائم في حق زوجته وأولاده وحق الآخرين، وأنّه يورث أولاده أمراضاً خطيرة، وأنه يتلف أمواله في الإدمان على الخمرة؛ عرفنا السبب في رفضه إذا تقدّم لخطبة فتاة.

ولو تأمّلنا في الشروط الأساسية التي يضعها الإسلام للزوج، لرأينا أنها صفات ليست خارجة عن قدرة الإنسان، وإنّما هي صفات اكتسابية بمقدور الإنسان أن يمتلكها بالتدرب والنضال والإرادة[٣].

زوّجوا القرآنيين:

في مقابل ذلك، ينصح أهل الزوجين بتزويج قارئ القرآن، ذلك أنّه قلّما يصاب بالغفلة والانحراف والفساد، فلكي تربحي شريكاً يعيش روحية التقوى، ويخاف الله ويحترم نفسه مثلما يحترم حقوقك، ابحثي عن شريك يقرأ القرآن ويواظب على قراءته وتدبّره

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٩. ص١٥٠. ح٥. ب٥.
(٢) المصدر نفسه. ص١٦٤. ح٩. ب٥.
(٣) انظر كتابنا (الإسلام ومشاكل المرأة). ص٣٩.

ويعمل بتعاليمه، فالشريك الذي يعيش روحية الاقتراب من الله بقراءة القرآن والدعاء والتضرّع إلى الله، شفّاف الشخصية، طاهر الذات، متزن في تصرّفاته .. صادق .. أمين .. حكيم.. مستقيم، ولا عبرة بالشاذّ من قرّاء القرآن، إذ: «**ربّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه**».

وهذا لا يعني أنّ من لا يقرأ القرآن لا يزوّج، إنّما يعني أنّ قارئ القرآن وقارئة القرآن يمتلكان ضمانة أكبر للاستقامة في الحياة الزوجية، والالتزام بمسؤولياتها، وتحقيق أجواء السعادة والاحترام التي تسودها.

كما يعني أن أبناء هذه الأسرة يتجهون في الغالب إلى حبّ القرآن وتعلّمه وحفظه والعمل به، ففي الخبر: «**من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن؛ اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عزّ وجل مع السفرة، الكرام، البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة**»[1].

ماضي الشاب وخلفيّته:

نظراً لأنّ فسحة من الحرية الممنوحة للشاب الشرقيّ عموماً، والمسلم خصوصاً أكثر من الفتاة، فإنّ إساءة استغلال هذه الحرية من قبل الشبان كثيراً ما كانت سبباً لتفسّخ أخلاقهم وانحطاط سلوكهم واستهتارهم بالقيم الكريمة.

ولذلك يجدر بالفتاة وبأسرتها التحرّي عن ماضي الشاب الذي يتقدم لخطبتها، ذلك أنّ بعض الشبان سرعان ما يحنّون إلى

---

(١) أصول الكافي. ج٢. ص٦٠٣.

ماضيهم الذي يعتبرونه سعيداً بما كان يوفّره لهم من أجواء الانفلات وعدم الشعور بالمسؤولية.

فلابدّ من معرفة أصدقائه الذين كان يرتبط بهم، وربما لازالت علاقته بهم حميمة كما في السابق، حتى قيل: (**قل لي من تعاشر؛ أقل لك من أنت.**) فالتشابه في أطباع الرفاق يجعلهم يتآلفون، وقديماً قيل: (**إن الطيور على أشكالها تقع**). أي تألف نظائرها وأشباهها.

ومما ينسب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً إنّ القرين إلى المقارن يُنسب[1]

ونشدّد هنا على رفاق السوء الذين غالباً ما كانوا السبب الرئيس في انحراف أقرانهم وجرّهم إلى مواطن الشبهات والجريمة، فإذا كان الشاب ممن يتسكع في الطرقات، ويرتاد المقاهي والسينما والملاهي والحانات، ويعاقر الخمر والعربدة والقمار، فإنّ من الجناية العظمى أن يجازف الأبوان بتزويج ابنتهما منه، فطريقة حياة الإنسان الاجتماعية والسلوكية تدلّ على خصائص شخصيته، اللهم إلّا إذا أقلع عن ذلك كلّه بالتوبة النصوح، وإقلاعه ليس قُبيل الزواج بقليل، فربّما كان ذلك مصيدة للإيقاع بالفتاة بغية الزواج منها ثم (**تعود حليمة إلى عادتها القديمة**)، وإنّما لفترة تبعث على الثقة والاطمئنان أنه هجر إلى غير عودة أيام التسيّب والاستهتار وأصدقاء السوء.

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام. ص٤٩.

الشاب الانفعالي الغضوب:

من المسائل التي تحتاج إلى دراسة ووقفة متأنية عندها، أنّ العادة جرت أن يتحرّى أهل العروس أو الخطيبة عن طباع وأخلاق وسيرة المتقدم لخطبتها، وقد يتساهل الكثير من المسؤولين في إبداء آرائهم المتسرّعة وغير المبنية على أساس متين، فيقولون لك: إنّها عائلة طيبة. وتسألهم: أنا أعرف أنّ العائلة طيبة، لكنّ سؤالي عن الشاب نفسه.. ماذا تعرفون عن خصاله وسيرته؟

وربما كانوا يعرفون بعض عيوبه لكنّهم يتكتمون، ظنّاً منهم أن ذلك يجنّبهم المشاكل، أو أنّهم بهذا العمل يسهّلون الزواج، غير مدركين أنّ هذا التساهل ربما يقود مستقبلاً إلى كوارث عائلية خطيرة.

فمن بين الأسئلة التي ينبغي على أسرة الفتاة طرحها هي التالي: **هل هو شاب متزن في تصرفاته؟ هل يتكلم بطريقة منطقية؟ هل يسيطر على غضبه وانفعالاته؟ هل ينفجر لأدنى وأتفه سبب؟ هل يثور ويغضب أمام الناس ولا يلجم غضبه؟ هل يعامل أهله باحترام ولباقة ومحبة؟**

قال الشاعر:

لا يحمل الحقد من تعلوُ به الرتبُ ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ

إنّ (عزيز مصر) حين علم خيانة زوجته؛ لم يفقد سيطرته على الموقف، بل قال بلهجة تدلّ على توازن: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ﴾[1]. ولعلّنا لا نغالي إذا قلنا إن معظم حالات

---

(١) يوسف: ١٢/٢٩.

الاعتداء على المرأة ومعاملتها بالعنف والقسوة ناجمة عن الانفعال الزائد عند الزوج، وكونه لا يحسن ضبطه، ولا يقيم لآداب السلوك واللياقات وزناً. إلّا إذا كانت هي كذلك وهي سبب المشكلة.

عامل أم عاطل؟:

ومن الابتلاءات الأخرى التي تبتلى بها بعض الفتيات أو النساء أن ترتبط بشاب أو رجل خامل عاطل كسول، يؤثر الراحة على العمل، والقليل من الكسب على الطموح وتنمية موارده.

إنّ السؤال من عائلة المتقدم لخطبة الفتاة ومن جيرانه ومعارفه عن همّته وطموحه وحبّه للعمل والكسب الحلال، ليس سؤالاً عابراً يمكن المرور عليه، فليس أصعب على المرأة من زوج جليس الدار، أو يستعطي الناس وهو قادر على أن يكدّ ويجتهد لإعالة زوجته وأولاده، فسرعان ما تملّه امرأته وتنفر منه، لأنه يمثل بالنسبة لها طاقة مشلولة يجعلها تعاني الأمرّين في معيشتها، وقد تلعن الشخص الذي عرّفها به، وهي إذ تقارنه بنظائره من الشبان والرجال لا ترى فارقاً من حيث الرجولة سوى أنّه قاعد متقاعد وهم عاملون نشطون.

إنّ نفقة الزوجة على زوجها واجبة، وعلى كلّ شاب أو رجل يتقدم للزواج من فتاة أو امرأة أن يضع في حسابه أن يكفل لها معيشة كريمة لا تجعلها تتطلع إلى ما في أيدي الناس، أو تضطر للعمل من أجل سد النقص الحاصل في دخل العائلة، الأمر الذي يجعل البيت مهملاً في جانبه التربوي.

ولا يعني ذلك أن يكون الخاطب مجرد صاحب مهنة أو حرفة أو وظيفة معينة، بل لابدّ من أن يعمل على تطوير حياته ودخله ووارداته، فالمراوحة أو الاقتناع بالقليل في حين أنّ هناك مجالات للتطوير وتحسين المعيشة؛ يعدّ تهاوناً في حق الزوجة والعيال.

فالسؤال ينبغي أن يكون: **هل له آمال وطموحات واسعة أم آفاقه ضيقة؟** ولا يتبين ذلك في مجرد سؤال، وإنما بالسؤال الدقيق والفحص عن الأدلة على ذلك.

أما إذا كدّ وسعى، ولكن الرياح لم تجر بما تشتهي سفنه؛ فالعذر لله ولزوجته ولمن يعتب عليه في عدم السعي لطلب الرزق.

كريم أم بخيل؟:

صحيح أنّ بعض تصرّفات الأزواج لا تظهر إلّا بعد الزواج والمعاشرة، إلّا أن التحقق من كرم الخاطب وبخله قد يتمّ عبر طريقين: السؤال عن ذلك من معارفه والمقرّبين إليه، وملاحظة استعداده للبذل في سبيل الحصول على فتاة أحلامه.. وإذا كان قد قدّر للفتاة أن تعرفه بطريق مباشر فذلك أفضل.

وقد يتحايل بعض البخلاء ليبدو في أول الأمر كريماً، حتى إذا حصل على بغيته؛ جعل يده مغلولة إلى عنقه، ولابدّ في هذه الحال من التمييز بين (**الكرم**) الفعلي وبين (**التكارم**)، حتى لا تقع الفتاة في ورطة الارتباط بشخص لا ينفق عليها سوى النزر القليل، وربما كان لديه من المال الكثير.

وقد يتباخل بعض الأزواج بحجة رفض الإسراف والتبذير. ويسقطون في دائرة البخل الحقيقي وهم يظنّون أنّهم يقتصدون ويحافظون على قرش البيت الأبيض لليوم الأسود.

والكرم غير الإسراف، فالكرم محبّب والإسراف ممقوت، فإذا ابتليت الفتاة بزوج مسرف، فإنّه يستنزف طاقات البيت وإمكاناته المالية بالهدر والتبذير، وإذا اجتمع زوجان مبذّران فعلى البيت السلام، وكثيراً ما تتراكم الديون بأن تعمد الزوجة إلى تغيير أثاث البيت والسيارة كلّ سنة بدون مبرر سوى تقليد عادة اعتادها بعض أثرياء العصر.

وربما شغفت بشراء الحليّ والجواهر والثياب الفاخرة التي لا ترتديها سوى مرّة أو مرتين في أحسن الأحوال، وسواء ابتليت الأسرة بزوج مسرف أو زوجة مسرفة، فإنّها سوف ترزح تحت ثقل الديون والعجز والملاحقة القانونية.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

ويقول عن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[2] كان الانفاق قائماً بين الأمرين.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**خير نسائكم الطيّبة الريح، الطيّبة الطبيخ**، ـ أي التي تجيد صناعة الطعام ـ **التي إذا أنفقت**

(١) الإسراء: ١٧/٢٩.
(٢) الفرقان: ٢٥/٦٧.

أنفقت بمعروف، وإن أمسكت أمسكت بمعروف، فتلك عامل من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب ولا يندم»[1].

إن البخل رأس الكثير من المشاكل البيتية والعائلية، كما أنّ الإسراف سبب لمشاكل من نوع آخر، وعلى صاحب الدخل المحدود أن يكون دقيقاً وحكيماً في الصرف، فلا يسقط في البخل فيخسر مودة بيته وزوجته وأقاربه وأصدقائه، ولا يفرّط ويسرف.

يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[2].

ويقول أيضاً: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[3]، أي أن من كان معاشه محدوداً؛ فليكن إنفاقه بحسب دخله.

إننا نذكر ذلك هنا، لأنّ معرفة هذه الحال تجنّب الخطيبة أو الزوجة معاناة قد تستمر سنين طويلة.

مخنّث أم رجل؟:

قد تتساهل الفتاة أو المرأة عموماً في بعض الصفات الثانوية لخطيبها أو زوجها، لكنها لا يمكن أن تتساهل في شرط مهم من شروطها وهو (الرجولة)، ونعني بها المروءة والعقل المدبّر، والشخصية القوية، والقدرة على تحمّل المتاعب والمشاق وحلّ المشكلات، وحماية الأسرة ودفع كلّ ما يحدق بها.

إنّ (الرجولة) غير (الذكورة) و(الفحولة)، فما أكثر الذكور

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤. ب٦. ح٦. ص١٥.
(٢) الأعراف: ٣١/٧.
(٣) الطلاق: ٧/٦٥.

وأقلّ الرجال، والفتاة تحتاج إلى رجل تشعر في ظلّه بالاطمئنان، أمّا المخنّث والمائع والمستهتر والمغرور؛ فيبعث في نفسها النفور والتقزّز.

نعم، المائعة المستهترة قد يليق بها مائع مستهتر مثلها، أمّا المرأة بصفة عامّة فهي تطلب (الرجُل الرجُل)، أي الذي تنطوي شخصيته على صفات قيادية تمكّنه من أن يصل بسفينة الأسرة إلى ساحل النجاة والسعادة والرفاه.

إن الزوج الخائف والجبان والمتردّد والضعيف أو الهش سيكون موضع سخرية واستهجان من زوجته، فهي لا تريد أن تضمّ ضعفاً إلى ضعفها وخوفاً إلى خوفها، بل تطلب الرجل القويّ في شخصيته ومواقفه وإيمانه.

الشعور بالارتياح:

قد يكون المتقدّم لخطبة فتاة رجلاً حائزاً على بعض صفات الرجولة التي ذكرناها قبل قليل، لكنّها لا تشعر بالانجذاب إليه ولا تأنس به ولا تغمرها الراحة النفسية والقلبية حين تجلس إليه.

إنّ لتقدير مشاعركِ إزاء من يتقدم لخطبتكِ أثره في نموّ العلاقة وتطوّرها بينكما، ولذلك أثره في اتساع رقعة الحبّ والسعادة بينكما، فلا تتجاهلي أحاسيسك التي يثيرها فيك شريك الحياة، اطرحي على نفسك أسئلة من قبيل:

- **هل هذا هو ما كنت أتمناه وأرغبه؟**
- **هل هو يمثل فارس أحلامي ورب بيتي؟**

- **هل هو ما أبحث عنه من قوة وأخلاق والتزام واحترام؟**
- **هل سأشعر بالفخر والاعتزاز حينما أقترن به وأسير معه والتقي وإياه بالناس؟**
- **هل هذا هو طموحي فعلاً؟ أو هو قريب منه؟**
- **هل توجد فيه الشروط الأساسية من حيث توفر الخلق والدين؟**

إن الإجابة الصريحة على هذه الأسئلة تمكنك من الوصول إلى قرار حكيم.

استبدادي أم مشارك؟:

القرارات في الحياة الزوجية، بل وقبلها وبعدها، هي قرارات مشتركة، فقرار الزواج مثلاً قرار يشترك فيه الطرفان معاً: الشاب والفتاة. وبناء البيت وإنجاب الأولاد والنظر إلى المستقبل، وحلّ بعض المشكلات.. كلّ ذلك لابدّ له من عقلين يشتركان ويتمازجان ويتلاقحان حتى تكون الحياة الزوجية سائرة على سكّة الوئام والسعادة.

فإذا لمست الفتاة، أو عرفت بشكل غير مباشر، أن الذي تقدّم لخطبتها استبدادي وأناني، ولا يسمح لها بأن تبدي رأياً أو تشارك في قرار، فإنّ من الخير لها أن لا تقترن به، إذ كيف يمكن لها أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء قضايا مصيرية تتعلق بشؤون الأسرة وأوضاعها وهي طرف فاعل فيه؟ وعلى الاستبدادي

والأناني أن يتخلّص من عاداته السيئة، والطريق إلى ذلك مفتوح وله آلياته التغييرية المعروفة.

لقد ولّى الزمن الذي كان يخجل فيه بعض الرجال من استشارة زوجته أو استطلاع رأيها في مسألة تخصّها أو تخصّ الأسرة بشكل عام، وكم هو جميل أن يقول الرجل في مسألة من هذه المسائل: أنا أنتظر رأي شريكتي أيضاً، فلي شريكة لا يمكن أن أتجاهل رأيها ما دامت المرأة تصون سرّ زوجها وتمتلك الحصافة والحكمة في البوح في مواضع البوح والتكتم في أماكن التكتّم.

وإذا كان الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «**من شاور الرجال شاركها في عقولها**»[1] يصلح أن يكون قاعدة اجتماعية وسياسية وإدارية، فإنّه يصلح بدرجة مساوية في الشؤون الأسرية؛ فكثيراً ما تكون الزوجة العاقلة ذات آراء مصيبة وحكيمة في تسديد آراء وقرارات زوجها، لأنها تشعر مثله بالحرص على مسؤولية البيت ومستقبله.

تقول صاحبة كتاب (الزواج والعلاقات الأسرية) د.سناء الخولي:

(**من السهل والأنفع أن نختار جيداً بدلاً من أن نحاول تغيير الشخصية بعد الزواج، وهذا لا يعني أن شخصية الزوجين لا تتغير على الإطلاق بعد الزواج، فالتغير يمكن حدوثه من خلال التجربة**

(١) نهج البلاغة. قصار الحكم. ١٦١.

والمجهود الذاتي أو بتأثير شريك الزواج، ولكن هذا التغير لا يحدث إلَّا من خلال سمات وملامح الشخصية الموجودة أصلاً قبل الزواج)[1].

مواصفات عصرية:

أشرنا في كتابنا (الإسلام ومشاكل المرأة) إلى بعض الصفات التي ترى فتيات اليوم وجوب توافرها في الزوج من خلال استفتاء أجرته إحدى المجلات العربية وهذه الصفات هي:

١٠٠٪ أن يكون الزوج متحملاً للمسؤولية.

٣٧٪ ملتزماً دينياً.

٢٩٪ مسايراً للتقدم.

٩٪ وسيماً جميلا.

٣٪ غنياً موسراً.

واتجهت آراء المطلقات إلى أنّ أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الزوج هي:

٨٢٪ منهنّ طالبن أن يكون الزوج متمسكاً بالمبادئ الدينية.

٧٨٪ متحملاً للمسؤولية.

٢١٪ مسايراً للتقدم.

١٠٪ غنياً موسراً.

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية. د. سناء الخولي. ص١٥٩.

١٤٪ وسيماً جميلاً.

وفي الكفاءات العلمية.

١٠٠٪ من النساء يرفضن الأميّ، ونسبة كبيرة تريد الجامعي.

وهناك صفات نالت اهتماماً بدرجات متفاوتة، كالثقافة والأخلاق والاستقرار الوظيفي وقوة الشخصية، والاعتراف بحقوق المرأة، وطيبة القلب، وعدم الغيرة، والأنانية، والتكافؤ في المستوى.

أهم ما يثير إعجابهنّ.. بالشبّان:

وفي استفتاء آخر أجرته بعض الدوائر، سُئلت (٥٧٤) فتاة جامعية عن أهم ما يثير إعجابهنّ في الشبان، فأجبن:

١٥٤ منهنّ بأنه الذكاء.

١٠١ بأنه الاتزان والحديث المنطقي.

٧٥ بأنه حلاوة النكتة.

٧٠ بأنه المرح.

٥٠ بأنه الرجولة.

٤٤ بأنه الرياضة.

أما الباقيات، فكانت الوسامة والثروة أهم ما يعجبهنّ في الشبان.

إن هذه الاستفتاءات وما شاكلها ـ وإن اختلفت من مجتمع لآخر ـ تعكس (ما هو كائن) من الآمال لدى المرأة، والإسلام

يقدم لنا (ما يجب أو ينبغي أن يكون) من صفات وسجايا في شخصية الزوج، وقد وضع شروطاً أساسية وترك الأمور الباقية المتغيرة لتحددها طبيعة المجتمعات وأذواق الناس والمرحلة التاريخية.

التطلّع إلى الرجل المسؤول:

ومن اللافت في هذه الاستطلاعات، أن غالبية الفتيات اليوم يطالبن بـ(**الرجل المسؤول**) وبـ(**الرجل المتدين**) وبـ(**الرجل العصري**)، أي أن القيم الثابتة في الاختيار مازالت هي إيّاها لم تتغير، فالتدين وتحمل أعباء المسؤولية من قبل الرجل كانا ومازالا شرطين أساسيين في الشريك الصالح.

وقد أتيح لنا من خلال قراءة العديد من آراء النساء والرجال بعضهم ببعض، أن نقف على المواصفات التي تحبّها المرأة في الرجل، فلقد لاحظنا أن الفتاة التي تمتلك أباً ذا شخصية قوية تميل إلى أن يكون فتى أحلامها قوياً مثله أو حائزاً على بعض صفاته.

وفي المحصلة، فإنّ ما تجتمع عليه الكثير من الفتيات والنساء هو أن يكون الرجل زوجاً وأباً وأخاً يتمتع بالحنان والعطف والأخلاق الكريمة اتجاه أسرته.

مؤشرات التوافق:

ونضع الآن خلاصة لقائمة (المؤشرات التنبؤية للتوافق

الزوجي)، وهي مؤشرات للتوافق قبل الزواج وبعده، لكننا نقتصر هنا على مؤشرات ما قبل الزواج.

فمن هذه المؤشرات[1]:

أن تكون السعادة في الطفولة مرتفعة، وأن يكون لهما أصدقاء قبل الزواج، وأن يكون المستوى التعليمي متقارباً، والفارق في السن (الرجل أكبر أو في سن المرأة) مع فترة من التعارف، والقدرة على التوافق، والسن عند الزواج (٢٠ للفتيات و٢٢ للرجال)، والمواظبة على الصلاة، وأن لا يكون هناك صراع مع الأب أو الأم، وأن يكون الارتباط بهما وثيقاً، وأن تكون لديهما مراعاة للنظام والدقة ولكن ليس بشكل صارم، وأن تكون المعلومات الجنسيّة مناسبة وصحيحة.. بالإضافة إلى عوامل أخرى لا نجد ضرورة لذكرها.

ونؤكد أن هذه المؤشرات ليست مطلقة، لكنها تلعب دوراً متفاوتاً في هذه العلاقة الزوجية أو تلك. وباختصار شديد، نقول للمقبلين على الزواج شباناً وفتيات، كما قال (فرانكلين): **(افتح عينيك جيداً قبل الزواج، وقليلاً بعده)**. وليس ذلك تقليلاً من المحافظة على سير الحياة الزوجية، وإنما تأكيد على أن دقة الاختيار تجنّب الزواج الكثير من المتاعب والمشكلات المستقبلية.

نادي التعارف الإسلامي:

الأسرة المسلمة المؤمنة الناجحة تبني مجتمعاً ناجحاً. ولكي

---

(١) راجع كتاب (الزواج والعلاقات الأسرية). د.سناء الخولي. ص٢٠١.

تكون الأسرة ناجحة تحتاج إلى إعداد وحسن اختيار وتعارف بين الفتاة والشاب قبل الزواج؛ والتعارف يحتاج إلى مناخ ومكان لائق لاجتماع الفتاة بالشاب، والاجتماع عند الأهل يتم بعد أن يتم التعارف في الخارج بطريقة مهذّبة حيث يتطلّع الشاب إلى مواصفات خاصّة لفتاته المنشودة، كما تطمح هي كذلك ضمن دائرة الإيمان والالتزام.

هنا نطرح فكرة (**نادي التعارف الإسلامي**) وهو تجمّع للفتيات والشبان في أجواء إيمانية يضم نادياً ومكاتب عمل للنصح والإرشاد يشرف عليها علماء دين متخصصون، تقوم بحفظ عناوينهم وملفاتهم وما يطلبونه من أوصاف في شريك الحياة وذلك لتحقيق أفضل صيغة لاقتران الشاب بالفتاة وتجنيبهما علاقات السوء والانحراف.

هذا مشروع ينبغي البحث فيه بجدّية ورصانة لضمان نجاحه قبل إطلاقه.

الحب قبل الزواج وبعده:

هل الحب شرط ضروري للدخول إلى الزواج؟ وهل يشكّل ضمانة لدوام الزواج ونجاحه؟

لابدّ لنا من دراسة الحبّ وما هو المقصود بـ(الحب)؟ هل هو الذي تعارف عليه البعض في هذا العصر بأنه الجنس، حتى إذا أراد أحدهم ممارسته قال للطرف الثاني: دعنا نمارس الحبّ؟ أو هو العلاقة العاطفية التي تشوبها الكثير من الإشكالات الشرعية من حيث اللمس والنظر والتقبيل والخلوة المحرّمة؟

أو هو هذه الرابطة الإنسانية التي تمثل الانجذاب الفطري بين الجنسين يقوّيها الاعجاب الشديد والانسجام والرغبة بالزواج والعيش مع الطرف الآخر حيث يرى كلٌّ منهما أن السعادة لا تتم إلّا معا ويؤدي ذلك إلى الزواج؟

الأخير هو الحبّ السائغ في الإسلام.

ما هو الحبّ؟:

الحب جاذبية نحو مخلوق أو شخص أو شيء يكمّل نقصاً، أو يسدّ فراغاً كبيراً في عقولنا وقلوبنا وعواطفنا، وميل شديد إلى ذلك الشخص يؤدّي إلى تركيز المشاعر والفكر فيه، ومحاولة الفوز به والسعادة بقربه سعادة معنوية وحسّية، حيث يمتزج بقلوبنا ودمائنا ومشاعرنا وعقولنا، ويصبح جزءاً منّا لا نطيق فراقه ولا نتصوّر أنفسنا بدونه.

ويقول أهل المعرفة أنّ أوّل الحب (**الموافقة**) ثم (**المؤانسة**) ثم (**المودة**) ثم (**الهوى**) ثم (**الشغف**) ثم (**التيم**) ثم (**الوله**) ثم (**العشق**).

العشق هو الإفراط في المحبّة.. ولكن!:

العشق هو الافراط في المحبّة والميل الكلّي نحو المحبوب، والمذموم منه هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني، وهو يزول بالوصول والاتصال، وهو العشق الشائع في الغرب، والممدوح منه هو العشق الإنساني النفساني الروحاني، وهو أكمل وأبقى وأروع، وهو الشائع في الشرق، وهو الذي يفجّر ينابيع النبوغ

والإبداع ويصقل الأحاسيس والمشاعر، وهو الذي يؤثر عن رسول الله ﷺ قوله فيه: «**من عشق وكتم وعفّ وصبر؛ غفر الله له وأدخله الجنّة**»[1].

وهذا اللون من الحب يهذّب الطباع، فلقد قيل لأحدهم: إنّ ابنك قد عشق، فأجاب: (**أي بأس به؟ إنّه إذا عشق؛ نظُف وظَرُفَ ولَطُف**)!

وقال أبو عثمان الجاحظ: (**قد ترى الأعرابي وظاهره الجفاء، فما هو إلّا أن يعشق؛ حتى تجده أرقّ من الماء وألطف من الهواء**).

ولهذا سمّي الحبّ بـ(**المعلم**) و(**المربّي**)، حتى لقد قيل إنه كان لأحد الملوك ولدٌ شاب ذو طباع فظّة خشنة، ولم يكن يفلح في تربيته المعلمون والموجهون، فأغرى الملك به امرأة حسناء، فأعجب بها ورقّت طباعه وألفاظه وسَمَتْ نفسيته.

وفي (الكشكول): قال إفلاطون: (**الحب غريزة متولّدة في نفس الإنسان، يُحدث للشجاع جُبناً، وللجبان شجاعة، وتكسب كلّ إنسان عكس طباعه**).

أخلاقيات الحبّ:

والحبّ بعد ذلك ليس انفلاتاً غرائزياً بلا حدود، فالمرأة الحبيبة إذا رأت الرجل يحترم نفسه وشخصيته وكبرياءه وكرامته، فلا يتماوع ولا يتضرّع أو يضعف أو يسقط أو يتمرّغ على أعتابها،

---

(١) كنز الكراجكي. ح٧٠٠٢.

تعرف أنّه يمتلك سمات الرجولة، فتحبّه أكثر، وتتعلّق به أكثر، كما هو حال (زليخا) زوجة العزيز مع يوسف عليه السلام.

وكذلك الرجل، فكلّما رأى المرأة محافظة ممتنعة صائنة لنفسها معتصمة بعفافها؛ شغف بها أكثر، وكلّما رآها سهلة مبتذلة مائعة؛ زهد بها ونظر إليها بازدراء.

(قيل إنّ أعرابياً من بني أسد نزل ببيت أعرابية من بني تميم ضيفاً، فأتته بطعام وماء بارد، فجعل ينظر إليها من وراء الستر، ثم راودها عن نفسها فقالت له: يا هذا، أما يقرّعك (يعنّفك) الإسلام والكرم؟! كلْ، وإن أردت غير ذلك فارتحل. فقال لها: زوجيني إذاً نفسك؟ فقالت: الأولياء (تعني أولياء أمرها) يزوّجونك، فزوّجوه)[1].

(وقال أعرابي من فزارة: عشقت جارية من الحيّ، فحادثتها سنين كثيرة، والله ما حدّثتني نفسي بريبة قطّ، سوى أن خلوت بها، فرأيت بياض كفّها في سواد الليل، فوضعت كفّي على كفّها، فقالت: مه (أي كفّ وتوقف) لا تفسد ما صلح.. فارفضّ (سال) جبيني عرقاً ولم أعد)[2].

وقد يتعجب بعض شبانُ هذا العصر وفتياته من هذه الحالة وهذا النوع من الحب، لأن النوع السائد والطاغي هو حب (الالتحام الجسدي) لا التفاهم والانسجام العاطفي، وحال

---

(١) اخبار النساء. ص٧٤،٧٥.

(٢) طرائف ونوادر. ج١. ص٩٤.

المتعجبين يشبه حال ذلك الأجنبي الذي سمع أن (عنترة بن شداد) يتغزّل بحبيبته (عبلة) ويقول:

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّمِ

فقال: وعلام هذا الحرمان الجنسي الفظيع؟ أما كان يمكنه أن يمارس الحب معها حتى لا يحتاج إلى تقبيل السيوف؟! ظناً منه أن (عنترة) كان يعبّر عن حالة كبت جنسي لا حالة إعجاب وانجذاب نفسي وجداني وابداع شعري.

ولعلّه معذور لأنّه لا يفهم الحبّ إلّا جنساً، بل إن المطرب الفرنسي (شارل أزنافور) حينما يفرّق بين نوعين من الحب (الأميركي) و(الفرنسي)، فإنه لا يخطر على باله سوى طريقة ممارسة الجنس، حيث يقول: (**إنّ الفرق في الحبّ بين الأميركيين والفرنسيين هو الفرق نفسه في تناول فنجان القهوة: الأميركي يشفطها بسرعة رغم كبر الفنجان، ثم يسرع نحو هدف آخر. والفرنسي يتذوّقها على مهل مع أن الفنجان صغير**)[1].

أنواع الحب:

شتّان بين الحب الشبقي والخاطئ، والحب النبيل الباعث على الزواج. والحب بين الرجل والمرأة أنواع، هي:

أ) الحبّ الخاطئ الدافع إلى الفاحشة والزنا والتحلّل من

(١) مجلة (الحوادث) العدد ١٢٠٢. ص١٢٤ في ١٦/١١/١٩٧٩.

المحرّمات جرّاء الغريزة الحيوانية المستعرة التي تجعل صاحبها أعمى لا يرى إلّا إطفاءها وهو الشائع في أسواق البغاء.

ب) **الحب الشبقي**، القائم على الرغبة الجسدية، وهو شكل من أشكال الشهوة والغلمة، وهو انهماك في البهجة الحسّية وحسب، وقد جعل الإسلام حلّاً لهذا النوع من الحب بتشريع الزواج المؤقت بين الجنسين فضلاً عن الزواج الدائم.

ج) **الحبّ الباعث** على الزواج الدائم والسعادة الزوجية الكاملة حيث جاء عن النبي ﷺ: «**من تزوج فقد أحرز نصف** ـ وعلى رواية ثلثي ـ **دينه؛ فليتّق الله في النصف** ـ الثلث ـ **الآخر**». علماً أن نتائج هذا الحب ـ وهو الزواج الدائم ـ تتيح تمام الاستقرار والبهجة وبناء الأسرة.

وهذا هو الحب السامي النبيل الذي ينظر فيه كلٌّ من الحبيبين للآخر نظرة إعجاب واحترام، وهو السبب في الكثير من الإبداعات الإنسانية، وهو الذي يهذّب النفس والأخلاق والمشاعر والعادات، ولهذا قال (برتراند رسل): **(الحبّ شيء أسمى من الميل إلى الأمور الجنسية)**[1].

بل إن الإباحية الجنسية والتكالب على الملذات الجسدية كثيراً ما تضعف الحب الإبداعي الذي طالما ألهم الشعراء والفنانين والأدباء أروع إبداعاتهم، ذلك أننا نميّز بين (الحب) و(الجنس).

---

(١) الضوابط الاخلاقية. د. الشهيد مطهري. ص٨٩.

فالحبّ ـ بما هو انجذاب للآخر ـ ميل فطري غريزي في أعماق كلّ رجل وامرأة، وقد حثّ الإسلام على الحبّ كعاطفة إنسانية نبيلة لا تربط جنساً مع جنسٍ آخر فقط، بل تربط أفراد النوع الإنساني بعضه مع البعض الآخر.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف هذه العاطفة الإنسانية ـ في بعدها الأوسع ـ بالقول: «**وهل الدين إلّا الحبّ**» أي أن حب الله عزّ وجل حينما يشعّ في ذات الإنسان يشمل حبّ الإنسان والمخلوقات كلّها فضلاً عن الحب بين الجنسين.

والحبّ بين الشاب والفتاة بصفة خاصّة، وبين المرأة والرجل بصفة عامّة، هو انجذاب غريزي لا غبار عليه، فهو أشبه شيء بالمغناطيسية التي تجذب كلّ جنس إلى الجنس الآخر، وبالاقتران الزوجيّ تحصل حالة التكامل التي ينشدها كلّ منهما في قرينه.

إن الإسلام لم يحرّم الحب على مستوى العلاقة الجنسية، بل نظّمه وحدّد له طرقاً إيجابية حتى لا يتحول إلى بركان مدمّر، وإلّا فلو كان الحبّ محرّماً لما كانت دعوة الإسلام للزواج مبرّرة، ولكان حقّ للشاب الذي تعصف به غريزته، والفتاة التي تتشوق لمعاشرته أن يتساءلا: كيف يمكن لنا تصريف هذه العواطف الجامحة؟ ولما كان للغريزة من مبرر موضوعي إلّا أن تكون سبباً في تعذيب من تستعر رغباتهم ولا يجدون لها منافذ للتخفّف منها.

لهذه الأسباب، كان المشرّع الإسلامي عملياً وواقعياً وموضوعياً في تعامله مع حالة التعارف بين الجنسين أو ما يسمّى بـ(الحبّ).

الحب .. نظرة فقهية: جواز إظهار المحاسن أمام من يريد التعرّف بهدف الزواج فقط:

يؤكّد الفقهاء على جواز التعارف والنظر المتبادل البريء لتفحّص المرشح لشراكة الحياة، كما يجوّزون للفتاة الكشف عن شعرها ويديها أمام من يريد التعرف عليها للزواج منها.

جاء في الفتاوى أنّه: (**يجوز أن ينظر كلٌّ من الخطيبين أو الباحثين عن الزواج إلى الآخر بالنظر الفاحص بدون تلذذ أو رغبة جنسية، كما لو كانا في جو عائلي، وذلك من أجل التعرّف المتبادل العام قبل الزواج. كما يجوز للفتاة أن تخلع حجاب شعرها أمام من جاء يخطبها ولو لمرة واحدة**)[1].

وقال بعض الفقهاء بجواز النظر إلى محاسنها كلّها، وهي الشعر والرقبة والساعدان والساقان، واستدلّوا بقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾[2].

لذا فعلى الأهل ـ ضمن أجواء جدّية ـ تسهيل زيارة الشاب إلى بيوتهم للتعرّف الشخصي على فتاة أحلامه، ذلك أن هذه الفسحة الشرعية الممنوحة تعطي للجنسين فرصة التحقق من أنهما لم يخدعا في خيارهما ولم يدلّس عليهما، فيقدمان باطمئنان وثقة نحو الزواج، و(**ما راءٍ كمن سمعا**).

هذا التعارف الشخصي حقّ شرعيّ للطرفين. قال الفقهاء:

---

(١) راجع (الفقه للمغتربين). الفصل السابع الخاص بالزواج.
(٢) الأحزاب: ٣٣/ ٥٢.

(يحقّ لكلّ من الرجل والمرأة النظر إلى محاسن الآخر ومحادثته للتعرف عليه قبل الزواج منه، كما يحقّ للرجل رؤية وجه الفتاة وشعرها ورقبتها وكفّيها وساقيها ومعصميها وغير ذلك من محاسن جسمها من أجل الزواج، بشرط أن لا يقصد بذلك التلذذ الجنسي، وينصح الأهالي بتسهيل ذلك للشبّان والفتيات في جو من الآداب واللياقات)(١).

إننا نفهم من هذه النظرة الشرعية الواقعية أنّ ما يهمّ الشاب والفتاة هو الاطمئنان النفسي الناجم عن الشعور بالرضا لما يراه كلٌّ منهما في لقائه بالآخر عن كثب، وبدلاً من أن يمنع الأهل حقاً شرعياً أباحه الإسلام برحابة صدره، فيُلجئون شبّانهم وفتياتهم إلى اللقاء في الخفاء بعيداً عن أعين الرقباء؛ يمكنهم أن يكونوا عوناً على تيسير سبيل اللقاء الجاد، وقطع الطريق على الاحتيال والتجاوز والوقوع في المحرّم.

أمّا ما يقال من أنّ هذا اللقاء ليس كافياً، ولابدّ من إتاحة المجال للقاء أو لقاءات أوسع خارج المنزل أو خارج رقابة الأهل أو المراكز الدينية ونوادي التعارف الشرعية، فإنّ التجارب أثبتت أنّ اللقاءات المعزولة ليست غالباً مأمونة، وقد يقع الخطيبان في المحذور الشرعي إنْ اختليا.

نعم، يمكن من الناحية الشرعية حلّ هذه الإشكالية، بأن يعقد الخطيبان عقداً منقطعاً برضا والد الفتاة تشترط فيه الفتاة عدم الدخول حتى يتسنى لهما التعارف أكثر في إطار شرعي سليم، فإن

---

(١) الفقه للمغتربين. الفصل السابع الخاص بالزواج.

حصل الدخول تحمّلا مسؤولية الزواج التام وعلى الشاب أن يدفع لها تمام مهرها المتعارف.

الحبّ أقوى من الجنس:

الحب لا يوقّت بلحظات، كما هو الجنس الذي يعتبر قصير العمر قياساً بالحب الذي لا تنطفئ شعلته. أما الغريزة فهي غليان واشتعال ينطفئ، وإذا ما أشبعت خمدت وبردت، كالجائع إذا امتلأ بالطعام عافه وأعرض عنه.. لكن الجنس الذي يكتنفه الحب هو التعبير الأبهى عن العلاقة الحميمة بين الزوجين.

إنّ أحكام الإسلام في الحجاب والصون والمحافظة على العفة والاحتشام هي التي جعلت الحبّ السامي المبدع يقوى ويبرز في الشرق زارعاً روح التضحية والإيثار ونكران الذات والتفاني في خدمة المحبوب، في حين أطاحت به الإباحية العصرية حتى تحوّل أنانية واغتصاباً واشتهاءً جسدياً لا يرتبط كثيراً بشخص المحبوب وروحه، حتى شاع القول بأنّ الرجل في الغرب يرى المراة باستمرار قبل الزواج، فإذا تزوج بها لم تعد تراه، وأنّ الرجل في الشرق لا يرى المرأة قبل الزواج، فإذا تزوج بها بقي يراها طيلة حياته!!

أليس الانطلاق من حبّ الله إلى حبّ الشريك، والانغمار بقداسة حب الله وكلماته، هي التي تجعل الزواج الذي يمثل صورة الحب الأجمل في بعديه (النفسي) و(الجسدي) أشبه بالعبادة في محراب الشكر والثناء على نعمة الحب والمحبوب؟!

فالحب بين الزوجين اللذين جمعتهما كلمات الله وشريعته،

هو الذي يجعلهما يتجرعان غصص الحياة ومرارتها بصبر ورضا تام وسعادة.

وسواء وصل الحب درجة الرضا بالزواج أم لم يصل إلى كماله وبقي المحبّان محرومين، فإنّ ما يجب أن يحكمه هو أجواء العفّة والطهارة والتقوى، وفي ذلك يقول الشهيد مطهري: (**فكلا النوعين زهرتان ناعمتان تنموان وتتفتحان فقط في مجتمع تحكمه خصلتا العفاف والتقوى**)[١].

وقال الشريف الرضي، في وصف الحبّ مع التقوى:

بتنا ضجيعينِ **في ثوبي هوىً وتقى** يلفّنا الشوق من فرعٍ إلى قدم!![٢]

الحبّ والجنس في الحياة الزوجية:

الحبّ والمودّة ليسا حالة جسدية فقط.

يجب أن يفصل الشابان أو الخطيبان أو الزوجان بين (الحبّ) كعاطفة وبين (الجنس) كشهوة، وقد ينبري أحدهما ليسأل: وكيف أمارس الجنس مع من لا أحبّ؟

أي أنّ المعترض يقول بعدم إمكانية الفصل بين الحب والجنس، لكننا نرى أنّ الحب في الجنس كالحب في الطعام، ما هو إلّا حالة اشتهاء غريزي يحتاج إلى تلبية، فإذا لبيت حاجة الغريزة؛ نامت قريرة العين، كما هو حالك مع معدتك، أي أنّ هناك ميلاً فطرياً إلى الطعام وإلى الجنس على حدّ سواء.

---

(١) الضوابط الأخلاقية. د. الشهيد مطهري. ص٩٣.

(٢) ديوان الشريف الرضي. ص٢٧٤.

لكنّ الحبّ بين الجنسين والذي يعبّر عنه القرآن بـ(المودّة) ليس حالة شهوانية أو أنانية أو افتراسية، وإنّما هو ميل نفسي وتعلّق قلبي وانجذاب متبادل لخصال المحبوب أكثر من التعلق بجسده، وقد يلعب الجسد الجميل مع الخصال الجميلة دور مضاعفة الحب، وإلّا فالذين يرتادون دُور البغاء ينقلون صورة بائسة عن ممارسة الجنس، فهم يعتبرونه عملية آلية باردة يعقبها شيء من الندم وربما القرف.

في حين أن الحال تختلف مع الجنس الزوجي، فكلما اقترب الزوج من زوجته شعرا بالحميمية أكثر، وتدفق ينبوع الحب من جديد، وسرت حرارة الوصل والاتصال إلى ما بعد اللقاء.

إنّ الجنس بين الزوجين يأخذ شكلاً آخر من حالة الرضا والإرضاء، فهو عملية تشترك فيها (النفس) و(الجسد)، أما في العلاقات الجنسية العابرة، فعملية لقاء جسدين ملتهبين لا تستمر سعادتهما طويلا.

وخلاصة القول، إنّ الحب قبل الزواج إن لم يكن محكوماً بالحكم الشرعي الذي يجيز اللقاء، فإنّه غالباً ما يؤدي إلى الوقوع في المعصية، ويسبب التوتر والأزمات النفسية والخوف من فقدان الحبيب والتألّم من هجرانه، والغيرة من لقائه بالناس، وهو في الغالب عواطف جياشة وأحياناً غير ناضجة خاصة في علاقات المراهقين العاطفية.

الحبّ والجنس.. أعرابية وأعرابي يصفان الحبّ والجنس:

سئلت أعرابية عن صفة الهوى، فقالت:

الـحـبُّ أوّلـه مـيـلٌ تـهـيـم بـه نفسُ المحبّ فيلقى الموتَ كاللعبِ
يكون مبدؤه من نـظرةٍ عـرضـت أو مزحةٍ أشعلت في القلبِ كاللهب
كالنـارِ مبدؤها من قـدحةٍ، فإذا تضرّمت أحرقت مستجمعَ الحطب

وقيل لأعرابي: أتعرف الزنا؟ قال: وكيف لا؟ قيل: فما هو؟ فأخبرهم بأنه: لثم العشيقة والأخذ من الحديث بنصيب. قيل: ما هكذا نعدّه فينا! قال: فما تعدّونه؟ قيل: النقّ الشديد.. وصوت يوقظ النوّام.. وفعل يوجب كثيراً من الآثام. قال: لله!! ما يفعل هذا العدو البعيد، فكيف الصديق الودود؟!

هل القبلة والحديث مع المرأة محرّمان؟!:

انظروا إلى هذا الأعرابي الذي اعتبر مجرد القبلة محرّماً، والحديث مع المرأة بقصد الرغبة زنا وفاحشة، وهو يربأ بمن يحب ـ فتاة أو امرأة ـ أن يعرّضها إلى جريمة الزنا، فمن يودّ امرأة ويحبّها فليحافظ عليها وعلى كرامتها وعفّتها وسمعتها، وإذا أراد الاقتران بها فباب الزواج مفتوح، والعقلاء يقولون ـ كما علّمهم القرآن ـ: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[1].

عجباً لبدوي في الصحراء يفقه نسبياً معنى الطهر، ويغرق متحضّر بالفاحشة وهو يدّعي العلم والثقافة والتطوّر!

ويبقى الحب العفيف قبل الزواج. الحب الذي تتأسس عليه بيوت الزوجية، هو الحب الذي نريده ونشجّع عليه، وإلّا فالإنسان ـ كبيراً كان أم صغيراً ـ هو بغير الحبّ كما قال الفنان (ڤان غوغ):

---

(١) البقرة: ٢/ ١٨٩.

أشبه بمصباح لا يضيء.. إنّ المصباح قد يكون سليماً لا عيب فيه، خزانته مليئة بالزيت، ولكنّه يظلّ وكأنْ لا وجود له حتى تمسّه هذه الشعلة القدسية، فتجعله يشعّ نوراً وضياء، وتمكنه من تحقيق رسالته التي وجد من أجلها.

نتائج العلاقة الجنسيّة بشكليها: الحبّ والرغبة الجسدية:

للعلاقة الجنسية إذاً شكلان:

أ) الشكل الإباحي الناتج عن الشهوة والرغبة الجامحة في الجنس الذي لا ضابط يضبطه، وهو علاوة على أنه زنا محرّم، فإنّ نتائجه السلبية كثيرة وخطيرة، سواء في اختلاط الأنساب والإجهاض والاغتصاب، والاعتداء على الأطفال، أو المثلية الجنسية التي تفوق الزنا خطورة.

ب) الشكل الشرعي الناتج عن الحبّ والتفاهم العميق بين الشريكين، وهو الشكل الصحيح، وله مردودات نفسيه وجسدية طيبة على كلّ منهما وعلى ذريّتهما أيضاً.

آراء خاطئة:

ولابد من الإشارة إلى أنّ بعض النساء يتحرّجن من العلاقة الجنسية، وربما يتقززن منها جرّاء التربية الخاطئة، والنظر إلى الجنس على أنه عمل قذر ومنحطّ.

وهناك من النساء من يعتبرن أن الحب العذري يجب أن يبقى مستمراً بعد الزواج، وأن الجنس يسقط معناه السامي، ويزيل السموّ الروحي للحب.

فيما تعتبر نساء أُخريات أن الجنس إثم، فيشعرن بعد ممارسته بالذنب جرّاء الإيحاء الأسري السابق على الزواج بأنّ الجنس محرّم بشكل مطلق.

وهذه الآراء والمشاعر خاطئة كلّها، فهي تبالغ في الفهم السلبي للجنس ودوره الطبيعي في حياة كل من الرجل والمرأة. فلقد أثبتنا أن الثقافة الزوجية، والجنسية منها على الخصوص، ثقافة ضرورية لكل من الشاب والفتاة، حتى يتجاوزا النظرات السلبية لما هو صحيح وشرعي ومحبب، ولكي لا يدخلا في الدين ما ليس فيه.

ديانة الخطيبين.. الزواج بالمسلمة أولى من الزواج بالكتابيّة:

مرّ معنا أنّ الشرط الأساس في انتخاب الشريك شاباً كان أم فتاة، رجلاً أم امرأة، هو (**الدين**)، لأنّه العاصم الأكبر من انتهاك حقوق الزوجية بالتعدّي أو الانتقاص، ولأنّه المساعد الأكبر على الالتزام بواجبات الحياة الزوجية من قبل كلّ من الشريكين.

ولكن ثمة مشكلة تواجهنا اليوم، وهي ازدياد حالات الإقبال على الزواج بغير المسلمات، ولسنا هنا في صدد مناقشة الأسباب التي تمنع المرأة المسلمة بالزواج بغير المسلم، فذلك ما فاضت به كتب الفقه والعقيدة حيث جعل الإسلام القيمومة والإشراف على الأسرة وقيادتها في النهاية للزوج، وجعل حسم الخيارات عند تنوّع واختلاف إرادتي الزوجين، للزوج، حتى تستقرّ الأسرة، برجوع قراراتها في النهاية ـ ولو بعد تشاور الزوجين ـ إلى مرجع وقيادة واحدة هي التي تدفع ضريبة القرارات بالإنفاق والمال، فإن

تزوّجت المسلمة بغير مسلم، فإنّ الخيارات في الأسرة ومصيرها سيحسمها الزوج ـ بحكم قوّته الطبيعية وقيمومته التشريعية ـ لغير مصلحة الإسلام، ومهما يكن فإنّ الإسلام حرَّم على المسلمة الزواج بغير المسلم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[1].

وأمّا زواج المسلم بكتابيّة (يهوديّة أو نصرانيّة)..

ففي رواية (معاوية بن وهب) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **سألته عن الرجل المؤمن يتزوّج النصرانية واليهودية، فقال عليه السلام: «إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنصرانية؟» قلت: يكون له فيها الهوى! قال عليه السلام: «إذا فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، واعلم أنّ عليه في دينه غضاضة»**[2].

ومن هذه الرواية يمكن استخلاص النقاط التالية:

١ ـ الزواج بالمسلمة أولى من الزواج بالكتابية، ذلك أن اجتماع المسلمين (الرجل والمرأة) في بيت الزوجية سينتج عنه نسل مسلم تكون بينه وبين أبويه لغة تفاهم مشتركة في الفكر والعقيدة والدين والشريعة...

٢ ـ إن الزواج بالكتابية لا يخلو من متاعب أخرى، فعلى المتزوّج بها أن يمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وهي ترى عدم المانعية من ذلك، كونها تستحلُّ الخمر ولحم

(١) الممتحنة: ٦٠/١٠.

(٢) البحار. ج١٧. ص٣٨٠.

الخنزير (ما عدا اليهودية فإنها لا تأكل الخنزير) ما يخلق صراعاً بين جوّين ومزاجين وعادتين وخلفيّتين وخلقين مختلفين، وإذا بالذي يتزوّج الكتابية ـ وهو يريد السعادة ـ يواجه المتاعب منذ البداية، فإما أن يعمل على أن يجعل منها مسلمة حتى تتفق معه في دينه وعقيدته، أو أن يتركها على دينها فيعاني الازدواجية، أو أن يطلقها.. وهذا يعني أنّ هذا الزواج فاشل.

أشكال الزواج الأخرى: المدني.. المؤقت.. والزواج بالكتابيّة:

وطالما أن البحث تطرّق إلى صيغة الزواج المعهودة، فإننا لا يصحّ أن نغمض الطرف عن أشكال وصيغ الزواج كلّها، وهي على أشكال أهمها:

١ ـ الزواج المدني.

٢ ـ الزواج المؤقت.

٣ ـ الزواج بالكتابيات.

٤ ـ زواج المسيار.

وسنناقش كلاً من حالات الزواج هذه من منطلق فقهي، علماً أن الزواج بالكتابيات هو زواج دائم لا فرق بينه وبين الزواج بالمسلمات، لكننا أحببنا أن نفرد له زاوية خاصة لما يتعلق به من ملابسات وإشكاليات.

١ ـ الزواج المدني:

في خصوص الزواج المدني ترد الإشكالية في العقد والشروط والمغزى، فهو زواج يختلف عن الزواج الإسلامي في كونه لا يشترط اتحاد الدين، ومن هنا نقطة الافتراق الكبرى.

فإذا توافق الوضع الديني بين الخطيبين فهل تكفي أي صيغة لإتمام عقد القِران، أم لابد من صيغة شرعية خاصة كقول المرأة للرجل: (زوجتك نفسي على المهر المتفق عليه) وقول الرجل: (قبلت التزويج هكذا)؟ وهل تجوز غير الصيغة المتعارفة كأن يقول القاضي في المحكمة المدنية: (هل قبلتما هذا الزواج؟) فيقولان: (نعم)، فهل يكفي ذلك شرعاً؟

اختلف الفقهاء، فقال بعضهم بأنّ الزواج يمكن انشاؤه بأي لفظ يدل عليه بشكل واضح لا لبس فيه ويعبّر عن إرادة الطرفين الملزمة كأي عقد من العقود الأخرى حتى بالكتابة المبيّنة لمعنى الزواج، وقال آخرون بوجوب الصيغة كأمثال (زوجتك) و(قبلت) بصيغة الماضي.

والمعروف في الزواج المدني اشتراطه أن يكون طرفا العقد بالغين، عاقلين رشيدين، حسب معنى البلوغ والرشد المتعارف في العالم، ولا يشترط غير ذلك.

بينما الإسلام يشترط عدم الزواج بالملحدة أو الملحد وهما اللذان لا يؤمنان بدين، أو عدم الزواج بالتي تدين بدين غير سماوي كالبوذية والهندوسية، وإلّا كان الزواج باطلاً.

فهناك إذاً خلل في شروط الزواج المدني، فقد يكون صحيحاً وقد يكون باطلاً.

كما أن فسخ عقد الزواج في الزواج المدني يخضع للقوانين المدنية المتبعة لدى هذه الدولة أو تلك مما يرفضه الشرع الإسلامي، لأن إنهاء الزواج الدائم لا يتم في الإسلام إلّا بالوفاة أو بالطلاق، وإجراءات الطلاق في الشرع الإسلامي ـ كما سيتبيّن لاحقاً ـ تخضع لشروط معينة.

وباختصار، فإنّ الزواج المدني يختلف شكلاً ومضموناً عن الزواج الشرعي الإسلامي.

وأما الحديث في مغزى الزواج المدني، فإنه يرمي إلى هدم الأديان في بناء الأسرة الروحية، وضياع الهويّة الدينية تمهيداً لبناء مجتمع علماني ينفصل عن الدين.

٢ ـ الزواج المؤقت:

وهو زواج شرعي شأنه شأن الزواج الدائم، مع اختلاف في بعض الشروط، وقد جاء تشريعه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

---

(١) النساء: ٤/ ٢٤ ـ ٢٥.

والآية كما يرى مفسّرو الإمامية تدلّ على الزواج بشقيه (الدائم) و(المؤقت) وأن تفسيرها بالمؤقت (المتعة) ورد عن (ابن عباس) كما ورد ذلك في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأجمع المسلمون أنه كان مشرّعاً زمن الرسول ﷺ لكنهم اختلفوا هل حرّمه الرسول ﷺ بعد ذلك، أو حرَّمه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؟

والزواج المؤقت ربما أريد به دراسة طباع الشريكين في فترة الخطبة، وحتى لا يقع الخطيبان في المحاذير الشرعية. كما أريد به أن يكون زواجاً آخر يفسح مجال التحصين أمام من يعانون الضغوطات الجنسية ولا تتاح لهم فرصة الزواج الدائم، وليس أمامهم سوى أحد طريقين:

إما السقوط في أحضان الزنا والبغاء، وإما اعتماد شكل شرعي آخر للزواج ليس فيه بعض شروط الزواج الصعبة، كالإنفاق بالنسبة لمن لا يجد إمكانية ذلك.

فعن محمد بن الفيض، قال: **سألت أبا عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام) عن المتعة، فقال: «نعم، إذا كانت عارفة».**

قلت: جعلت فداك، فإن لم تكن عارفة.

قال: «فاعرض عليها، وقل لها، فإن قبلت؛ فتزوجها، وإن أبت أن ترضى بقولك؛ فدعها.. وإيّاك والكواشف والدواعي والبغايا وذوات الأزواج!!».

فقلت: ما الكواشف؟

قال: «اللواتي يكاشفن وبيوتهنّ معلومة ويؤتين».

قلت: فالدواعي؟

قال: «اللواتي يدعين إلى أنفسهنّ وقد عرفن بالفساد».

قلت: فالبغايا؟

قال: «المعروفات بالزنا».

قلت: فذوات الأزواج.

قال: «المطلقات على غير السنّة»[١].

فالإمام الصادق عليه السلام ـ بحسب هذا الخبر ـ يحدّد طرق التعامل مع هذا التشريع الذي قد يساء استخدامه كما في الكثير من بلدان العالم، حيث يجري مع العديد من غير العارفات.

فالإمام عليه السلام في هذا الخبر يجيب بالإيجاب عن زواج المتعة، لكنّه يشترط الشروط التالية حتى يكون الزواج صحيحاً:

أ) **المعرفة**، وقد أوضح عليه السلام معنى أن تكون المتزوجة زواجاً منقطعاً في جوابه على سؤال السائل: فإن لم تكن عارفة، إي إذا كانت جاهلة بمعنى العقد المؤقت وشروطه، حيث قال له: «**فاعرض عليها وقل لها فإن قبلت فتزوّجها**»، أي اعرض عليها طبيعة هذا الزواج وشرائطه، حتى إذا اقتنعت به ورضيت؛ فأقدم. أمّا إذا رفضت ذلك لسبب أو آخر؛ فأحجم. أي امتنع عن الارتباط بها ولو على النحو المؤقت.

---

(١) وسائل الشيعة. ج٢١. ص٢٨.

ب) النهي عن الزواج بأربعة أصناف:

١ ـ **الكواشف**، ممن يكاشفن الرجال بالمعاشرة غير الشرعية ولهنّ بيوت معلومة تقصد من قبل بعض الرجال الذين يتعاطون الفحشاء.

٢ ـ **الدواعي**، اللواتي يدعين الشبان والرجال إلى ممارسة الجنس معهنّ بدون عقد زواج، وهنّ معروفات بالفحشاء والفساد.

٣ ـ **البغايا**، وهنّ المشهورات بالزنا كبائعات الهوى.

٤ ـ **ذوات الأزواج**، اللواتي مازلن على ذمة أزواجهنّ لأنهنّ لم يطلّقن طلاقاً إسلامياً على ضوء تعاليم السنّة المطهّرة؛ ويدخل في ذلك المطلّقات طلاقاً مدنياً.

وهذا يعني دقّة التحري في زواج المتعة، فلقد استسهله البعض متجاهلاً ضوابطه، فوقع في الكثير من المحرّمات والمنهيات التي جعلت منْ يقفون ضد هذا النوع من الزواج موقفاً مناهضاً يتذرعون بهذه الذرائع والأرقام المسيئة لهذا التشريع.

شروط الزواج المؤقّت:

وللزواج المؤقت، كما الزواج الدائم، شروطه التي يتعيّن على الآخذين به العمل بها ومراعاتها مخافة الوقوع في الزنا بعنوان شرعيّ:

١ ـ هناك رأيان في الفقه الشيعي حول الزواج بالفتاة البكر زواجاً مؤقتاً: رأي يقول باستقلالية البالغة الرشيدة في أمر زواجها،

ورأي يقول بضرورة استئذان الأب والجد للأب في ذلك. وعلى أية حال، يمكن لكلّ مقلِّد أن يرجع إلى مقلَّده ومرجعه الفقهي في ذلك، ولكننا لا ننصح الفتاة البكر بممارسة الجنس قبل الزواج، لا لأنّ المسألة خلافية، ولكن يكره زواج البكر زواجاً مؤقتاً كما في بعض الروايات، فضلاً عما قد تعانيه من نظرة المجتمع غير الإسلامية لسابقة زواجها المؤقت.

٢ ـ لا يجوز للمرأة التي ترتبط بهذا الزواج، ولم تبلغ سن اليأس إذا دخل بها الزوج وانتهت مدة الزواج أن تتزوج إنساناً آخر، إلّا بعد مرور حيضتين وهي عدة المؤقت، والعدّة أساسية في الزواج المنقطع للمرأة المدخول بها، مثلما هي أساسية في الزواج الدائم.

٣ ـ لا بدّ من تعيين المهر والمدّة التي يتفق عليها الطرفان، وإذا أمكن تسجيل العقد فهو أفضل.

٤ ـ يحق للطرفين أن يتفقّا على الإنجاب، أو عدمه، وعلى كل حال الولد شرعي.

٥ ـ لا يترتب الإرث أو النفقة بين الزوجين على هذا الزواج إلّا إذا اشترطا ذلك، وإذا كان هناك ولد؛ فإنه يلحق بهما يرثهما ويرثانه.

الزواج بدون مسؤولية!

يذكر أن الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) كان قد أكّد أنّ السنّ التي يستطيع فيها الشاب إنهاء تخصّصه وتهيئة الرزق الكافي

لإنشاء بيت الزوجية لا يتسنّى قبل الثلاثين، مع أن الفترة التي يقضيها الشاب بين سنيّ البلوغ والثلاثين هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة وصعوبة المقاومة للمغريات، فهل نسقط هذه الفترة من نظام المجتمع الإنساني؟!

إذا أسقطناها ـ يقول راسل ـ فإنّ نتيجة ذلك شيوع الفساد والعبث بالنسل، والحلّ برأيه أن يسمح القانون بنوع من الزواج لا يحمّل الزوجين تكاليف الأسرة، ولا يتركهم لعبث الشهوات، وسمّاه الزواج بغير أطفال[(١)]، وهو ليس عن الزواج المؤقت ببعيد.

وهكذا نلاحظ أنّ التفكير بالمشكلة الجنسية، لاسيما في مشكلات الشباب غير القادرين على تأمين متطلبات الحياة الزوجية في سني الدراسة، سينتهي إلى ما سبق للإسلام أن قدّم حلّه المناسب له، علماً أن كثيراً من حالات الزواج المؤقت كانت الباعث على اللقاء الدائم، حيث يشعر كلّ من الطرفين أنه لا يستطيع العيش بدون الآخر أو الاستغناء عنه، وحتى في الحالات التي لا معاشرة جنسية فيها، فإنّ الإعجاب والتعرّف عن كثب على طباع الآخر وأخلاقه وذوقه كانت السبب في الاقتران بينهما في إطار الزواج الدائم.

٣ ــ الزواج بالكتابيات:

ولأنّ هذه المسألة شرعية وللفقهاء فيها رأي، فإننا نضع بين يدي شبابنا هذه الرؤى الفقهية من قبل أن يذهبوا بعيداً في مشروع

---

(١) مقتبس ومقتضب من الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد. ص٨٨.

علاقاتهم مع الكتابيات، أو أن يأخذوا بحكم الله فيما هم مقدمون عليه من بناء حياة مشتركة ستمتد آثارها إلى مستقبل الحياة الزوجية حينما يرزقان بأولاد تتجاذبهما العقائد المتناقضة[١]:

١ - يجوز للمسلم التزوّج باليهودية والمسيحية، زواجاً مؤقتاً، والأحوط وجوباً ترك التزوّج بغير المسلمة دواماً.

٢ - في البلدان التي يكثر فيها الملحدون واللاأدريّون والكتابيون؛ يجب على المسلم سؤال الفتاة التي يريد التزوّج بها عن دينها ليتأكد من أنها ليست ملحدة أو لاأدريّة، ولا مشركة تعبد الأصنام، وذلك حتى يصحّ التزوّج بها، ويصحّ الاعتماد على كلامها.

٣ - لا يجوز للمسلم المتزوّج من مسلمة، التزوّج ثانية من الكتابية، كاليهودية والمسيحية من دون إذن زوجته المسلمة، والأحوط وجوباً ترك التزوّج بها ولو مؤقتاً، وإن أذنت به الزوجة المسلمة، ولا يختلف الحكم في ذلك بين وجود الزوجة معه وعدمه.

٤ - لا يجوز ممارسة العمل الجنسي مع الكتابية كاليهودية أو النصرانية من دون عقد زواج شرعي، حتى وإن كانت حكومة بلدها في حالة حرب مع المسلمين.

---

(١) اخترنا هذه الفتاوى مع تعديل بالألفاظ من كتاب (الفقه للمغتربين) لآية الله العظمى السيد السيستاني، ومع أنها تلتقي مع آراء العديد من الفقهاء، لكن يمكن لكل مقلد أن يرجع في ذلك إلى مرجع تقليده الفقهي.

٥ ـ لا يجوز للمسلمة أن تتزوّج غير المسلم دواماً أو متعة، وعليه إن رغب الزواج بها أن يعلن إسلامه ليصح الزواج.

أما الزواج بالمشركات كعابدات الأوثان؛ فقد جاء النهي عنه قرآنياً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[1].

وعلى ضوء ذلك، فلابدّ من مراعاة ما يلي:

- العقيدة أهم من الموقع الاجتماعي والجمال والمال والجاه والعلم والنسب.
- دراسة مغبّة ضياع المؤمن أو المؤمنة إذا تزوّجا من غير دينهما.
- الثبات والصبر والصمود وعدم الانجرار إلى علاقات لا تحمد عقباها.
- العبودية مع الإسلام أفضل من الحرية مع الشرك.
- الحثّ على الإيمان والعمل على إدخال غير المسلمين في الإسلام.
- عدم كفاية الإعجاب الظاهري، مع خسارة الجوهر والمضمون الخلقي والروحي والديني.

---

(١) البقرة: ٢/٢٢١.

- هناك فرق بين الإعجاب الجائز، وبين العشق والاقتران غير الجائز.

لا بدّ للمشركة أو المشرك من الإيمان الحقيقي، وليس مجرد إعلان الإسلام إذا اكتشفنا أن الإعلان كاذب، أما إذا أعلن إنسان إسلامه ولمّا يعتقد بالإسلام بعد، لكنه لم يفعل شيئاً يناقض ويعارض الإسلام، فهو مسلم نزوّجه، ولكن لم يصل بعد إلى درجة الإيمان: قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1].

- جواز النظر إلى المشركات والمشركين.

- حرية الإسلام هي الحرية الحقيقية.

ولقد كشفت العديد من التحقيقات والاستطلاعات أن الزواج بالأجنبية يحمل في طياته مشاكل عديدة، فقد يحصل التوافق بين الزوجين من خلال المعاشرة، لكن يبقى اختلاف ديانتهما وعاداتهما وأخلاقهما وسلوكهما، وما يترتب على الزواج من ضرائب باهظة في مسألة تربية الأولاد، والتجاذب الحاصل بين مسلم يريد لأولاده أن يتربوا على منهج الإسلام، وبين مسيحية تريد أن تصطحبهم إلى الكنيسة.

كما كشفت أن اللواتي استدرجن للزواج بغير المسلمين بحجة أنهم أسلموا على أيديهنّ، عدد لا يستهان به، فكثيراً ما مثّل هؤلاء دور المسلمين، حتى إذا انتهت المسرحية بفصلها

---

(١) الحجرات: ٤٩/ ١٤.

الأخير (الزواج) عادوا إلى قواعدهم سالمين، أو اعتبروا الدين أمراً ثانوياً أو حالة منفصلة عن الحياة والسلوك.

٤ ـ زواج المسيار:

زواج (المسيار) هو زواج (الزيارة)..

والمسيار مشتق من السير، أي السير إلى الزوجة وزيارتها للمعاشرة، وهو زواج بمهر، لكن يشترط فيه الزوج عدم مساكنة الزوجة أو عدم الإنفاق عليها أيضاً..

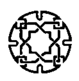
والمشكلة الفقهية هنا أنّ المساكنة والنفقة هل هما حق شخصي للزوجة فيحق لها إسقاطهما، أو هما حكم شرعي لا يسقطان وإن أسقطتهما الزوجة.

الظاهر أنّهما حقّان شخصيّان يسقطان بالإسقاط، فيكون زواج المسيار صحيحاً شرعاً.

لكن هذا الحق إنما تمتلكه الزوجة بعد الزواج حين يحلّ وقته، اما الآن قبل الزواج أو في مستقبل الأيام فلم يحلَّ وقته بعد، فكيف تسقطُ ما لم تملكه بعد؟ لكن اسقاط ما حلّ منه بالتسوية المالية والصلح الشرعي مع إشكال في سريانه سلفاً إلى المستقبل حيث لم يكن قد تحقّق المستقبل بعد، ولكن يمكن اجراء التسوية للمستقبل على أساس الصلح بأسقاط الأمكانية المتاحة للنفقة في المستقبل وهي إمكانية تمتلكها الزوجة فعليا.

ولابدّ للمكلّف في الأخذ بهذا الزواج من الرجوع إلى مرجع تقليده الفقهي لأخذ الفتوى النهائيّة منه..

وقد ذهب إلى جواز هذا الزواج بعض علماء العامّة بعد أن تشدّدوا في تحريم (الزواج المؤقّت) فلم يجدوا حلاً لمشكلة الجنس والعنوسة إلّا بـ(زواج المسيار) الذي يخفّف من أعباء النفقة أو المساكنة، وترك الزوجة تتدبّرهما بنفسها، وأبقى على المهر والمعاشرة في المخدع الزوجي والطلاق مع اختلافٍ في موضوع التوارث بعد الموت، بينما أسقط (الزواج المؤقّت) الطلاق والتوارث أيضاً، ولم يحدد الزوجات بعددٍ لتسهيل العلاقة الشرعيّة بين الجنسين ومنع طرق الفساد.





الفصل الثاني

الخطوبة وعقد القِران



الخطوبة وعقد القِران

بعد هذه الرحلة والمرحلة التحضيرية التمهيدية، التي تشكل أساس البناء لحياة زوجية سعيدة مستقرة، والتي تحدثنا فيها عن ضرورة الدقة في الاختيار والشروط في كل من الفتاة والشاب، نأخذ الآن بيديهما للدخول إلى عالم الحياة الزوجية، ونستهلها بالحديث عن الخطوبة، وهي الخطوة التالية بعد الاستقرار على مواصفات الشريك المطلوب.

الصلاة لتعيين الزوجة المناسبة:

ورد أنه يستحبّ عند إرادة الزواج قبل تعيين المرأة وخطبتها، صلاة ركعتين والدعاء بعدهما.

جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إذا همّ أحدكم بالتزوّج فليصلّ ركعتين، وليحمد الله عزّ وجل، وليقل: اللّهم إنّي أريد أن أتزوّج.. اللهم فقدّر لي من النساء أحسنهنّ خَلقاً وخُلقاً، وأعفهنّ فرجاً، وأحفظهنّ لي في نفسها ومالي، وأوسعهنّ رزقاً، وأعظمهنّ بركة،

وقيّض لي منها ولداً طيباً تجعله لي خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي»[١].

وهذا الدعاء يشتمل على الأمور التالية:

أ ـ أمنية الزواج بالجميلة شكلاً ومضموناً.

ب ـ الرغبة بالعفيفة الشريفة النجيبة.

ج ـ الرغبة بالأمينة.

د ـ الرغبة بالمباركة.

هـ ـ الرغبة بالولد الصالح.

وهي أهم أسس اختيار الزوجة الصالحة.

الاستخارة للزواج:

الاستخارة طلب الخير، أو حسن الاختيار من الله، وذلك بالدعاء والتوسّل إليه تعالى، ثم التفاؤل بالقرآن الكريم والاستفتاح به، فإن جاءت آية عذاب ترك الأمر، أو آية نعيم أقدم عليه، أو ليس كذلك اختار ما يشاء، وقد تتم الاستخارة بالمسبحة بعد الدعاء.

ويخطئ الكثيرون مجال الخيرة والاستخارة، ويخلطون بينها وبين العقل، وقد يقدّمونها على العقل والدراسة الموضوعية لشخصية الشريك، ويلجأون إليها قبل الفحص عنه والتدقيق في أمره.

---

(١) مفتاح الجنّات: ج١. الباب الحادي عشر. ص٤١٣. الطبعة القديمة.

والواقع أنّ الاستخارة لم تشرّع لإلغاء دور العقل، وإنّما يأتي دورها بعد أن يعجز العقل عن البتّ في الموضوع ويحتار، فتأتي الخيرة لتحسم تردّد الإنسان وحيرته وتلغي جموده، فهي ليست بديلاً عن العقل الذي ورد في القرآن والحديث التأكيد على استعماله وإعمال الفكر ودراسة الأمور، وذم التقليد والسير الأعمى، فلقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا**»[١].

وعن الإمام الصادق ؑ: «**إنّ أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلّا به: العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم وأنّهم مخلوقون، وأنه المدبّر لهم وأنّهم المدبّرون، وأنّه الباقي وأنهم الفانون**»[٢].

أعمل عقلك في خيار حيويّ ومهم كالزواج.. وشاور في أمرك الثقاة المخلصين.. وإذا أعيتك السبل؛ استخر الله وراجع علماء الدين في هذه الاستخارة.

بين خيار الوالدين وخيار الابن:

الأهل يريدون مصلحة ابنهم أو ابنتهم، ما في ذلك شك، وأفضل مستشار للشاب وللفتاة في قضية الزواج هم أهله وأهلها، فقد يخدعان ويسقطان تحت تأثير المشاعر الخادعة والخجل

(١) بحار الأنوار: ج١. كتاب العقل. باب١. ج٤١. ص٩٦.
(٢) أصول الكافي. ج١. كتاب العقل. ح٢٤، ص٧٧.

والعجلة، ويؤخذان بالكلمات المعسولة البرّاقة، حتى إذا تزوّج الواحد منهما على عجل؛ ندم طويلاً.

فإذا توافقت إرادة الأهل مع إرادة الولد في اختيار الشريك المناسب، فقد تحققت أولى بشائر ومؤشرات السعادة والحياة الزوجية الناجحة.

وإن اختلفت، فإن أمكن البديل الموافق لكلّ الأطراف فذلك، وإن لم يمكن واستعصى الاختلاف بين الأهل والولد، فهل يتنكّر الولد لقلبه وعواطفه، ويتزوّج من لا يهوى ولا يحبّ، أو يتزوّج من يهوى ويحبّ، ويحاول إقناع أهله واسترضاءهم باختياره.

إن القرار الأخير في مسألة الزواج هو قرار الابن، فهو صاحب الحقّ، وهو الذي سيعيش مع الفتاة التي أحبها قلبه واختارها شريكة لحياته، وهو أدرى بخلجات نفسه وأحاسيسها ورغبته وآماله.

ولا يحقّ للأهل شرعاً إجبار الفتاة أو الفتى على الزواج ممن يريدونه هم ولا يريده أبناؤهم، وإن كان يحقّ لوليّ أمر الفتاة الاعتراض على الشاب الذي لا يمتلك مؤهلات الكفاءة الشرعية والعرفية، إلّا أنّ الأب لا يستطيع إجبارها على الزواج ممن يختاره هو وترفضه هي.

وعلى أية حال، فلابدّ من استئذانها ومشورتها والوقوف على رأيها، فقد ورد في الأخبار أن الإمام علياً عليه السلام طلب يد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ، إنّه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل النبي ﷺ على الزهراء ﷺ وأخبرها، وقال: إن علياً قد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، ولم تولّ وجهها، ولم ير فيه رسول الله ﷺ كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها»[1].

وكذلك الأمر بالنسبة للفتى، فإنّ له الرأي الأخير في اختيار فتاته.

يروى أنّ ابن أبي يعفور جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: **إنّي أريد أن أتزوّج امرأة، وإنّ أبويّ أرادا أن يزوّجاني غيرها. فقال** عليه السلام: **«تزوّج التي هويت، ودع التي يهوى أبواك»[2].**

ويخطئ الأهل حينما يتبرّأون من الفتى أو الفتاة إذا لم ينزلا عند رغبتهما ويتزوّجان بمن يريدان، فعلاوة على أنّ هذا هو نوع من الاستبداد والتعسّف، فإنّهما سينغصان حياة فلذات أكبادهما وهما في مستهلّ حياتهما الزوجية التي يفترض أن تكون هانئة سعيدة.

لكن على الأهل إبداء النصيحة والحؤول دون وقوع الولد في الخطأ، فإن أخفقوا فليس من المنطق مقاطعة الولد ومعاداته. وقد يطرد الفتى أو الفتاة من بيت أهلهما في وقت أحوج ما يكونان فيه

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. ب٥. ح٣.ص٢٠٦.
(٢) المصدر نفسه. ب١٣. ج١. ص٢٢٠.

إلى عطف والديهما ودعائهما وإحاطتهما بالرعاية والحب والحنان والرحمة والمساعدة. ففي الفترة التي تسبق الزواج ـ وهي فترة عصيبة على الشاب وعلى الفتاة ـ تتم التحولات الكبرى في حياتهما، وقد يتخبّطان في اتخاذ القرارات، ويزيد المسألة تعقيداً تبرّؤ الأهل منهما وإلقاؤهما في مهبِّ الريح والمجهول بدلاً من مساعدتها وتخفيف وطأة الخطأ في الاختيار، وتهوين الخطب عليهما بترشيدهما، وتقليل آثار الأخطار الفادحة التي قد يرتكبانها، ويزداد الأمر سوءاً في ظل غياب المرشد والموجّه.

مَنْ يطلب يد مَنْ؟:

خلق الله الرجل وجعل في طبيعته أن يطلب المراة ويبحث عنها ويخطب ودّها ويطلب يدها، وخلق في المرأة شمائل الحياء والدلال والغنج والتمنّع، لذلك كان (الإيجاب) من الرجل و(القبول) أو (الرفض) من المرأة، أي أنّه يعرض نفسه عليها، فإنْ أرادته قبلت به زوجاً، وإن ردّته اتجه إلى غيرها.

ولقد مرّ بنا كيف أنّ الإمام علياً عليه السلام خطب الزهراء عليها السلام من أبيها، فأعربت له عن قبولها بسكوتها.

لكنّ هذه القاعدة ليست صارمة، فقد يمكن للمرأة أن تخطب الرجل إمّا بشكل مباشر أو بواسطة أحد من أهلها، فقد يبحث الأب لابنته عن شاب مناسب يعرض عليه الزواج من ابنته ليصونها ويحفظها ويضمن سعادتها، ومثل هذا الأب ينبغي أن يكون موضع احترام وتقدير، فلقد عرض نبيّ الله شعيب

زواج إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام فقال له: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾[١].

وقد رأينا في سيرة النبي المصطفى ﷺ كيف أنّ أمّ المؤمنين خديجة (رض) هي التي تقدمت لطلب الزواج منه، وقد تقبّل النبي ﷺ ذلك بصدر رحب، الأمر الذي يعني عدم اعتبار ذلك مما يسيء إلى سمعة الفتاة وكرامتها.

وفي مضمون الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام: «**جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وقالت له: يا رسول الله زوّجني. فقال النبي ﷺ لأصحابه: من يتزوّج هذه المرأة؟ فقام إليه رجل وقال: أنا يا رسول الله أتزوّجها**»[٢].

وهكذا يتم العرض من المرأة، والقبول من الرجل، وهذا يتّفق تماماً مع الإيجاب الذي تقوم به المرأة في الزواج فتقول للرجل: (زوّجتك نفسي على مهر كذا) فيجيبها ويقول: (قبلت التزويج)، فيتمّ عقد الزواج.

الكذب والخداع أثناء الخطوبة:

الصدق والصراحة اللطيفة والمكاشفة التدريجية المهذّبة أثناء الخطوبة تمتّن العلائق الزوجية في ما بعد، وتربّي أساس الثقة بين الشريكين، على عكس الغش والخداع والتمويه، فإنّه سيتكشّف إن

---

(١) القصص: ٢٨/ ٢٧.

(٢) مستدرك الوسائل: أبواب المقدمات. ب٣.

عاجلاً أم آجلاً، وسيؤدّي إلى كره الطرف الكاذب واحتقاره من قبل شريكه، وربما الفتور والبرودة في العلاقة المستقبلية.

وبما أن حبل الكذب قصير، فإنّ ألاعيب وأكاذيب أحد الشريكين سرعان ما تفتضح، وقد يضطر المكذوب عليه إلى الثأر والانتقام لنفسه وكرامته من الذي افترى ونصب واحتال عليه، وفي أدنى تقدير، فإنّه سوف يحتقره ويستهجنه ويسقط في نظره.

فإذا كان أحد الخطيبين قد دشّن حياته الزوجية بالزيف والخداع والكذب، فكيف يمكن تصور الحياة التي ستسير عليها عربة الزواج، وكيف يثق الشريك بعد اليوم بشريكه الذي كان يظنّ به خيراً، وإذا به ليس كذلك.

وقد لا يصبر الشريك المخدوع على الخديعة حتى النهاية، فربما طالب بالانفصال مخافة أن يكون ضحية لمزيدٍ من الاستغلال.

وقد تنطلي الخدع في الخطوبة وقبل الزواج، ولكنها قد تفتضح في ليلة الزفاف مباشرة، حيث قد يكتشف العريس عيوباً فاضحة لم يكن قد تعرّف عليها في زوجته إبّان الخطوبة، وقد تكشف هي فيه ذلك. فمثلاً قد يكتشف الشريك أنّ شريكته أكبر سنّاً مما تصوّر أو قيل له، أو إنها ثيّب وقيل إنها بكر، أو أنّ شعرها مستعار، أو أنّها لا ترى جيداً وما إلى ذلك، وقد تكتشف هي عيباً في جسده مستوراً أو أنه فاقد الرجولة.

وقد يتظاهر الخطيبان ـ في فترة الخطوبة ـ بالأخلاق الكريمة الفاضلة والآداب والتهذيب ورقّة الكلام واللطف في التعامل،

حيث يجيد أحدهما التمثيل والتصنّع ليخدع الآخر ويوقع به في شراكه، فكيف يا ترى نعرف حقيقة الطرف الآخر؟

يقول الإمام علي عليه السلام: «**الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز**»[(١)]. فلابدّ من البحث عن ماضي الشريك قبل الزواج، وذلك بأن نتعرّف عليه من خلال أصدقائه، خصوصاً من كان يسافر معهم، ومعرفة نسيجه الاجتماعي وطرق معاملته مع الناس وصدق حديثه وأمانته ووفائه، فهذه كلّها مؤشرات مهمّة لمعرفة حقيقته وطبيعة شخصيته.

فلقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة**»[(٢)].

هذا وقد ذكر الفقهاء عدداً من المسائل المتعلقة بالتدليس (الكذب والخداع) على الخاطب أو الخطيبة، نرى ضرورة إثباتها هنا لمزيد من الفائدة[(٣)]:

١ - يجوز للمرأة إخفاء معايب جمالها ما لم يصل إلى حدّ التدليس على خاطبها، ومثال التدليس: أن تلبس شعراً مستعاراً وهي قرعاء، أو نظّارات قاتمة وهي عمياء، أو تخفي شيب شعرها وكبر سنّها بالأصباغ، وتدّعي عكس ما تخفيه؛ فهذا لا يجوز شرعاً.

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ب١٧. ح٢١. ص٨٦.
(٢) ميزان الحكمة: ج١. ص٣٤٤.
(٣) راجع (الفقه للمغتربين) ص٢٦٧.٢٦٦.

٢ ـ لا يحق للخاطب أن يدلّس على خطيبته، كأن يدّعي صفة ليست فيه، وفي بعض الحالات يحقّ لها فسخ عقد الزواج بعد ذلك إذا خالفت الصفة الموصوف، والفسخ يحق لمن وقع الغش عليه، فإذا فسخ؛ انفصمت العلاقة الزوجية بدون حاجة إلى طلاق.

رفض الخاطب:

يتشدّد بعض الآباء في موقفهم من الشاب الذي يطلب مصاهرتهم، وينظرون إلى من يطرق بابهم ويخطب إليهم ابنتهم نظرة استهانة وازدراء، بل إنّهم لا يوفرونه من نقدهم اللاذع وتجريحهم القاسي بين الناس، وقد يبررون رفضهم للخاطب بتشويه سمعته والحطّ من قدره.

أمّا الشبّان الذين لا يحالفهم الحظّ في موافقة أهل الفتاة عليهم، فقد يفجّرون سخطهم ضد الفتاة وأهلها بإظهار معايبهم والإساءة إليهم أو النيل منهم ومن سمعتهم.

وكلا الأمرين خطأ فادح، فإذا لم تتم الموافقة بين الطرفين فلا مشكلة في ذلك، لأنّ الأساس هو الاقتناع المتبادل، وإذا لم يتم ذلك، فالأفضل البحث عن بديل آخر، فما أكثر النساء وما أكثر الرجال، ولا حاجة للسخط والغضب واللوم والتقريع، وما أجمل ما يقوله بعض الناس في تبرير الرفض بأنه لم يكن هناك نصيب وينتهي الأمر.

وقد يتذرّع آخرون بأعذار لطيفة ليس فيها إساءة إلى

الخاطب، من قبيل: انّها مشغولة بدراستها الآن.. انّها تريد إكمال دراستها الجامعية، أو أنها لازالت صغيرة، وصاحب الدار أدرى بالذي فيها، أو أنّها لا تفكّر في الزواج الآن، أو أن الاستخارة التي أخذت لم تكن جيدة، وقد يدّعي البعض أنّها مخطوبة لابن عمها أو ابن خالها للتهرّب من الموافقة. أجل! لا يجوز الكذب.

إنّ الشرع الحنيف يحثّ على تخفيف الشروط المطلوبة من الخاطب لتسهيل أمر الزواج، فقد ورد في بعض الأخبار أن (علي بن أسباط) كتب إلى الإمام الباقر عليه السلام في موضوع بناته، وأنّه لا يجد الكفؤ لهنّ على مستوى مرتبته، فكتب إليه الإمام عليه السلام: **«فهمتُ ما ذكرت من أمر بناتك، وأنّك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإنّ رسول الله ﷺ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**[1].

خطف الفتاة للزواج بها:

إنّ كلمة (خطف) هنا مجازية، إذ ليس المقصود بها خطف الفتاة عنوةً عنها أو على الرغم منها كما هو الحال في خطف شخص بقوة السلاح والتهديد. فالمخطوفة لأجل الزواج تذهب مع خاطفها بملء إرادتها، بل قد تحثّه على خطفها والزواج بها إن رأت معارضة أو رفضاً من أهلها أو أهله أو رأت تهديداً لها بعزلها أو مقاطعتها أو قتلها؛ فتعمد إلى الفرار مع الخاطب.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤. ب٢٨. ح٢. ص٥١.

ومع أنّ الفقهاء لا يشجعون على (زواج الخطيفة) لأنّه يجعل بداية الحياة الزوجية قلقة، كما أنه يؤثر سلباً على الواقع الاجتماعي لعائلتي الشاب والفتاة، وقد يكون فيه شائبة حرمة إذا لم يكن بإذن وليّ الفتاة وهو أبوها أو جدّها لأبيها تحديدا، لكنهم لا يجدون مخالفة شرعية في زواج الشاب أو الفتاة بدون رضا الأهل إذا كانا بالغين رشيدين، وكان الأهل متعسفين ظالمين، فللشابين الراشدين اختيار ما يشاءان لحياتهما، ولكننا نفضّل مراجعة العالم الدينيّ الذي يثقان به قبل الاقدام على أي خطوة ليستأذن وليَّ أمرها أو ليعلمه على الأقل بالأمر ويستمع إلى وجهة نظره، مع توسّل كلّ ما يمكن لارضاء الأهل.

الإذن ليس انتقاصاً:

إنّ اشتراط الشريعة للزواج بالفتاة البكر (العذراء) موافقة أبيها أو جدها لأبيها بالإضافة إلى موافقتها التي تعتبر الأساس في قرار الزواج، ليس انتقاصاً من حقها أو قدرها، بل هو إجراء احترازي لحمايتها من المخادعين والمتلاعبين بالمشاعر والمدلّسين الكاذبين، وشكل من أشكال احترام الأهل وصلة الرحم بالتشاور معهم، وعلى الفتاة الإنتباه لهذا الجانب.

ولا يشترط الفقهاء إذن الأخ أو الأم أو الأخت وغيرهم من الأقارب والأرحام، وإن كانت مشورتهم مستحسنة بحدّ ذاتها[1].

(١) انظر (الفقه للمغتربين) ص٢٥٨-٢٦٠.

أمّا في حال تعارض موافقه الفتاة البالغة الرشيدة مع رأي أبيها أو جدها لأبيها للزواج من الكفؤ الشرعي والعرفي بعد استئذانهما ورفضهما، فلا يجب عليها اطاعتهما في ذلك مادام الخاطب كفؤاً شرعاً وعرفاً حقيقة. ذلك أنها هي التي ستعيش مع الزوج وليس هما.

وإذا رفع الأب ولايته عن ابنته العذراء، وتركها تستقلّ في التصرّف بعد بلوغها سنّ الثامنة عشرة، كما يحدث في أوروبا وأميركا؛ جاز لها أن تتصرف بنفسها كما تريد وفق الشرع، ويجوز الزواج منها دون أخذ إذن ولي أمرها وموافقته. والواقع أن هذا الرفع للولاية ليس رفعاً بالمعنى الحقيقي، لأن الولاية التكوينية بين الأب وابنته ليست قابلة للرفع، خصوصاً إذا اعتبرناها كذلك حكماً شرعياً لاحقاً لوليّ الفتاة، وإنما الرفع هنا معناه أنه فوّض لها أمر ولايته عليها ثقة بها وتسهيلاً لأمر زواجها، فهي موافقة منه عامة لا تحتاج إلى مراجعة.

وفي المحصلة، لا يجوز لأحد إكراه المرأة وإجبارها على الزواج من شخص ترفض الزواج به، ولكن يجوز ترغيبها وتشجيعها، فعن ابن عباس ما خلاصته: **أنّ جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت أنّ أباها زوّجها وهي كارهة. فخيّرها النبي ﷺ أن تختار الشخص المناسب دون الرجوع إلى أبيها، أو استئذانه مادام أن والدها يكرهها، فهي حرّة تفعل بنفسها ما تريد.**

وفي رواية أن فتاة أريد تزويجها من شخص أراد أبوها أن

يرفع خسيسته (نقصه الاجتماعي ودونية طبقته الاجتماعية) فزوّجها من شخص ذي وجاهة، ولم ترغب بذلك؛ فترك لها النبي ﷺ الخيار، لكنها تراجعت قائلة: **إنما أردت بذلك أن أبيّن أن من حق المرأة أن تختار من تشاء، ولا يحق لغيرها أن يفرض عليها من يشاء.**

مسائل لابدّ للخطيبين من مراعاتها:

نشير هنا إلى عدد من المسائل الشرعية التي لابدّ للخطيبين المسلمين المؤمنين من الالتزام بها حتى لا يقعا في المحذور الشرعي.

١ ـ ليس للخطوبة عنوان شرعي، فالرجل يبقى أجنبياً على المرأة، والمرأة تبقى أجنبية على الرجل، لأنّ ما يحلّل ويحرّم هو عقد الزواج الذي يلزم الاثنين (الشاب والفتاة) بالحقوق والواجبات الزوجية[1].

وهذا الإجراء يحفظ للفتاة حقوقها ويصونها من عبث العابثين والمستهترين الذين يعرّضون مستقبل المرأة للدمار والانهيار.

٢ ـ يجوز الإعجاب المتبادل بين الفتاة والشاب، أي الإعجاب بالمواهب الشخصية والروحية والعقلية والجسدية، كما يجوز التعبير عنه بأسلوب محتشم ومهذّب مع الرغبة في الزواج. قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ

(١) انظر (دنيا المرأة). ص٢١٠.

أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾[1] فلقد استدلّ الفقهاء بهذه الآية على جواز الإعجاب بالجمال.

والإعجاب والتعبير عنه بأسلوب محتشم لا يعني التغزّل بالخطيبة، فـ(**لا يجوز على الأحوط التغزّل بالخطيبة قبل عقد الزواج، وإن لم يصحب ذلك تلذّذ جنسي، أو لم يكن هناك خوف من الوقوع في الحرام والفتنة**)[2].

٣ ـ لا تجوز المصافحة بين الخطيبين، أو النظر بشهوة.

فلقد قضت الأخبار الواردة عن أهل البيت ﴿ع﴾ بجواز النظر إلى محاسن المرأة بقصد الزواج منها. وقد ورد أن الرسول ﷺ أذن في ذلك حيث قال: «**إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**».

وقال جابر بن عبد الله: **لما سمعت رسول الله ﷺ قال هذا اختبأت لجارية من الأنصار في حائط** (بستان مسوّر ومحاط بسور) **لأبيها، فنظرت إلى ما أردت وإلى ما لم أرد، فتزوجتها، فكانت** خير امرأة[3].

٤ ـ ويمكن اللجوء إلى العقد المؤقت حتى يحقّ لهما ذلك، ويمكن للخطيبة أن تضع شروطاً ـ حسب هذا العقد ـ في أن لا يتجاوز خاطبها حدوداً معينة في علاقته بها كأن لا يدخل بها.

---

(١) الأحزاب: ٣٣/ ٥٢.

(٢) الفقه للمغتربين، ص٢٨٧.

(٣) بحار الأنوار. ج٢٣. ص٤٣.

وصيغة عقد الزواج المؤقت هي أن يتفق الخطيبان على مهر ومدة معينة بدقة، ثم تقول المرأة مخاطبة الرجل: زوّجتك نفسي على المهر المعلوم في المدة المعلومة. فيقول الرجل مباشرة: قبلت التزويج.. أو يقول: قبلت التزويج هكذا (أي وفق ما اتفقنا عليه) ولا يشترط حضور عالم الدين أو شهود في مذهب الشيعة الإمامية، ويمكنهما توثيق العقد بكتابة تفاصيله على ورقة يوقّعانها تبقى عندها أو عند أهلها.

٥ ـ إن الوعد بالزواج ـ أثناء الخطوبة ـ يستحبّ الوفاء به، ويكره خلفه، ولكن الإخلاف به جائز شرط أن لا يكون من نيته في الأساس الاخلاف، ولو كان من نيته الاخلاف من الأول؛ ففيه إشكال شرعي.

القسمة والنصيب:

يتذرّع البعض بالقسمة والنصيب ليبرّر فشل الزواج، محمّلاً الغيب والقضاء والقدر مسؤولية قراره، وقد يحصل هذا في الأمور التي لا خيار لنا فيها..

والحقّ أن الغيب يترتّب غالباً على قرار الإنسان وحسن أو سوء اختياره في الزواج..

أجل.. نحن لا نستطيع أن نتكهّن بمستقبل الزواج كلّه، لكنّنا نستطيع أن نتعرّف على ملامحه من خلال الاختيار الحسن المدروس للشريك، فنعرف أنّ الأسرة ستكون ناجحة أو فاشلة من خلال نوعيّة الاختيار، والتحكّم في الظروف التي سيمرّ بها الزواج في ما بعد.

ومع ذلك فإنّ هناك فعلاً مساحة تابعة للطوارئ وتبدّل الظروف المفاجئ، أو لبروز عوامل قاهرة كانت خفيّة تحدّد مستقبل نجاح الزواج أو فشله، وهذا هو الذي يسمّيه الناس بالنصيب أو الحظّ، ونسمّيه نحن (التوفيق واللطف الإلهي الخاصّ) في الإيجابيّات، أو (الابتلاء والامتحان) في السلبيّات، وهو حقاً ما يصدق عليه معنى القضاء والقدر الغيبي الذي لا يغيّر سلبيته إلّا الموقف الحكيم والدعاء والتضرّع إلى الله أن يلطف بنا في قضائه وقدره وأن يعيننا على حسن الاختيار في قراراتنا، والعبادة وعمل الخير كالصدقات والنذور وصلة الرحم والأخلاق الفاضلة، فإنّ ذلك مما يؤثر ويغيّر في القضاء والقدر إن شاء الله عزّ وجل.

ومع ذلك فإنّ ما يشكّل حوالي ثلاثة أرباع القانون الاجتماعي في تحديد مستقبل الزواج هو: دقّة الاختيار المدروس الذي نحتاج فيه أيضاً إلى التوفيق واللطف الإلهي الخاص أو العام ليأتي خيارنا في محلّه..

ولكن تحميل مسؤولية فشل هذا الزواج أو نجاحه، للغيب وحده، وكأنّ الله تبارك وتعالى سلب عقل الإنسان وقدرته على الاختيار، وجعله قشّة في مهب الريح، غير صحيح، وكأنّ الجهود المبذولة لاختيار الشريك هواء في شبك لا جدوى ولا فائدة منها، طالما أن يد القسمة والنصيب هي التي تتدخل في النهاية لتحسم خيار هذا الشاب أو هذه الفتاة.

وقد يراد بالنصيب أو الحظ أو الصدفة بعض التأثيرات

الخارجية التي تلعب دورها في تحريك الاختيار باتجاه معين، ولكنّه ليس مسألة قهرية كما سيتّضح، مثلما يراد بـ(القسمة) أن الزيجات شأنها شأن الأرزاق الأخرى مقسّمة بين الناس، فلكلّ رزقه ولكلٍّ زوجته أو زوجها المقدّر في علم الغيب، وبالتالي فليقنع برزقه سواء رضي به أم لم يرض.

دعونا أولاً نعرض المقولة ـ في جانب الزواج تحديداً ـ على مرآة القرآن، فإننا نرى أنّ الله سبحانه وتعالى يدعو إلى الاختيار: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[1]. أي ينبغي للطيّب أن لا يختار إلّا طيّبة مثله، كما أنّ الخبيثة لا يقترن بها إلّا خبيث مثلها، وإذا أخطأ الطيب الاختيار واختار الخبيثة أو غير المتدينة، فإنه يتحمل مسؤولية اختياره، ومثله الفتاة الطيبة التي تفضّل الخبيث، فعليها أن تستعد للبلاء، وقد قيل: (**إن الطيور على أشكالها تقع**).

وأمّا في الروايات والأحاديث، فإنّ التأكيد على ضرورة الاختيار يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الزواج ليس قسمة ونصيباً بالمعنى المتداول بين الناس. فعن النبي ﷺ ـ كما في كتاب الزواج المبكّر ـ: «**تخيّروا لنطفكم؛ فإنّ العرق دسّاس**».

وعنه ﷺ «**اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الخال أحد الضجيعين**».

وقال: «**اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الأبناء تشبه الأخوال**».

وقال: «**أنكحوا الأكفاء**».

---

(١) النور: ٢٤/٢٦.

وقال: «**تزوّجوا الأبكار؛ فإنّهنّ أطيب شيء أفواهاً**».

وفي الحديث نهى ﷺ عن الزواج بالمرأة الحسناء في منبت السوء، فقال: «**إياكم وخضراء الدمن**» ـ وخضراء الدمن هي النبتة الجميلة التي تنبت في الأماكن الملوّثة ـ مثلما نهى عن تزويج شارب الخمر واسترضاع الحمقاء، فقال ﷺ: «**شارب الخمر لا يزوّج إذا خطب**» وقال: «**لا تسترضعوا الحمقاء والعشماء؛ فإنّ اللبن يعدي**»[1].

فهذه الأحاديث وغيرها دالّة بشكل صريح على الاختيار والانتخاب بترك السيّىء الرديء واختيار الجيّد الحسن، وهي مؤشرة إلى طريقة العقلاء وأهل الحكمة في اختيار الأصلح والأفضل.

ولو أنّ الخيار ينتفي بالقسمة والنصيب، فعلام إذاً نتعب أنفسنا في وضع لوائح طويلة وعريضة بالمواصفات التي نريدها في الفتاة، والأخرى التي نطلبها في الشاب؟ ولماذا نجهد في أعمالنا وشؤون حياتنا لنحسّنها ونطوّرها؟!

إنّنا نشبّه الحظوة بفتاة صالحة بعد البحث والسؤال كالسعي في الأرض لكسب معيشة أفضل، فحينما أراد الإمام علي عليه السلام الزواج بعد وفاة الزهراء عليها السلام، لم يجلس لينتظر قسمته ونصيبه يأتيانه إلى باب الدار، بل طلب إلى أخيه (عقيل) أن يبحث له عن امرأة أنجبتها فحول العرب، لتنجب له أولاداً صالحين أشداء يكونون عوناً لولده

(١) الزواج المبكر. لمحمد كاظم. ص١٢٧ وما بعدها.

الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف في كربلاء التي تنبّأ بها الرسول صلى الله عليه وآله بما أخبره به جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي يعني أن الإمام علياً عليه السلام عمل بمبدأ الاختيار والانتقاء.

المهر.. هدية ومنحة وضمانة:

يقول تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1]، أي آتوا الصداق، وهو المهر الذي يتصادق عليه الزوجان في العقد كهدية واجبة وكمنحة وضمانة اقتصادية تكريماً للمرأة وتودّداً لها، وليس ثمناً لسلعة كما يفهمه البعض.

والمهر على الرجل دون المرأة لقدرته الفائقة على العمل وجلب القوت أكثر منها، وهي التي تواجه صعوبات الدورة الشهرية والحمل والنفاس والإرضاع وتربية الأولاد.

وقد جعل الإسلام المهر ضمانة مادية بيد المرأة، مثلما جعل عصمة الطلاق ضمانة معنوية بيد الرجل، فهو ضمانة مقابل ضمانة، كما أن للمرأة ضمانة أخرى متاحة هي اشتراطها في العقد أن تكون وكيلة عن الزوج في طلاق نفسها وكالة لازمة غير قابلة للعزل ضمن عقد الزواج اللازم، حيث قد لا تنفع الضمانة المادية في بعض الحالات، لكن للخاطب أن يرفض اعطاء هذا التوكيل أو يقبل، وللمخطوبة أن تقبل برفض الرجل؛ فيتم العقد والزواج بدون توكيل، أو ترفض فلا يتم الزواج أصلاً.

---

(١) النساء: ٤/٤.

والمهر قد يكون نقوداً أو كتاباً أو ساعة أو قنينة عطر أو باقة زهور أو سيارة أو بيتاً أو أرضاً أو بستاناً .. أو جهداً مثمّناً لتعليم القرآن، أو تعليم مهنة أو حجاً لبيت الله الحرام.. إنّما يجب أن يكون محدّداً واضحاً عند الطرفين.

المغالاة في المهور:

ولشدة المغالاة في المهر، وتعقيدات المجتمعات المادية التقليدية، أدّى ذلك إلى العنوسة والعزوف عن الزواج أو تأجيله واستشراء الفساد، وبالتالي إلى نشوب أزمات نفسية خطيرة، خاصة إذا علمنا أنّ الزواج يحقّق التوازن النفسي لكلّ من الزوجين، فإذا كان المهر ثقيلاً، وشرع الزوجان حياتهما بهموم الدين الثقيلة المتراكمة على الشاب، فكيف يمكن أن يتحقق التوازن المذكور؛ إلّا إذا لم يكن الزوج مبالياً بالأمر كما هو ديدن البعض.

وكثيراً ما يتظاهر أهل الفتاة بالتسامح والطيبة في قضية المهر، ويقولون للخاطب: دع الأمر إلى ساعة إجراء العقد و(كَتْب الكتاب) فالمهر ليس أمراً مهمّاً. أو يقولون له: لطفاً سجّل مهراً طائلاً من أجل كرامتك وكرامتنا، وهذا أمر شكلي فقط أمام الناس، فإذا انتهى العقد سامحتك ابنتنا بالمهر كلّه.. هكذا يقولون!! مع أنّ المهر في الإسلام ليس أمراً شكلياً، بل هو فرض وصدقية ودين.

وهكذا يخجل الخاطب، ويرضى بالأمر الواقع، فإذا أزفت ساعة العقد، واجتمع الناس وكبار القوم، هرع أهل العروس ليحرجوا العريس بالمهر العالي فجأة، فيضطر إلى القبول تجنّبا

للفضيحة وإثارة مشكلة أمام الناس. وقد يحدث العكس فيحرج أهل العريس أهل العروس بعرض مهر بسيط.

وقد يفلت الزمام؛ فيندلع الشجار حول المهر على مرأى ومسمع من كلّ المدعووين. وأذكر أنه في إحدى القرى، حينما كنت مدعوّا لإجراء عقد زواج، وحاولت التوفيق بين الطرفين دون فائدة، كاد الطرفان يتضاربان بالكراسي والمقاعد من أجل تحديد المهر! وانفضّ الاحتفال دون إجراء عقد الزواج!

وإذا تمّ تسجيل المهر العالي والغالي، وهو ملزم، وطلب الشاب من الفتاة مسامحته بعد الزواج، رفضت الفتاة وتمنّع الأهل، واستحكم المهر في ذمة الزوج، وقد تسامح الفتاة وينتهي الأمر والقرار متروك لها شرعاً.

ولا يخفى أن غلاء المهر يدفع الزوج أحياناً إلى شدّ الخناق على زوجته وإساءة معاملتها، وكأنّه يثأر منها ومن أهلها.

جاء عن رسول الله ﷺ: «**خير الصداق أيسره**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أمّا شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها**»[٢].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**لا تغالوا بمهور النساء؛ فتكون عداوة**»[٣].

---

(١) كنز العمال: الحديث ٤٤٧٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١. ب٢٦.ح٦.ص١٥٠.

(٣) وسائل الشيعة: طبعة بيروت. ج٢١. ص٢٥٣.

وحجّة المغالين في المهور أنّ المهر يكبح جماح الزوج، ويمنعه من طلاق زوجته والتلاعب بمصيرها والتمرّد عليها وإهانتها، وينسى هؤلاء أنّ الزوج المستقيم لا يحتاج إلى كلّ هذه الإجراءات، لأنّ دينه وخلقه وأمانته التي اشترطها الحديث فيه يمنعه من أن يمارس الظلم مع زوجته، علماً بأنّ بعض الدول الغربيّة كالولايات المتحدة تقسّم ثروة الشريك عند الطلاق بين الاثنين ولا يُعتنى بالمهر.

والزوج المحتال قادر على قهر زوجته ومعاملتها معاملة سيئة وجعلها تتنازل عن المهر مكرهة لتحقيق الطلاق طلباً للخلاص من سوء أخلاق الزوج ونكده.

ويلجأ عقلاء الناس غالباً إلى جعل المقدّم المعجّل مهراً رمزياً بسيطاً لتسهيل الزواج، والمؤجّل عالياً لقطع الطريق على الزوج عندما يفكّر بالتخلّص من زوجته، ولكنّ هذه الطريقة لا تجدي دائما، وفائدتها في ردع الزوج محدودة، فإذا ساءت العلاقة الزوجية لدرجة لا تطاق، فلا يقف أمام الانفصال مهر غال، وأتذكّر أنّ امرأة بذلت لزوجها مهرها وهو (٤) ملايين دولار أميركي ليطلّقها ويخلي سبيلها حينما تضايقت منه، وهكذا كان..

ويروي الإمام علي عليه السلام ـ في الخبر ـ قصة المهر الذي دفعه للنبي صلى الله عليه وآله في زواجه بالزهراء عليها السلام فيقول: «**بعت الدرع بخمسمائة درهم، وجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وأعطيته الدراهم، فلا أنا أخبرته بعدد الدراهم، ولا هو سألني كم عددها!!**».

قد يقول البعض أين نحن من علي عليه السلام والزهراء عليها السلام؟.. أو إن ذلك الوقت يختلف عن هذا الوقت، فلقد تعقدت الأمور وأصبحت الحياة صعبة للغاية. كلا!! إننا على الرغم من هذه المقولات مازلنا نشاهد مهوراً متواضعة يريد بها أهل الزوجة عدم إثقال كاهل الزوج، الذي يرى أن فوزه بابنتهم البارّة الصالحة المؤمنة لا تعادله أموال الدنيا كلّها، وان مصاهرته لعائلة كريمة تُجِلُّ قيمة الإيمان وتقدّر الاخلاق، مكسب عظيم.

عقد الزواج:

بعد أن يستقر رأي الخطيبين على الزواج، ويتم التعارف وتحصل القناعة من كلّ طرف بالآخر، ويتحققان من أن الحياة المشتركة السعيدة بينهما ممكنة، وأنهما قد اختارا الاختيار الموفق السليم، تأتي إجراءات الزواج، وأولها: العقد، فما معنى العقد؟

إنّ عقد الزواج المقدس معاهدة وميثاق قوي تتعهد فيه الزوجة أن تتخلّى عن أي رجل آخر، وأن تكون لزوجها فقط ترعاه وتحبّه وتخلق له أجواء الهناء والفرح والاستقرار، وتملأ ذاته بسحرها وفتنتها وأدبها ودفء حنانها، وترضي طموحه وجموحه وغرائزه بجسدها وعاطفتها.

فالمرأة لا تنكشف على أحد كما تنكشف على زوجها، وإنّ الرجل لا ينكشف على أحد كما ينكشف على زوجته.

ومعنى عقد الزواج أن يتعهد الرجل أن يكون زوجاً صالحاً يرعى زوجته ويحميها، وينفق عليها، ويرضي طموحها وعاطفتها

بشبابه وفتوّته أو برجولته، وأن تكون المعاشرة بينهما بالمعروف والاحترام والاخلاق الكريمة.

والنبي ﷺ يلخّص لنا معنى الزواج وعقده وأهميته في الحديث الوارد عنه ﷺ: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها**»[1].

كيفية عقد الزواج؟:

الزواج في الشريعة الإسلامية قسمان: زواج دائم وآخر مؤقت.

فالزواج الدائم: هو عقد لا تعيّن فيه مدة الزواج، وتسمّى الزوجة فيه بـ(الزوجة الدائمة).

والزواج المؤقت: هو زواج تتعيّن فيه المدة بسنة أو أكثر أو أقل، وتسمى الزوجة فيه بـ(الزوجة المؤقتة).

وأما صيغة عقد الزواج الدائم، فهي: أن تقول المرأة مخاطبةً الرجل: زوّجتك نفسي على مهر قدره (وتذكر مقدار المهر)، فيقول الزوج مباشرة: قبلت التزويج. وقد مرّت بنا صيغة عقد الزواج المؤقت، وهي قول المرأة للرجل: زوجتك نفسي على مهر هو (وتذكر قيمة المهر) في مدة هي (وتذكر المدة بشكل دقيق) فيقول الزوج: قبلت. فيتم العقد.

---

(١) وسائل الشيعة. ج٤٠. ص٢٠.

ويجوز للزوجين إجراء صيغة العقد بنفسيهما، أو بتوكيل من ينوب عنهما، ولا يشترط حضور الشهود مجلس العقد، كما أنّ حضور العالم الديني ليس شرطاً في صحّة العقد، وإنّما هو لضبط صحّة العقد فقهياً وتوثيقه في ملفّات العالم الديني أو المؤسسة.

ويحقّ لمن لا يتمكّن من إجراء العقد باللغة العربية، إجراؤه بلغة مفهمة بوضوح لمعنى التزويج، إذا لم يجد من يجريه عنه بالعربية.

ويتضمن عقد الزواج بندين أساسين: (الإيجاب) وهو إقرار الزوجة بالرغبة بإجراء عقد الزواج ممن تقدّم إليها. و(القبول) وهو إعراب المتقدّم للزواج عن موافقته للاقتران بها، وبذلك يكون الزوجان قد اجتمعا في ظلّ كلمات الله وشريعته وسنّة نبيه على تشكيل أسرة مسلمة جديدة، تكون نواة لعطاء ونتاج إسلامي يثري المجتمع بأسرة صالحة.

شروط العقد:

يحقّ للزوجين أن يشترطا في عقد الزواج ما شاء لهما أن يشترطا في غير محرّم، فمثلاً يحقّ للزوج أن يشترط على زوجته في عقد الزواج طبخ الطعام وغسل الثياب وتدبير المنزل ومرافقته في السفر والانتقال معه إلى أي بلد يسكن فيه، ولبس ثياب شرعية ساترة عند الخروج من البيت، مع أن هذا واجب شرعي عام على كلّ النساء لا يحتاج إلى شرط، واشتراطه هو من باب التأكيد.

إن الأعمال المنزلية من طبخ وغسل وشؤون أخرى ليست من

صلب واجبات الزوجة، إلّا إذا أخذت شرطاً ضمنياً أو صريحاً في العقد، فللزوج عليها حق المعاشرة الجنسية فقط، وأن تعاشره بالمعروف، وتزيل المنفرات، ولا تغادر منزله عند حاجته إليها، وأن تحافظ على كرامته وأمواله وخصوصياته بمقتضى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1] لأن اللباس يستر الخصوصيات، ويحفظ كرامة الإنسان، ويصون مظهره وشخصيته، وأمّا ماعدا ذلك فعمل الزوجة كأي عمل آخر يحقّ لها أن تأخذ عليه أجراً.

لكنّ المرأة، لكرم أخلاقها ونبل سجيتها ورقّة طباعها، تتنازل عن ذلك كلّه إشعاراً لزوجها أنّها متفانية ومضحّية، وأن ما تمارسه من أعمال بيتية وغيرها في سبيله هو تطوّع وتعبير عن حبّ، لأن ما تبذله من جهد ووقت يرتدّ عليها من قبل الزوج والأولاد تقديراً واعتزازاً وحباً واحتراماً.

كما يحقّ للزوجة في عقد الزواج أن تشترط على زوجها أن تكون وكيلة عنه في طلاق نفسها متى شاءت أو في حالات محدّدة، وأن لا يمنعها من الدراسة أو العمل أو زيارة أهلها وأقاربها، أو حضور المحاضرات الدينية، أو الذهاب إلى المساجد، أو المشاركة في كلّ ما ليس فيه محرّم.

كما يحقّ لكلّ من الزوجين أن يشترطا في عقد الزواج مكاناً معيناً للسكن، كمدينة معينة، أو بيتاً لا شقّة، لعموم الحديث: «**المؤمنون عند شروطهم**».

---

(١) البقرة: ٢/١٨٧.

وفي الخبر: **سئل الإمام الصادق عليه السلام عن رجل يتزوّج امرأة ويشترط لها أن لا يخرجها من بلدها، قال عليه السلام: «يلزمه ذلك»**[١].

إنّ الطرفين المتعاقدين (الزوجين) ملزمان باحترام مضمون العقد أمام الله عزّ وجل، وأمام نفسيهما، وأمام المجتمع والناس، فإنشاء صيغة العقد واجب، والأفضل توثيقه لضمان التزام كلا الطرفين به، فلا يكفي الرضا القلبي أو المعاطاة، ولابدّ من أن يعبَّر عن هذا الرضا بطريقة واضحة تؤكد معنى الزواج.

وفي المحصلة، فإنّ عقد الزواج هو عقد حبّ ومودّة ورحمة، وهو أشبه بالعبادات منه بالمعاملات، حيث يجري على اسم الله وكتابه وسنّة رسوله، وهو يختلف عن بقية العقود، لأنّه يعقد بين قلبين وروحين وإرادتين ومؤمنين، حتى وصفه القرآن بـ(الميثاق الغليظ).

خطبة عقد الزواج:

إنّ الخطبة التي تسبق الزواج ليست واجبة، بل هي مستحبّة، لكن فيها فائدة كبيرة، سواء بالنسبة للمتزوجين الجدد، أو المتزوجين القدامى، أو الذين يفكّرون في الزواج مستقبلاً، فخلاصتها: الحمد لله، والشهادتان، والصلاة على النبي وآله، والوصية بالتقوى، والدعاء للزوجين، وآية وحديث.

وهناك أكثر من نص لخطبة الزواج، نحاول أن نجمع بينها:

(١) فقه الإمام جعفر الصادق. ج٥. ص١٨٩.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، وصلّى الله على رسوله الأمين، وآله أئمة الرحمة ومعادن الحكمة، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾[(١)].

وأمر الله تعالى بتزويج الرجال الصالحين والنساء الصالحات، فقال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٣)].

وورد في مضمون حديث عن رسول الله ﷺ: «الزواج سنتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»[(٤)].

و«إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه!! إلَّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[(٥)].

و«ما استفاد امرؤٌ مسلم بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وفي ماله»[(٦)].

ولو لم يكن في المصاهرة والزواج «آية منزلة، ولا سنّة متّبعة

---

(١) الفرقان: ٢٦/ ٥٤.
(٢) النور: ٢٤/ ٣٢.
(٣) الروم: ٣٠/ ٢١.
(٤) ميزان الحكمة. ج٤. ص٢٧١. ح٧٧٩٨.
(٥) تهذيب الأحكام. ص٣٩٤.
(٦) الفروع من الكافي. ج٥. ص٣٢٧. ح٩٤٦٨.

لكان ما جعل الله فيه من برّ القربى وتآلف البعيد ما رغب فيه العاقل اللبيب، وسارع إليه الموفق المصيب، فأولى الناس بالله من اتبع أمره، وأنفذ حكمه، وأمضى قضاءه ورجا جزاءه.. ونحن نسأل الله تعالى أن يعزم لنا ولكم على أوفق الأمور»(١).

وهكذا فإنّ الزواج رباط روحيّ بين قلبين يحرسه الله عزّ وجل ويباركه هو ورسوله ﷺ.. إنّه مودة وحبّ ورحمة واطمئنان وسكن روحيّ. فلنحافظ على هذه المودّة والعاطفة طيلة الحياة حتى يصبح الزواج سعادة والبيت جنّة.

إنّ التنافس الأناني بين الزوجين يؤدّي إلى انهيار البيت وتصدّعه، لكن الإيثار ونكران الذات والتفاني المتبادل بين الزوجين، وكتمان السرّ، والأناة والحكمة وطول البال والحلم والصفح عن الخطأ والتشاور والتفاهم، كلّ ذلك يعني وحدة القلوب وتمازجها وتصافيها على الحبّ وبناء البيت السعيد.

إنّ أكثر المشاكل بين الزوجين منشأها الأنانية والاستئثار من أحدهما أو كليهما، فإذا عانيتم صعوبات، أو حدثت مشكلة؛ فليتنازل كلٌّ منكما عن شيء من حقّه من أجل حبيبه وشريكه، حتى تتحوّل العلاقة بين الزوجين (بينكما) من علاقة شكلية أو جسدية أو مصلحية إلى علاقة قلبية روحية عاطفية شفّافة متسامية على الصغائر والأحقاد والأنانية والاستئثار والمنافع الشخصية.. علاقة خالصة بين القلوب يرعاها الله تعالى ورسوله ﷺ.

---

(١) من خطبة عن الإمام الرضا ﷺ.

وإذا حدثت مشكلة أو خطأ، فلا تعتبروا أنّ الاستمرار في الزواج أصبح مستحيلاً: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١] فالمطلوب الصبر وحل الأمور بالحكمة والمحبّة.

ويمكن للعاقد أن يطرح ما هو مناسب من مفاهيم الزواج التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة. فقصة زواج موسى عليه السلام من ابنة شعيب عليه السلام تصلح أن تكون موضوعاً لخطبة زواج، وأسرة إبراهيم عليه السلام المسلّمة تسليماً مطلقاً، ومنهم قرينته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام، تصلح مثالاً قرآنياً آخر على نموذج الأسرة المسلمة المثالية، وزواج النبي ﷺ من السيدة خديجة (رض) والإمام علي عليه السلام من الصدّيقة فاطمة عليها السلام نموذجان من السيرة.. وهكذا.

جهاز الفتاة:

إنّ أحد الأسباب التي تدعو إلى رفع المهور عالياً، هو تصوّر خاطئ راح يسود بين الناس ويثقل كاهل الأزواج الشبّان، أنّ الفتاة لا يمكن أن تزفّ إلى عريسها ما لم تستكمل جهازها.

وحين تسأل: ما الجهاز؟

فالجواب يشمل ليس فقط الحاجات الضرورية التي لابدّ منها لكل عروس حديثة العهد بالزواج، بل حتى الكماليات ووسائل الترفيه، والأخرى التي هي موضوع تفاخر وتكاثر بين الناس:

(١) النساء: ٤/١٩.

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1] أي ما يصطلح عليه بـ(فضول العيش)، وقد نسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

وقد دقّت ورقّت واسترقّت فضولُ العيش أعناق الرجال

والغريب أنّ من الأهل منْ يشيعون أن (الكماليات) ضروريات، فلم يعد في هذا العصر الغارق بالمادة شيء كمالي، فـ(البيت) و(السيارة) و(الأثاث الفاخر) والمجوهرات وتسجيل عقار باسم البنت أو ما أشبه ذلك كلها ضروريات، حتى تكتمل السعادة في نظر المروّجين إلى شرط استكمال الجهاز أولاً.

وإذا كان بمقدور بعض المترفين أو ميسوري الحال توفير ذلك، فإنّ نسبتهم في المجتمع قليلة، فما ذنب الشاب الفقير أو متوسط الحال الذي لا يتمكن إلّا من توفير أساسيات حياته الزوجية.. هل يسرق؟ هل يقضي عمره أعزب؟ هل يعمل أوقات إضافية ليلاً ونهاراً حتى يوفر طلبات أهل زوجته؟

مساوئ التعسّف والتشديد:

إنّ الجواب على هذه الأسئلة يدلّ على استغراق في الماديات بشكل غريب، حيث تسمع: وماذا في ذلك؟ أليس كلّ الشبان اليوم يعملون ليلَ نهارَ لتوفير جهاز العرس؟ وإذا لم تكن لديه القدرة فلماذا يورّط بنات الناس؟ فليذهب ويستكمل نواقصه ثم يأتي.

هذه اللهجة المصاحبة لعقد الزواج أو بعده هي اللهجة الطاغية اليوم، حتى أنّ المقارنة بين زواج وزواج آخر داخل العائلة أو

---

(١) التكاثر: ١٠٢/١.

خارجها أصبح أمراً طبيعياً من دون النظر إلى كلّ حالة على انفراد.. وتتم المقارنات بدون مراعاة الفروق الواقعية بين الأشخاص واختلاف الظروف، كأن يقول أهل الفتاة: يجب على الشاب أن يفرض مهراً يشابه مهر أختها أو ابنة عمّها، وأثاثاً مثل أثاثها.

إنّها لهجة الصفقات.. ولغة المزاد العلني.. راحت تضغط على أعصاب الشبّان لدرجة أن يفنوا شبابهم في تحصيل الحد الذي يعتبره (العرف المغالي) حدّ التأهيل للزواج، وقد يضطر البعض إلى ترك وطنه ليغترب من أجل جمع المال اللازم للزواج، وقد يضعف دينه، وقد يرتبط بفتاة أجنبية ترغب به دون إثقال للكاهل بالمهر العالي، ثم نسأل: لماذا يهرب الشبان ليتزوّجوا غير بنات دينهم أو وطنهم؟ ألسنا نحن الذين دفعناهم دفعاً إلى ذلك؟

وحتى إذا لم يهاجروا .. هل نرضى أن يدخل الشاب حياته الزوجية مثقلاً بفواتير الديون التي تحتاج إلى سنوات لتسديدها؟ وكيف يكون سعيداً من يأرق ليله وهو يتذكر ما بذمته من ديون، ويقلق في نهاره من كيفية سدادها؟!

البيوت لا تبنى دفعة واحدة:

وقد يتوفّر بعض الشبان على شراء جهاز لعروسه، لكنّ التعقيدات تتدخل لتطالبه بأن يشتري جهاز تلفاز من أحدث طراز.. وطاقم أخشاب من أفخم الموبيليات، وألبسة وفساتين من أغلى الموديلات. في حين يمكن أن يشتري المناسب منها ليوفّر الباقي لشراء الحاجيات الضرورية الأخرى، أو يكون تحت يده شيء من المال للإنفاق على زوجته في الأشهر الأولى.

إنّ البيوت كالأعشاش تكتمل بالتدريج قشّة قشّة.. ثم أين يذهب دخل الشاب بعد زواجه.. أليس ينفقه على زوجته وبيته وأولاده؟

ولأنّ البيوت ـ بالنسبة للكثير من العرسان ـ لا يمكن تجهيزها دفعة واحدة، كانت عائلتا العروسين تساهمان كلٌّ حسب استطاعته بدعمها حتى يتمكنا من الوقوف على أقدامهما.

يضاف إلى ذلك أنّ شرط السكن المستقل وامتلاك البيت قد يجعل بعض الشبان لا يفكّرون بالزواج أبداً، فحتى لو تمكن من شراء جهاز الفتاة، فمن أين يستطيع شراء البيت مباشرة إذا كان محدود الدخل؟

إنّ الأهل الذين يرهقون كاهل الشاب في مطلع حياته الزوجية، قد يأثمون لأنّهم يؤذون صحة الشاب البدنية والنفسية في ما يشترطونه عليه، فماذا يتبقى من شاب محطّم نفسياً وبدنياً حتى يسعد ابنتهم؟

الفتيات يتحمّلن المسؤولية أيضاً:

الفتاة تتحمّل أيضاً جزءاً من المسؤولية، فإذا كان الشاب كفؤاً جيداً واقتنعت به، فإنّ عليها أن تصارح أهلها وتقول لهم: هذه حياتي، وهذا هو شريك حياتي، وأنا راضية بما هو عليه ما دام أنّه كُفؤ شرعاً وعرفاً، وسأعمل على أن نطوّر حياتنا بأنفسنا ونؤمّن احتياجاتنا بالتدريج، إنّ هذه الفتاة فتاة مدركة لواقع الحياة ولما يتحمله الشاب من متاعب ومصاعب في تأمين مهرها وأثاث

بيته، ولكن للأسف حتى لو أرادت بعض الفتيات ذلك، فإنّ الأهل يرفضون.

لا تذهبوا بعيداً لدراسة أسباب عزوف الشبان عن الزواج أو البحث عن السبل المنحرفة لتلبية احتياجاتهم الغريزية.. فقد تكونون، أنتم أيها الآباء.. أيتها الأمهات.. وأيتها الفتيات الضعيفات، السبب في ذلك.

لقد حدثت في زمن الرسول محمد ﷺ عدّة وقائع من زواج عجيب، لكي لا يبقى هناك للمسلمين من حجّة في ما يدّعون، ومن جملتها: زواج (جويبر) من (الدلفاء)، وزواج (زيد) من (زينب بنت جحش) وغيرهم.

ولقد كانت تلك الحوادث والوقائع تتبنّى تزويج فتيات جميلات، ذوات حسب ونسب، من رجال ليس لهم من الدنيا إلّا تقواهم، وذلك من أجل أن يقرّ الرسول ﷺ قانون الأخلاق والدين في المجتمع.

جاء عن رسول الله ﷺ: «**إنّما زوّجت مولاي زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وزوّجت المقداد ضباعة بنت الزبير لتعلموا أنّ أكرمكم عند الله أحسنكم إسلاما**».

وورد أنه ﷺ قال أيضا: «**أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ليعلموا أنّ الشرف شرف الإسلام**»[1].

(١) الأخلاق البيتية. الأستاذ مظاهري. ص٥٦.

جهاز الزهراء عليها السلام:

وتذكر السيرة المطهّرة أنه بعد أن تمّ الاتفاق على تزويج الزهراء البتول فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، بعث الرسول صلى الله عليه وآله برجلين وامرأة لشراء بعض اللوازم للزهراء عليها السلام من السوق، ولقد اشتملت تلك اللوازم على (١٧) شيئاً كان ثمنها (٦٣) درهماً.

وكانت هذه الأشياء تشتمل على عباءة، ولا أعني تلك العباءات التي نراها اليوم وكأنّها لباس الشهرة، ولا تلك التي هي من الحرير الناعم، كلّا لقد كانت عباءة سوداء تعلوها مقنعة.

هذا بالإضافة إلى قميص، أعطته الزهراء عليها السلام قبل ارتدائه إلى إحدى المستضعفات لتبقى هي بقميصها القديم وتذهب به إلى دار زوجها، وعندما سألها الرسول صلى الله عليه وآله في اليوم التالي عمّا فعلت بذلك القميص؟ أجابت بأنّها أعطته في سبيل الله تباركت أسماؤه، فقال: «**ولِمَ أعطيت الجديد ولم تعط القديم؟**» قالت: «**ألم يقل الله تعالى في محكم كتابه**: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]».

وكان بساطها الذي تجلس عليه جلد خروف واحد، وفراشها الذي تنام عليه بدل القطن ليفاً من عراجين النخل، أما لوازم طعامها وشرابها فلا تعدو أن تكون بضعة أوانٍ صينية، وقُلّة خزفية واحدة، وقدحاً من طين. وإجمالاً، كانت تلك الحاجيات تُبكي الرسول صلى الله عليه وآله شفقةً حينما ينظر إليها.

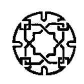
---

(١) آل عمران: ٣/ ٩٢.

وبعد ذلك قال ﷺ ـ كما في الحديث ـ: «**اللّهم بارك بهذه الحاجيات التي يغلب عليها الطين**»[١].

أجل! إنه جهاز بسيط، لكنه عظيم في عين الله، مبارك في عين رسول الله ﷺ، غالٍ جداً في عيوننا وقلوبنا الموالية لآل بيت رسول الله ﷺ!

وقد تقول بعض الأمهات أو بعض الفتيات.. كان هذا في العصر القديم، أما اليوم فقد تغيّرت الأمور، ونحن لا نطالب حينما نذكر جهاز الزهراء عليها السلام بأن يكون جهاز فتياتنا بهذا الشكل، بل نريد أن يكون بسيطاً مقتصراً على ما هو ضروري وأساسي فعلاً، علماً أنّ المهر العالي كان موجوداً حتى في ذلك الزمان وقبله وبعده، لكنّ الرسول ﷺ ومعه الزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام أرادوا أن يعطوا المثل من أنفسهم لمن يريد أن يقتدي بهم.



(١) الأخلاق البيتية. الاستاذ مظاهري. ص٧٣ ـ ٧٤.



الفصل الثالث

الزواج



الزواج

الزفاف والعرس:

الآن وقد زفّت الفتاة التي تمنّاها الشاب إلى عريسها، وقد أظلّهما سقف واحد، حيث يبدأ من اللحظة نسيج الحياة الزوجية التي تمت على ضوء كلمات الله، وفي ظل مباركته، ورعايته وعنايته، يدخل الزوجان مخدع الزوجية ليخطوا أولى الخطوات العملية في تأسيس البيت الذي لم يبن في الإسلام بناء مثله لفرادة هذا النوع من البيوت والأسر المباركة.

ولقد ورد في مستحبّات الزواج:

- الوليمة يوماً أو يومين فقط لا أكثر، ويستحبّ أن يكون الزفاف ليلاً والوليمة في ليله أو نهاره، فعن النبي ﷺ: «**لا وليمة إلّا في خمس: في عرس و..**»[1]، وذكر في أوّلها العرس

- يستحب الاستجابة للوليمة.

- وقت الوليمة بعد إجراء عقد الزواج، أو عند الزفاف ليلاً أو نهاراً.

---

(١) الزواج المبكر: محمد كاظم. ص١٥٦.

ـ يستحب الإشهاد في الزواج الدائم والإعلان به. وذهبت بعض المذاهب الإسلامية إلى وجوب الإشهاد عليه.

ولا يشترط في الوليمة أن تكون في أرقى المطاعم وأغلى الفنادق والصالات، كما لا يشترط فيها أن تكون مائدة مفتوحة من كلّ ما لذّ وطاب، ولا يشترط أن تنحر فيها الذبائح، بل بما تسمح به حال الزوج وبما لا يثقل كاهله، فالغاية هي اجتماع الأحباب ومشاركتهم أفراح الزوجين وليست الطعام فقط.

ومن المسائل التي ينبغي أن يتقيّد بها العروسان المسلمان، أنّ الشريك ليس له الحقّ في أن يفرض على شريكه عرساً غير إسلامي لأنّه حرام.

كما أنّ حفلة الزفاف تتم بالتراضي بين الطرفين، مثلما يجوز الانتقال إلى بيت الزوجية بتوافق الطرفين بدون عرس.

أمّا غناء النساء ليلة الزفاف ففيه رواية بالجواز يمكن العمل بها، ومن قال بجوازه اشترط عدم الموسيقى اللهوية معه وعدم استماع الرجال له، وعدم الاختلاط بين الجنسين أو الترويج لأمر حرام. وإذا كان هناك رقص نسائي بين النساء فقط ولا يراهنّ الرجال، فاللازم أن لا يكون خليعاً يستثير أنوثة النساء الغريزية.

ما يستحبّ عند الزفاف:

ورد أنّه يستحبّ أن يطلب من العروس أن تصلّي ركعتين بعد الوضوء عند الدخول على بيت زوجها، ويصلّي العريس ركعتين

مثلها، ويحمد الله، ويصلّي على النبي وآله، ويقول: «**اللّهم ارزقني إلفها وودّها ورضاها بي، وأرضني بها واجمع بيننا بأحسن اجتماع، وأيسر ائتلاف، فإنك تحب الحلال، وتكره الحرام**».

وبعد انتهاء الدعاء يؤمّن من يزفّه على دعائه بقولهم: آمين .. آمين.. أي استجب يا ربّ.

وفي المرويات التي لم نتثبت منها أنّ أبواب السماء تفتح عند نزول المطر، وعند نظر الولد في وجه والديه، وعند فتح الكعبة، وعند الزواج. وربما هي مناسبات لنزول الرحمة الإلهية.

وصية أم لابنتها العروس:

مرّ بنا تأثير الأم على ابنتها، وكلما كانت الأم مؤمنة وصالحة ومجرّبة وحريصة؛ كان وقع كلماتها في نفس ابنتها أبلغ، ومواقفها أرسخ وأثبت في وجدانها وذاكرتها.

يحكى أن أعرابية خلت بابنتها المعدّة للزفاف، فقالت توصيها:

أي بنية، إنك فارقتِ بيتكِ الذي منه خرجتِ، وعُشّك الذي فيه درجتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فكوني له أمَة يكن لكِ عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً، يكن لكِ ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقّد لموضع عينه وأنفه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلّا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإنّ تواتر الجوع ملهَبة، وتنغيص النوم مغضَبَة..

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بمالِه، والإرعاء (الرعاية) على حَشمِه وعياله، ومِلاك الأمر (ميزانه) في المال حسنُ التقدير، وفي العيال حسنُ التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصِينَّ له أمراً، وتُفشِينَّ له سراً، فانّك إن خالفتِ أمره؛ أوغرتِ صَدرَه.. وإن أفشيتِ سِرّه؛ لم تأمني غدره..

ثم إياكِ والفرح بين يديه إذا كان مهتمّاً (مهموماً)، والكآبةُ بين يديه إذا كان فرحاً.

ومن خلال هذه الوصية، يتبين مدى معرفة هذه الإعرابية بخصائص ودقائق ما يمكن أن يدخل السرور على الزوج، ما يعني أنها وصية خبيرة، وأن وصيتها لا تتأثر بالزمان، فما ذكرته قادر على أن يفعل فعله الطيّب في كل زمان. وحريّ بكلّ فتاة أن تتعلم هذه الوصية قبل دخولها بيت الزوجية لتسعد بذلك زوجها وتسعد هي بسعادته، فسعادة الزوجين من إسعاد بعضهما بعضا.

ولقد عرّف عمّ الملا (محسن فيض الكاشاني) ـ الذي لقّبه عمّه والد زوجته بـ(صدر المتأهلين) ـ لابنته قائلا: **(إنه يمنح الفيض للعموم ولك بالخصوص)**. أي يفيض السعادة في الحياة الزوجية.

ولكننا نأسف لبعض الأمهات أو الأهل الذين يوصون بناتهم أن لا يبدين ليناً للزوج، أو لا يظهرن له اللين والطاعة، وحجّتهم

في ذلك أن لا يستغلّها الزوج، فإذا كانوا قد زوّجوها لمؤمن فالمؤمن لا يستغلّ، وإذا كانوا قد زوجوها لمستغلّ. فالنصيحة لا تجدي!

الصلاة شكراً:

كما ورد استحباب وضوء العريسين قبل دخولهما الفراش، وصلاة العريس ركعتين شكراً لنعمة المنعم ـ كما مرّ ذكره ـ وهل هناك نعمة بعد الإيمان، أكبر من نعمة الزواج، كما جاء في الحديث . . فالعريس يقول في فحوى صلاته إنّه يشكر الله الذي رزقه زوجة صالحة يستعين بها على أمر دينه ودنياه، ويسأله أن يرزقه منها الولد الصالح أيضاً.

وجاء عن (كتاب النجاة) المروي عن الأئمة عليهم السلام:

«**إذا قرب الزفاف يستحب أن تأمرها بالصلاة ركعتين، وتكون على وضوء إذا أُدخِلتْ عليك، وتصلّي أنت أيضاً مثل ذلك، وتحمد الله وتصلّي على النبي وآله، وتقول: اللهم ارزقني إلفها وودّها ورضاها بي، وأرضني بها واجمع بيننا بأحسن اجتماع، وأيسر ائتلاف، فإنّك تحب الحلال وتكره الحرام**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: «**إذا أدخلت عليك أهلك** (زوجتك) **فخذ بناصيتها واستقبل بها القبلة، وقل: اللهم بأمانتك أخذتها، وبكلماتك استحللت فرجها، فإن**

(١) آداب ليلة الزفاف. ص٨.

قضيت لي منها ولداً؛ فاجعله مباركاً سوياً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً»[١].

ما يستحب عند المباشرة:

ورد أنه إذا دخل العريس على عروسه، وبدأ التودّد إليها لمباشرتها أن يدعو بهذا الدعاء: «**بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلّا هو بديع السماوات والأرض.. اللهم إن قَضَيْتَ منّي في هذه الليلة خليفة، فلا تجعل للشيطان فيه شِرْكاً ولا نصيباً ولا حظّاً، واجعلْه مؤمناً مخلِصاً مصفّىً من الشيطان ورجزه، جل ثناؤك**».

أو يقول: «**اللهم ارزقني ولداً، واجعله تقيّاً زكيّاً ليس في خَلْقِه زيادةٌ ولا نقصان، واجعلْ عاقِبته إلى خير**»[٢].

يا لله!! كأنّ الزواج في الإسلام عبادة!! وكأن ليلة الزفاف هيكل قدسي! لذا قال الفقهاء: إن الزواج في الإسلام فيه شائبة العبادة. أي أنه يشبه العبادة!

العذرية وغشاء البكارة:

كثيرون يظنون أن الدم إشارة إلى وجود العذرية، وأن عدمه إشارة إلى فقدانها.. وهذا ليس صحيحاً على مستوى العلم، حيث أثبت العلم أن كثيراً من الأغشية عند الفتيات تتمدد فلا يخرج الدم نهائياً، وبالتالي لا يتمزق الغشاء إلّا عند الولادة.

---

(١) المصدر نفسه. ص٨.

(٢) مفتاح الجنات، ج١. الباب الحادي عشر. ص٤٢٦.

وترد شكاوى عديدة من بعض الشبان الذين يتزوجون باتهام زوجاتهم بالاقتراب من الرجال قبل الزواج، جهلاً بالمعلومات العلمية.

وفي الشرع الإسلامي لا قيمة لظهور الدم أو عدم ظهوره ليلة الزفاف أو غيرها، ولا دلالة للدم على البكارة..

وقد اثبت الطب أن المرأة الممارسة للجنس تستطيع أن تعيد بكارتها الشكلية بعملية جراحية لتظهر لعريسها الدم ليلة الزفاف.

ويبدو أن الأصل في الفتاة أنها باكر، إلَّا أن يثبت بالأدلة القاطعة ـ كما لو اعترفت هي ـ أنها مدخول بها قبل الزواج..

ومع هذا، لو اكتشف العريس أنها ثيّب وقام الزواج على أنّها بكر، فإنّ من حقه هنا أن يسقط من المهر بمقدار الفارق بين الحالتين، ولا داعي لإيجاد مشكلة[1].

المخدع الزوجيّ:

في ليلة الزفاف تبدو العروس بأبهى زينتها، ويظهر العريس بأجمل حلّة، ولكن الزوجين اللذين يريدان حياة هانئة سعيدة يمكنهما أن يجعلا من كلّ ليلة من ليالي حياتهما عرساً.

قد لا تحتاج الزوجة إلى نفس الزينة والزوج إلى نفس طاقم العرس في كل ليلة، وإن تمكنا فذلك مما يزيد في سرورهما، لكنّ

---

(١) راجع فتاوى السيستاني في البكورة.

الظهور بمظهر رائق جميل دائماً؛ يجعل المخدع الزوجي يفوح بعطر السعادة من الزوجين في حالة الاقتراب وقبلها وبعدها.

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ أجواء المعاشرة لها نسبة من التأثير في المولود، فإذا كان اللقاء حميماً وهانئاً؛ جاء الولد سليماً معافى، بعكس ما لو تم اللقاء في أجواء خالية من ذلك.

وللزوجين في مخدع الزوجية حقوق وواجبات وآداب عليهما مراعاتها لمصلحة سعادتهما المشتركة، ولنبدأ ببعض المسائل الشرعية التي يجدر بالشريكين أن يتثقّفا بها حتى لا يجور أحدهما على الآخر وهو جاهل بالحكم الشرعي.

١ ـ على الزوجة أن تمكّن الزوج منها، ويحقّ لها الامتناع إذا لم يسدّد مهرها المعجّل.

فإذا قبلت ومكّنته من نفسها بدون أن يسدد المهر المعجّل، لا يحقّ لها الامتناع في ما بعد ـ حسب الكثير من الفقهاء ـ وإن بقي الحق لها بالمطالبة بالمهر مستمرا.

٢ ـ يستطيع كلٌّ من الزوجين تحديد حالات وأزمنة تمكين الآخر من نفسه قبل الزواج، فإن لم يتم التحديد، وكان الزواج بدون شروط، فعلى الزوجة تمكين زوجها منها دائماً، إلّا في الحالات التي حرّم فيها الشرع ذلك (كما في الحيض والنفاس والأمراض المعدية الخطيرة).

ولم يشترط الفقهاء على الزوج أن يمكّنها من نفسه دائماً، ربّما لأنّه لا يحتاج إلى هذا الشرط الشرعي، لأنّ الرجل أسرع استثارة من المرأة، فلابدّ من حثّها هي بالتشريع والقانون على

الاستجابة للزوج حفظاً له من البحث عن امرأة ثانية، أو الطلاق أو اللجوء إلى طرق غير شرعية. وهناك من الفقهاء من يرى أن حق التمكين مشترك، فكما يحقّ للزوج على الزوجة أن تمكّنه من نفسها، يحقّ لها أن يمكّنها من نفسه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[١].

٣ ـ لا يجوز للزوجة منع زوجها من مقاربتها في الفراش حتى لو أخلّ ببعض حقوق زوجته.. أجل يحقّ لها وعظ زوجها وتحذيره، ثم ترفع قضيتها إلى الحاكم الشرعي لاتخاذ الإجراء المناسب[٢].

ولا يخفى أن الأخلاق لا تنفصل عن الشريعة، فإذا رأى الزوج أن زوجته مريضة أو متعبة جداً أو أن نفسيتها مضطربة، ولم يتمكن من إزالة ذلك عنها، وكان قادراً على أن يصبر إلى وقت آخر، فإنّ ذلك مما تقدّره الزوجة له.

٤ ـ يجوز لكلّ من الزوجين التلذّذ بأيّ جزء من جسده، في أي جزء من جسد شريكه، ما عدا المقاربة في الخلف، ففيها أقوال.

المقدّمات والمعقّبات:

قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾[٣].

---

(١) البقرة: ٢/ ٢٢٨.

(٢) الفقه للمغتربين. ص٢٧٤.

(٣) البقرة: ٢/ ٢٢٣.

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ترتموا على نسائكم كالبهائم، بل اجعلوا بينكم وبينهم رسولاً. قيل: وما الرسول، يا رسول الله؟ قال ﷺ: القُبلة!**».

وجاء عنه ﷺ أيضاً: «**إنّ قول الرجل لزوجته إني أحبك لا يكاد يذهب من بالها ولا تنساه**».

إنّ لكلمة غزلٍ عذبة رقيقة دافئة يقولها الزوج بحبّ وحنان لزوجته، معاني كبيرة وأثراً ساحراً.. ولا ينبغي للشريكين أن يدّخرا وسعاً في ذلك، فالتمهيد مما يزيد في سعادة الشريكين ورضاهما عن بعضهما البعض.

تزيّن الشريكين:

ولقد حثّ الإسلام على تزيّن الزوجة لزوجها، وتزيّن الزوج لزوجته، لأن كلاً منهما يحب في الآخر ما يحبه الآخر فيه.. ولعلّ قصة المرأة التي كانت في زمن السيدة عائشة زوج النبي ﷺ ـ والتي مرّ ذكرها ـ معروفة، فلقد كانت كئيبة تهمل نفسها ولا تتزين لزوجها، لعدم تذوّقها السعادة معه بسبب إهماله لنفسه، حتى أمره النبي ﷺ بالتزيّن، فتبدّلت الحال نحو الأحسن، وجاءت إلى المجلس في اليوم الثاني تبتسم وقد امتلأ وجهها بماء الحياة، وحين سألتها السيدة عائشة عن سبب فرحها ومرحها، قالت: أصابنا ما أصاب الناس!!

وكان الرسول ﷺ يتزيّن لأهله، ويقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

كما كان الأئمة عليهم السلام يتزينون لزوجاتهم، ويطالبون شيعتهم ومواليهم بأن يفعلوا ذلك مع زوجاتهم أيضاً، حتى جاء في بعض الأخبار تأكيد شديد على التزيّن والتعطّر والنظافة قبل اللقاء الحميم. وفي الأخبار أن نساء من بني إسرائيل زنت لأنّ أزواجهنّ لم يكونوا يهتمون بنظافة أجسادهم وزينتهم، فعافتهم نفوس نسائهم.

إن تزيّن الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، له لسان حال عذب يقول: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[1] في ما أحلّ الله، أي إنّما استعددت وتهيأت وتزيّنت وتعطّرت وتجمّلت لك وحدك، حتى أبدو في نظرك أجمل، وحتى ترتاح نفسك لمرآي، وترتاح نفسي وتبشّ لمرآك.

فقد ورد عن الرسول ﷺ: **أنه كان ينصح الرجال بالاهتمام بمظهرهم والتزين والتهيؤ لزوجاتهم كما يحبون أن يتزينّ ويتهيّأن لهم**[2].

وفي الوقت الذي حرّم الإسلام على المرأة أن تظهر متبرّجة أمام الناس، دعاها إلى التبرج وإبداء كامل زينتها لزوجها، حتى تشبع هذه الحاجة في نفسها ونفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[3].

فزينة المرأة لزوجها مشروعة، وهي حق وأمر مطلوب شرعاً،

---

(١) يوسف: ١٢/ ٢٣.
(٢) مستدرك وسائل الشيعة. ج١٤. كتاب النكاح.
(٣) النور: ٢٤/ ٣١.

ويرفض الإسلام أن تتزين الزوجة للرجال الأجانب. . وقد تخسر ثواباً عظيماً إذا أقبلت على زوجها أو أقبل عليها وهي في ثيابها العادية التي تلبسها لإدارة شؤون المنزل.

وكم هي حكيمة تلك الزوجة التي تحتفظ بملابسها الجميلة الزاهية السارّة لنظر الزوج، وتزهو بها أمامه، وتنوّع ملابسها تجنّباً للرتابة.

إن العلاقة الزوجية (فنّ)، وهي ليست فقط قوانين وحقوق وواجبات . . وهو فنٌ ممكن . . أي باستطاعة كلّ زوج وزوجة تحصيله، بما ألهمهما الله من غريزة الجذب للآخر، وبما يمكن أن يطّلعا عليه من قراءات وتجارب في هذا المجال.

لقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**على المرأة أن تتطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه** (على الزوج) **غدوة وعشية**»[١].

والمعروف بين الفقهاء أنّ هذا ليس واجباً على الزوجة، وإنما هو مستحب، أي أنّ الرسول ﷺ يدلّ الزوجة على الطريق الذي تكسب به قلب الرجل ومودّته، ذلك أن ترك المرأة لهذه الأمور يضعف العلاقة بينها وبين زوجها، فإذا ما تزيّنت وتطيّبت وارتدت من فساتينها الجميل المثير، كان ذلك أدعى إلى الانجذاب والتوافق. حتى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إنه لا ينبغي للمرأة أن تتعطل (تترك الزينة) حتى ولو بقلادة، وقيل

---

(١) الزواج المبكر. ص٨٢ ـ ٨٣.

(حديدة) تزين بها صدرها، مما يلفت النظر إلى أهمية التزيّن الذي يزيد الجمال جمالاً والأنوثة ألقاً.

وكما يريد الزوج من زوجته؛ تريد منه في المقابل. فإذا ما تطيّب هو وارتدى اللباس الذي يروق لزوجته، فإنّ السعادة تتضاعف، ولعلّ عناية أحد الزوجين بمظهره ونظافته ورائحته قد يدفع الطرف الثاني إلى الاهتمام أيضاً، على طريقة ردّ التحية بمثلها أو بأحسن منها، وقد نقل في سيرة الإمام الصادق عليه السلام أنه كان يكتحل ويتطيب ويتزين لنسائه.

ولكنّ بعض الرجال يتصورون، أنّ هذا المطلب تابع لمزاج الرجل فقط، وليس حقاً بينه وبين زوجته.. فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها**»[1].

جاء في الأخبار أن (خولة) قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله:

«**إني أتعطر لزوجي كأني عروس أزفُّ إليه، فآتيه في لحافه فيولّي عنّي، ثم آتيه من قبل وجهه فيولّي عني.. فأراه قد أبغضني يا رسول الله، فماذا تأمرني؟**

قال: اتقي الله وأطيعي زوجك..

قالت: فما حقي عليه؟

(١) آداب الزفاف. ص١٨٥.

قال: حقك عليه أن يطعمك مما يأكل، ويكسوك مما يلبس، ولا يلطم، ولا يصيح في وجهك.

قالت: فما حقه عليّ؟

قال: حقّه عليك أن لا تخرجي من بيته إلّا بأذنه، ولا تصومي تطوعا (أي مستحبا) **إلّا بإذنه، ولا تتصدّقي في بيته إلّا بإذنه.. وان دعاك على ظهر قتب تجيبيه»** أي إذا طلب منك ذلك اللقاء الحميم ولو في الظروف الصعبة فوافقيه.

العلاقة الجنسيّة:

اهتمّ الإسلام بالعلاقة الجنسية بين الزوجين اهتماماً شديداً لأنها جوهر الزواج وأساسه، واعتبرها ذات بعد ماديّ وروحيّ حيث لا تقوم بدور تفريغ الشحنة عند الطرفين فقط، وإنما تحقق مشاعر الحب والرحمة والمودة بين الزوجين وفيها رضا الله، فقد ورد عنه ﷺ أن الرجل يثاب حيث يضع ماءه في الحلال.

ويتحدث علماء النفس موسعاً عن الآثار النفسية الإيجابيّة التي يتركها اللقاء الحميم بين الشريكين.

لذا لا ينبغي الاستهانة برغبة أحد الزوجين، فلقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة، فقال لها: لعلك من المسوّفات..

قالت: وما المسوّفات يا رسول الله؟

قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة، فلا تزال

تسوّفه حتى ينعس زوجها فينام، فتلك التي لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ، حتى توقظ زوجها وترضيه»[١].

وهذه الرواية شديدة اللهجة، وهي تؤكّد ما قلناه، ولابدّ من الفات النظر إلى أن ذلك يكون في الظرف الطبيعي الذي لا تعاني فيه الزوجة من بعض الآلام والمتاعب، حيث يتعين على الزوج أن يقدّر وضع زوجته النفسي والجسدي فلا يشعرها بالتجاهل والإهمال، وكأنّه أعمى لا يرى إلّا رغبته، ولا يهمّه إلّا قضاء حاجته.

الموافقة الجنسيّة:

إنّ اندماج الرجل بالمرأة اندماجاً جسدياً وروحياً يحقق أجمل الأحاسيس الجسدية والروحية والعاطفية في عاصفة من السعادة والفرح، حتى كأنها لحظة جنون من البهجة، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام في وصف ذلك: «**حياء يرتفع، وعورات تجتمع، أشبه شيء بالجنون**..»[٢]!

وقد يُظن أن الرجل هو صاحب الحق في التعبير عن أحاسيسه وعواطفه فقط دون الزوجة.. هذه مجرّد تقاليد.

إن المعاشرة حق متبادل بين الطرفين، بل هي من مظاهر كمال البهجة والسعادة.

ويذهب الفقهاء إلى حرمة استعمال الكلام العاري والتفوه

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. كتاب النكاح. ص١١٧.
(٢) ميزان الحكمة. ج٢. مادة (جماع). ص٧٤.

بالكلام الفاحش بين الناس، وهو الذي يستقبح التصريح به عادة، ولكنه يجوز في المخدع الزوجي..

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

والرفث هو الكلام العاري الذي يستقبح التصريح به، واستعير هنا كرمز وإشارة للتعبير عن جواز المواقعة في ليالي الصوم وحرية التعبير في المخدع الزوجي بكل كلمات الإثارة..

لكن هذا لا يعني استعمال كلمات الإهانة الفاحشة للطرف الآخر بحجة الدلال والإثارة المعروف استخدامها من قبل بائعات الهوى، فالإهانة للطرف الآخر والسخرية به بحجة المزاح والمداعبة بكلمات فاحشة أو بدونها أمر مرفوض شرعاً، وهو خلاف الآداب.

إن احترام كرامة الشريك في الحياة الزوجية ـ سواء داخل المخدع الزوجي أو خارجه ـ مهمٌّ جداً ومطلوبٌ شرعاً.

وتردنا أسئلة شرعية حول مدى جواز استعمال الشريكين أدوات مثيرة مصنّعة خصيصاً للمخدع الزوجي لإطلاق أعلى وأقصى بهجة ممكنة، ولابدّ من رجوع الإنسان هنا إلى مرجع تقليده الفقهي ليأخذ الفتوى منه في هذا الصدد، ولعلّ الرواية الآتية عن الإمام الصادق عليه السلام تشير إلى هذا الأمر، حيث

---

(١) البقرة: ٢/١٨٧.

قال عليه السلام: «**لا بأس أن يستعين بكلّ شيء من جسده عليها، ولكن لا يستعين بغير جسده عليها..**».

وقد أكّد الإسلام على الزوج إيصال شريكته في المخدع إلى تمام البهجة الطبيعية، حيث جاء عن الصادق عليه السلام: «**إن أحدكم ليأتي أهله** (زوجته) **فتخرج من تحته ولو أصابت زنجياً لتشبثت به!! فإذا أتى أحدكم أهله فليكن بينهما مداعبة؛ فإنه أطيب للأمر**»[١].

متى تكره المواقعة الجنسيّة؟:

يحكى أن رجلاً سأل الإمام الباقر عليه السلام عن الأوقات التي تكره فيها المقاربة وإن كانت حلالاً، فقال عليه السلام:

«**نعم.. من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق** (الشفق: حمرة السماء من جهة المغرب)، **وفي اليوم الذي تنكسف فيه الشمس، وفي اليوم والليلة التي تكون فيها الريح السوداء أو الريح الحمراء أو الريح الصفراء، واليوم والليلة التي تكون فيها الزلزلة..**»[٢].

والملاحظ أن هذه الأوقات غالباً هي أوقات عبادة وتقرّب وفضيلة، أو خوف وقلق ينبغي فيها الدعاء والصلاة والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى، والمقاربة في هذه الأوقات تفقد الاجواء المطلوبة للبهجة، ولا تتناسب مع ذلك الشعور.

---

(١) ميزان الحكمة. ج٢. مادة (جماع). ص٩.
(٢) آداب ليلة الزفاف. ص١٠.

كما ورد كراهة المعاشرة أمام الطفل، فعنه ﷺ انه قال: «**والذي نفسي بيده، لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفَسَهما؛ ما أفلح أبداً**»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «**إيّاك والجماع حيث يراك صبيّ يحسن أن يصف حالك**»[٢] أي الصبي المميّز.

ولقد اتضح من بعض الدراسات التربوية والنفسية، أن المشاهد الجنسية التي يراها الطفل إبّان طفولته يتعذّر محوها من ذاكرته، وقد تكون سبباً لنفوره أو انحرافه الجنسي.

وحكي عن بعض الأشخاص، انه كان طفلاً صغيراً ابن خمس سنوات، يرى أباه يعاشر امرأة غريبة، فيثور شبقه العارم حتى وهو طفل، ويحاول أن يفعل نفس الفعل مع أيّ طفلة يستفرد بها!!

حقوق تكفلها الشريعة:

وثمة أحكام ومسائل شرعية أخرى ينبغي أن يتعرّف عليها كلّ من الزوجين حتى تنتظم علاقتهما على ضوء ما أحلّه الله تعالى، لذا يؤكّد الفقهاء ما يلي:

١ - يجوز - كما ذكرنا - لكلّ من الزوجين الاستمتاع بكلّ أنحاء جسد الآخر من أعلى الجسم إلى أسفله، ظاهره وباطنه، ما عدا المعاشرة الخلفية من غير المكان الطبيعي في جسد

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. ص٩٤. ب٦٧. ح٢.
(٢) النظام التربوي في الإسلام. ص٩١.

المرأة، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنّها مكروهة كراهة شديدة، وبعضهم ذهب إلى حرمتها أو الاحتياط بحرمتها، كالمرجع الفقهي السابق السيد الخوئي (قدس سره).

ويجيز المرجع الفقهي السيد السيستاني المقاربة الخلفية حتى أثناء الحيض برضا الزوجة، ولعلّ ذلك من باب إطفاء غلمة الرجل حتى لا يخرج على زوجته.

٢ - الأحوط وجوباً للزوج عند استعمال العازل المانع من الحمل استئذان الزوجة في ذلك لورود أخبار يُفهم منها منع العزل بدون رضاها.

٣ - يحرم على الزوجين المقاربة الجنسية الأمامية أثناء فترة الحيض والنفاس، ويحقّ للزوجة صدّ الزوج ومنعه عن ذلك. لكن تجوز الملامسات والاستمتاعات الخارجية، كما تجوز المقاربة الجنسية الكاملة أثناء (الاستحاضة)، وغالباً ما يكون دمها أصفر رقيقاً بارداً غير متدفّق، وقد يكون متقطّعاً.

٤ - يجوز استعمال المنشّطات الجنسية ما لم تحدث ضرراً بليغاً بالإنسان.

المشوّقات والمنفّرات:

منذ أن دعا رسول الله ﷺ الأمّة إلى النظافة، واعتبر ذلك جزءاً من الإيمان، والمسلمون الملتزمون يبتعدون عن كلّ ما هو قذر ونجس. ولقد عملت الشريعة الغرّاء على جعل المسلم والمسلمة نظيفين، سواء بالدعوة إلى النظافة بشكل عام، أو

بالوضوء أو الغسل، وحثّت أيضاً على الاهتمام بالجاذبيّة والتقارب باستعمال السواك وهو بمنزلة فرشاة الإسنان، والطيب وإزالة الشعر الزائد.

وفي خصوص الزوجين، فإنّ من دواعي الاقتراب والتجاذب والتحابب أن يكون كلّ منهما في أنظف جسد وأطهر ثياب وأعطر رائحة وأروع منظر.

ومما يؤسف له أن بعض الأزواج يطالب زوجته بأن تكون في أبهى حلّة وأعلى درجة من الأناقة والنظافة، معتبراً أن ذلك حقّه عليها، دون أن يلتفت إلى حقها المماثل عليه، فيرجع من العمل ورائحة عرقه تقزز البيت، ويبقى هكذا دون أن يغتسل أو يتطهّر، في حين أن الله تعالى يقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

وعن النبي ﷺ أنّ: **«النظافة من الإيمان»**.

وأخيراً يضطجع الواحد من هؤلاء في سريره، ويملأ غرفة النوم بروائح كريهة.. ثم يتساءل لماذا تنفر الزوجة منه، بل إن بعض الزوجات يهملن تنظيف أنفسهنّ على طريقة المعاملة بالمثل.

ولقد اشتكت إحدى الزوجات من قذارة زوجها، قائلة:

(إن زوجي قذر وسيّىء المظهر إلى درجة أنّي أخجل أن

---

(١) المدثر: ٧٤/ ٤ ـ ٥.

(٢) البقرة: ٢/ ٢٢٢.

أخرج معه إلى مكان ما.. أقوم باستمرار بغسل ملابسه ولكن دون جدوى.. تنبعث من فمه رائحة نتنة.. وهو يرفض استعمال الفرشاة لتنظيف أسنانه، فقد اشتريت له فرشاة ومعجون أسنان، ولكنّه لم يستخدمها ولو لمرة واحدة، إنّي أحترق وأعاني كثيراً من هذا الأمر)[١].

ولذا ينبغي إزالة كلّ المنفرات التي تجعل الاقتراب بين الزوجين متعذّراً ومنها: القذارة السفليّة، ورائحة التدخين، ورائحة الثوم والبصل، ورائحة العرق، وأبخرة الفم النتنة.

دور الحواس في الجنس:

هناك عوامل كثيرة تؤثر على الغريزة الجنسية، منها الحواس الخمس، ونظراً لأهمية الحواس هنا نشير إلى كلّ منها، ودوره في إنعاش اللقاء الزوجي.

١ ـ حاسة النظر[٢]:

يقول د. فان دفلد: **(والعين هي التي تبعث المشاعر الأولى بين الجنسين.. إلّا فيما ندر)**. فالحبّ يشرق بهذه الوسيلة.. فالروحان تلتقيان وتتواصلان بشرر ضئيل تومض به العين في أية لحظة.. وقديماً قيل: **(القلب في العين، فابحث عنه هناك)**..

يقول مسلم بن الوليد:

---

(١) الفقه للمغتربين، ص١٣٦.

(٢) للمزيد راجع (الزواج المبكر). ص٩١. وما بعدها، والحديث عن الحواس هنا خلاصة لما جاء هناك.

جعلنا علاماتِ المودّةِ بيننا مصايدَ لحظ هنّ أخفى من السحر
فأعرف منها الوصلَ في لينِ طرفها وأعرفُ منها الهجرَ بالنظر الشزر

وقد قال أهل التجربة إنّ حاسة النظر عند الرجل أقوى، كما أن حاسة السمع عند المرأة أقوى، ولا يعني ذلك أن المرأة لا تهتم لما ترى أو لا يأبه الرجل لما يسمع.

٢ ـ حاسة السمع:

إنّ التودّد يتصل اتصالاً وثيقاً بحاسة السمع، ففي فصل التناسل عند الحيوانات يستخدم كثير من الذكور قواهم الصوتية إلى أقصى حدّ مستطاع، وهذا ملحوظ بصفة أخصّ بين الطيور التي يلعب التغريد دوراً رئيسياً في تناسلها.

وصوت المرأة المخملي يؤثر في الرجل ويجذبه، ويبعث في أعماقه الأشواق والمشاعر الحيّة، وإذا كان القرآن الكريم قد نهى المرأة عن أن تنغّم صوتها وترخّمه وترققه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1]، فإنّ الإسلام أباح للمرأة أن تستخدم صوتها المنغّم لزوجها؛ لينعم بسحر رنينه، كما تنعم بصوته العذب الرقيق.

٣ ـ حاسة اللمس:

للمس الحاني اللطيف تأثير سحري في الحياة الزوجية، يقول الدكتور فان دفلد: (**إنّ اللمس من أهم الحواس في الأمور**

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٣٢.

الحسّية، وتشمل الأعضاء اللامسة سطح البشرة كلّه (الجلد) والأجزاء القريبة من الغشاء المخاطي، ولكن أجزاء البشرة كلّها لا تتساوى في حساسيتها للمس، واليد أهم جزء نشيط لامس، ولاسيما الأصابع وأطرافها (الأنامل) وطرف اللسان حسّاس جداً).

وقد جاء عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «**ليس القبلة على الفم إلّا للزوجة والولد الصغير**»[1].

٤ ـ حاسّة الشم:

ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**الريح الطيبة، تشدّ العقل وتزيد من الباه**» (القوة الجنسية).

ويقول المتخصصون: (**دلّت الأبحاث على أنّ الشمّ ذو أثر هام في القضية الجنسية أكثر مما نتصوّر**).

وأجرى الدكتور (نوبل جونس) الأستاذ في جامعة كاليفورنيا عدّة بحوث تبيّن فيها أنّ الروائح العطرية والتي يدخل العنبر في تركيبها خاصة، تساعد على إثارة الغريزة الجنسية عند الرجل، ويعلّل ذلك بأنّ هذه الروائح تولّد شحنة كهربائية في أعصاب الشمّ، وتؤثر في جزء معين من المخ يثير عاطفة الرجل، وكلما قويت هذه الشحنة؛ زاد انجذاب الرجل إلى المرأة.

(١) بحار الأنوار. ج١٠. ص٢٤٦. ح١٢. ب١٦.

ليدرس كلّ من الزوجين ذوق الآخر:

وقد تكون لكلّ حالة زوجية خصوصياتها، والتجربة أكبر برهان، فإذا وجد الزوج أن بعض الأمور والأشياء والروائح والملابس والألوان لا ترتاح لها نفس زوجته؛ فليجتنبها.

قواعد عملية للسعادة الزوجية:

لأنّ العلاقة الزوجية هي أقدم العلاقات الإنسانية وأعرقها، ولأنّ هذه العلاقة ستبقى أهم وأروع العلائق بين البشر، فإنّ تجارب البشر قد انتجت قواعد سليمة لانجاح اللقاء الزوجي، وقد ذكرت بعض الصحف عدداً من هذه القواعد كالتالي[1]:

١ ـ أدخلوا المخدع الزوجي بسلام:

إنّ الإغاضات والإهانات والاستخفاف والسخرية غالباً ما تقتل الرغبة الجنسية، وهذا يتكوّن عادة ببطء وليس بين عشية وضحاها، فمع مرور الزمن، يتحوّل الرجل إلى شخص يسخر من زوجته في كلّ ما تقوم به.. يعيّرها بالسمنة، أو بالنرفزة أو الصراخ، أو بإهمال الأناقة، أو يسخر من خوفها من التقدّم في السنّ، وحتى من طريقة طهوها.

والزوجة لا تعود ترى في الزوج إلّا ذلك الرجل الفظّ، الأناني، المتطلّع دائماً إلى الفتيات، الذي لم يعد يهتم بها، فتنكد

---

(١) جاءت هذه القواعد في بعض أعداد مجلة (الحسناء) النسوية.

عليه أوقاته.. وتتوجّه إليه بالكلمات النابية بدون توقّف، حيث تنتقد كسله وفوضويته وإهماله.

وهكذا تجتمع هذه الإغاضات والإهانات، فيحلّ النفور بينهما، وهو يعمل عمل الأرضة في الخشب.

وأكثر ما يغيظ الزوجة التي لديها أولاد حديث زوجها باستمرار عن زوجة زميله في العمل التي تعتني بالبيت والأولاد والحديقة والزوج بكلّ سهولة، وتظلّ أنيقة مشرقة.

ويغتاظ الزوج بدوره عندما تتذمر الزوجة باستمرار، وعندما تصرخ به، حيث يقول أحد علماء الجنس النفسيين: (**عندما يأتي إليّ زوجان يعانيان من مشاكل جنسية، أسألهما قبل كلّ شيء: ماذا يجري بينكما قبل ذهابكما إلى السرير؟ كيف هي حال فترة المساء بينكما.. هل تأكلان معاً؟ هل تتحدثان معاً باستمرار، وأي نوع من الأحاديث يدور بينكما، وبأية لهجة؟**).

وهذه دعوة إلى كلّ من الزوجين أن يقلّصا ـ إلى أدنى درجة ممكنة ـ من هذه الإغاضات والإهانات، لأنها تهدم بيت السعادة الزوجية لبنة لبنة.

٢ ـ رفقاً بالنساء:

الرجال ينسون أنّ المرأة تتألم داخلياً إذا ما أغيضت، ولا تصفو بمثل السرعة التي يصفو بها الرجل، لذا على الأزواج أن يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار، فلا يعتقدوا أن المرأة مثل آلة الفليبر، يمكن أن تعمل فور الكبس على الأزرار! إنها تعيش على

العاطفة وعلى الكلمة الطيبة أكثر مما تعيش على المبادرات الجنسية العملية وحدها، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[1].

٣ ـ فنّ المعاشرة:

إنّ ساعة من الحبّ يكون فيها المرء ملتهباً بالرغبة، هي شيء رائع للغاية، ولكن الحنان يجب ألا يكون من أجل التمهيد للمعاشرة فقط، بل أيضاً من أجل الشعور بالطمأنينة والسعادة، حيث تحتاج المرأة، مثل الرجل، إلى علاقة حميمة خالية من الجنس أحياناً.

إنّ الإطراءات لا تداعب الروح فقط، وإنّما الجسد أيضاً، فإذا قال الرجل لزوجته إنّها عشيقة رائعة، فلسوف تكون كذلك بالفعل.

٤ ـ إبحث عن الصدى في الشريك:

كلّ واحد من الشريكين يريد أن يجد عند الآخر الصدى والرنين، وهذا يحصل بكلّ بساطة عندما يقول الواحد للآخر ماذا يعجبه فيه، فيعبّر عن نقاط إعجابه به، وإن هو لم يفعل ذلك لا بأس من أن يطلب منه شريكه ذلك بصراحة: إمدحني.. قل لي ما الحسن فيّ وما الجميل؟ قل بأنّك تحبّ ذلك.. الخ.

---

(١) إبراهيم: ١٤/ ٢٤ ـ ٢٦.

٥ ـ أخرجا من الرتابة:

إنّ أخطر شيء في العلاقة الجنسية طويلة الأمد يتمثل في الإهمال الذي يعتريها أول الأمر، إذ سرعان ما يصبح المرء مهملاً، ومن ثم يحلّ التوتر، وفيما بعد تقلّ المودة والألفة.

والوصفة المثالية لهذه الحالة هي في يد الزوجين: أخرجوا من الحالة الروتينية اليومية المدمرة، وعلى الأغلب، فإنّ عطلة صغيرة يكون مفعولها ساحراً في هذا المجال، وتغيير بعض العادات أمر مهم، وكذلك المفاجآت، والتنويع، والهدايا، والابتعاد عن الأماكن المزدحمة، والتركيز على الأساليب المبتكرة.

٦ ـ بعث الحياة الجنسية:

لا تمارسوا الحياة في المخدع الزوجي بشيء من اللامبالاة، ويجب أخذ المسائل الجنسية على محمل الجدّ، وعندها سترون أنّ هناك كثيراً من الطرق الفعّالة التي تجلب النسيم العليل إلى أماكن اللقاء الحميم.

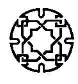
والشرط الأول المسبق لبعث حياة جنسية مشلولة هو (الوقت)، فإذا كانت اللقاءات تتم بالسرعة الكلية، تصير مع الزمن تافهة، لدرجة أنّ المرء يملّها، فلابد من التريث والتمهل حتى تحقيق الانسجام التام، كما يقول تعالى في التركيز على التقديم والمقدّمات: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾[1].

---

(١) البقرة: ٢/٢٢٣.

٧ ـ البناء التدريجي:

الحياة العائلية ليست بناءً يقوم دفعة واحدة، إنّها مؤسسة متواصلة البناء لا يتوقف العمل على تثبيتها وتدعيم ركائزها يوماً ما، لذلك يتّسم العيش فيها بالصعوبة والمرونة في آن معاً.. المهم أن تعطي المرأة من ذاتها وأن يعطي الرجل من ذاته، وعند ذلك سيشعر كلّ أفراد الأسرة بذلك، ويقدّرون عطاءهما الصادق والحقيقي.



الفصل الرابع

حقوق الزوجين وواجباتهما



حقوق الزوجين وواجباتهما

ما كان الإسلام ليوحي بالزواج ويحثّ عليه ويركّز على أهميته، ويدع تنظيمه ضمن ضوابط معينة تسمّى بـ(الحقوق) و(الواجبات)، لأنّه لو أهمل ذلك أو تركه للناس يقدّرونه؛ لغمطت الكثير من الحقوق، ولضاعت الكثير من الواجبات والالتزامات.

كيف لا، ونحن نشاهد كيف أن الكثير من الأزواج، على الرغم مما هو مثبّت نصّاً وشرعاً يتجاهلون حقوق الشريك، بل ويعملون بالضدّ منها، وكيف أن بعضهم يطالب بحقوقه وأكثر من حقوقه، ولا يرى أنّ للشريك حقّاً عليه؟

من هنا كانت ضرورة تنظيم الحياة الزوجية وفقاً للائحة (حقوق) ولائحة (واجبات)، حتى لا يجور أو يتجنّى أحد الشريكين على الآخر فيظلمه أو يهضمه حقّه، ولكن تبقى تربية وضمير وأخلاق وتقوى كلّ شريك هي المحصّن الأول والضامن الأكبر للمحافظة على هذه الحقوق والعمل بهذه الالتزامات.

وغير خافٍ على الزوجين أنّ الإسلام أراد بهذه الحقوق

وتلك الواجبات أن يحفظ لكيان الأسرة سلامته وأمنه وسعادته واستقراره.

وقد يتساءل البعض، لماذا لم تكن مسؤوليات المرأة كمسؤوليات الرجل، أي لِمَ لمْ يتساويا في هذا الجانب ليحملا المسؤوليات ذاتها؟

إنّ طبيعة خلقة كل جنس هي التي تعطي الإجابة على هذا السؤال، فـ(**عندما تتحمّل المرأة المسؤولية التي يتحمّلها الرجل، تصبح ملزمة بالابتعاد عن الأمومة، لأنّ ذلك يفرض عليها أن تمنح كلّ جهدها لإعطاء هذه المسؤولية غناها وحيويتها وامتدادها، في الوقت الذي تثقلها فيه الأمومة، الأمر الذي يترك تأثيراً كبيراً على دورها كأمّ، وعلى الأسرة والمجتمع أيضاً، فإنّ أبوّة الرجل أسهل من أمومة المرأة، ومن الطبيعي أن تثقل الأمومة المرأة جسدياً ونفسياً حتى في بدايات الحمل، وإن كانت لا تلغي طاقاتها، ومن الطبيعي أن تتعبها على الأقل بما لا تتعب به خارج نطاق الأمومة**)[١].

ولقد احترم الإسلام خصوصية كل جنس، فلم يرد للمرأة أن تعيش (الاسترجال) ولم يرد للرجل أن يعيش (التخنّث)، بل أراد لكلّ منهما أن يتعاملا مع خصوصيتهما بما يتناسب معها دون النظر إلى الفوارق الجسدية أو العملية المترتبة على اختلاف الجنسين في مزاياهما، أي دون تمييز عنصري بينهما.

(١) دنيا المرأة. محمد حسين فضل الله. ص٦٣.

وقد يتصور الكثير من الأزواج والزوجات ممن لا يمتلكون الثقافة الزوجية الشرعية، أنّ حقوقهما مقصورة على التواصل الجنسيّ أساساً وبعض الحقوق الأخرى البسيطة، لكن نظرة في حقوق الزوجين وواجباتهما في الإسلام ترينا كم هي واسعة ومهمة، وما أهميتها إلّا من أهمية الزواج نفسه.

يقول المتخصصون: (**صحيح أنّ الجنس ليس كلّ شيء في الزواج، وأنّ الرفقة الزوجية السعيدة لا تقوم على التجاذب الجنسي وحده، بل لابد لها من جانب من الحبّ والمودّة وتوحّد الآراء والمشارب والأذواق والمقاييس، فضلاً عن مستوى اقتصادي معين، وتكييف شخصي وعائلي واجتماعي مُرضٍ، ولكن الزواج السعيد مع ذلك لا يمكن أن يتحقق إذا لم يتوفر التجاذب الجنسي، وكانت الحياة الجنسية غير مرضية**).

الحبّ أو المودّة أولاً:

وفي بعض الأحوال إذا لم يتوفر الحب أو المودّة أولاً فقد يؤدّي الأمر إلى العقم، وفي ذلك يقول الدكتور فريدريك كهن: (**إنّ النساء يفرزن بسبب التنافر في التركيب الخلوي سموماً تقتل المني، ولا تخصب إذا زفّت إلى غير زوجها**)[1].

ولا ندري هل ان الطب قد بتّ في موضوع التوافق الكيميائي بين طباع الزوجين بعد أو لا، فقد تحمل المغتصبة وهي بعيدة كلّ

(١) الزواج المبكر. ص١٣٢.

البعد عن الرغبة الجنسية، ولكن ما أشار إليه (كهن) يعطي دليلاً على أهمية التصافي والتقارب والتوافق بين الزوجين.

إنّ الانسجام والمعاشرة بالمعروف وتقدير مقام كلّ شريك وتقييم عطائه، واحترام حقوقه، لهو من أكبر عوامل السعادة، وقد حدّد الإمام الصادق عليه‌السلام حقوق كلّ من الزوجين في قوله:

«لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها، وحسن خُلقه معها، واستمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهي: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتى يطمئنّ قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته (أي حفظه وتعهّده) **ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة،** (القول اللطيف) **والهيئة الحسنة لها في عينه»**[1].

إنّ المساواة الإنسانية بين الجنسين في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[3].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) النساء: ١/٤.
(٣) الأعراف: ١٨٩/٧.

وفي قول النبي ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**» تجعل كلاً من الشريكين يفكّر في ما له من حقوق وفي ما عليه من واجبات، بل إنّ تطور الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية جعل المرأة تقف في كثير من ميادين العمل والعطاء منافسة للرجل، وأحيانا بمستوى يفوقه؟

وعند دراستنا لذلك، لابد من أخذ روح العصر بنظر الاعتبار، فلم تعد المرأة (الأَمَة) و(الجارية) و(الخادمة) والجنس الذي يأتي بالدرجة الثانية بعد الرجل، بل هي إنسانة لها من الحقوق ما يكفل لها الحياة الكريمة، وعليها من الواجبات ما يجعلها في موضع تقدير وإكبار، شأنها شأن الرجل، لا تفاضل ولا تمييز بالإنسانية بينهما، فكلٌ مخلوقٌ لما هو ميسّر له.

جاء في خطبة حجّة الوداع، قول الرسول ﷺ:

«**أيّها الناس: إنّ لنسائكم عليكم حقّاً، وإنّ لكم عليهنّ حقّاً، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فُرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلّا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن؛ فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهنّ وتهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرّح. فإن انتهين وأطعنكم؛ فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف.. وإنّما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً.. أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً**»[١].

---

(١) المصطفى من أحاديث المصطفى. ص٥٧٨.

وعنه ﷺ: «**أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة**»[١].

وقال ﷺ مشيراً إلى ضرورة التآلف الزوجي حدّ الاندماج بشخصية الآخر وطاعة الرجل: «**لو كنت آمر أحداً أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**». في إشارة إلى تعظيم موقع الزوج كربّ أسرة وكقائم على شؤون الحياة الزوجية.

وفي ذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام مؤكداً أهمية رضا الزوج على زوجته: «**لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها**»[٢].

وفي الأخبار أن الصدّيقة فاطمة عليها السلام حين توفيت، مال عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «**اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيّك.. اللهم إنّها قد أوحشت فآنسها**».

وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قوة التمازج الروحي بين الزوجين التي تخلقها المعاشرة بالمعروف، ومعرفة كلّ طرف بحقوق الطرف الثاني، فلا يصحّ أن يطالب الرجل المرأة برضاه عنها، دون أن يبذل ما في وسعه لينال رضاها أيضاً، فالسعادة الزوجية لا تقوم برضا طرف دون طرف، بل بتراضي الطرفين وإرضائهما لبعضهما البعض.

---

(١) آداب ليلة الزفاف. ص١١.
(٢) بحار الأنوار. ج٨١. ص٣٤٥. ح١١. ب١٠.

حقوق فردية وأخرى مشتركة:

ويمكن تقسيم حقوق الزوجية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ حقوق زوجية مشتركة.

٢ ـ حقوق الزوج.

٣ ـ حقوق الزوجة.

١ ـ حقوق زوجيّة مشتركة:

وهي تتوزع على النقاط التالية:

أ ـ **الاستمتاع**: ويراد به تحقيق الآمال الجسدية المتبادلة، إلَّا لمانع شرعي كالحيض والنفاس، حيث يسقط حق الزوجين في الاستمتاع الكامل أثناءه.

وفي الخبر شكت إمرأة زوجها إلى الرسول ﷺ بأنّه يصوم النهار ويقوم الليل، فأرسل النبي ﷺ في طلبه، فلما حضر قال له: «**يا عبد الله، ألم أخبر بأنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقال: بلى يا رسول الله. فقال له: لا تفعل ذلك، فصم وافطر، وقم ونم، فإنّ لجسدك عليك حقاً، وإنّ لزوجك عليك حقاً**»[1].

ب ـ **حسن المعاشرة**: والمراد به المحبّة والتفاهم والاحترام المتبادل، فلقد جاء في الحديث أنه قيل لرسول الله ﷺ: **أيّ النساء خير؟ قال: «التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها»**.

---

(١) آداب الزواج في الإسلام. هشام قبلان.

وينقل عن الرسول ﷺ قوله: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

وهذه الأخلاق في حسن معاشرة النساء للرجال والرجال للنساء مستوحاة من قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(١)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٢). وهي معاشرة متبادلة، أي حق للزوجة على زوجها، وحق لزوجها عليها، حتى تستقيم حياتهما وترفل بالهناء والسعادة.

لذا فالتبسّم والقيام بالأعمال التي تريح الشريك وتسعده، والتطيّب ونظافة البدن والثياب، كلّها حقوق مشتركة لا ينبغي لأحد الزوجين التقصير فيها.

ج ـ **الذمّة المالية**: خاصّة بكلّ منهما، أي أنّ لكلٍّ شخصيته المالية المستقلة، فلا يجوز للرجل الاعتداء على حقوق زوجته المالية، ولا يجوز لها التطاول على أمواله إلّا بإذنه وبالسماح لها بالتصرّف بأمواله عن طيب خاطر، يقول تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾(٣).

د ـ **عدم إفشاء السر بينهما**: فالبيوت ـ كما يقال ـ أسرار، فلا يحقّ للمرأة أن تفشي أسرار زوجها، ولا يحقّ له هو أيضاً أن يذيع أسرارها، أجل يحقّ الشكوى أمام طرف ثالث للإصلاح أو لإيجاد حل مناسب، ولا يحقّ لهما نشر غسيلهما أمام الناس،

---

(١) النساء: ٤/١٩.
(٢) البقرة: ٢/٢٢٨.
(٣) النساء: ٤/٣٢.

فربّ أمر يقع بينهما ينسيانه بسرعة، لكنه يبقى عالقاً في أذهان الناس إذا فضحاه.

جاء عن النبي ﷺ: «**إنّ من أشرّ الناس عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه؛ ثم ينشرها**»[١].

هـ ـ **التوارث**: حيث يرث منها، وترث منه.

٢ ـ حقوق الزوج:

وهي حقوق موزّعة على النحو التالي:

أ ـ **الطاعة للزوج**: إلّا في المعصية، فلا يجوز للمرأة أن تطيع زوجها في أية معصية لله عزّ وجل، ففي الحديث: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». وما عدا ذلك فإنّ الطاعة في المعروف وضمن حدود الشرع الحنيف تعود بثمراتها على المرأة أيضاً، لأنها سوف تسعد زوجها باستجابتها له وامتثالها لأمره في ما يرضي الله ويرضيه ويرضيها. وأقول يرضيها، لأنّ ثواب الله من جهة، وسرور زوجها من جهة، أفضل مكافأتين تنالهما المرأة في الطاعة لزوجها، هذه الطاعة التي تكاد تنساها بعض المسلمات العصريّات.

وقد حدد الفقهاء الطاعة بأنها طاعة الفراش، أي تمكّنه من نفسها بأن تسمح له بالاستمتاع، وأن تطيعه كقيّم على شؤون الأسرة، وذلك في ما يصلحها ويحفظ سلامتها وإيمانها واستقرارها.

---

(١) عن مسلم وأبي داود.

ب ـ **البقاء في البيت**، وعدم الخروج إلَّا بإذنه على الأحوط، أو للعبادة كالحجّ الواجب، أو لتحصيل النفقة إن لم ينفق عليها، أو للاضطرار. وقد يثير البعض حول هذا الحق إشكالاً، وهو أن الإسلام بذلك يقيّد المرأة ويجعلها حبيسة دارها إلَّا إذا سمح لها (سجّانها) وهو الرجل بالخروج.

والحقيقة أن لا سجن ولا سجين ولا سجّان، فكلّ ما في الأمر أنّ الإسلام يريد أن يحفظ للأسرة توازنها، بأن تعمر الثقة بين الزوجين للدرجة التي تجعل كلاً منهما يثق بشريكه ولا يستكثر عليه الإذن بالخروج، فإذا ما توطدت الثقة بينهما، فإنّ الزوج في العادة لا يمنع من خروج زوجته، وإذا كان يعرف أنها لا تخرج إلى الأماكن السيئة أو المسيئة فلا يمانع، وإذا رآها تخرج لضرورات حياتية، أو أسباب قاهرة، أو أنّها تذهب لطلب العلم أو العبادة؛ فلا يمانع في الغالب.

فالمراد بالبقاء بالبيت ليس (الإقامة الجبرية) وإنّما تجنّب كلّ خروج فيه إساءة للزوج وللزوجة أو لبيت الزوجية، فلا تخرج إلَّا وهي محتشمة غير متزينة ولا متعطّرة، ولا إلى أماكن السوء.

ج ـ **حفظ شرفها**: أي أن للزوج الحق في مطالبة زوجته بأن تصون شرفها، فشرفه من شرفها، وشرف الزوجين هو مسؤوليتهما معاً، كما أن عليها أن تحافظ على عفافها وحشمتها بالابتعاد عن مواطن الشبهات، وعدم الذهاب إلى الأماكن التي يكره لها زوجها أن تذهب إليها لا لحالة مزاجية، بل لتقدير واقعي أن تلك الأماكن تخلّ بشرفها أو بسمعتها وكرامتها. وأن لا تُدخل إلى بيته

من يرتاب منه أو يكرهه، أو من هو أجنبيّ عليها، وذلك قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[1]. علماً أن الابتعاد عن أماكن الشبهات والمحرّمات التي تخلّ بالدين والكرامة أمر مطلوب من الرجل أيضاً حفاظاً على شرفه الإسلامي، فالشرف ليس أمراً مقصوراً على المرأة، بل هو للرجل أيضاً.

د ـ **حفظ أموال الرجل وأسراره**: وذلك بالاقتصاد وعدم التبذير وأن لا تذيع سراً بينه وبينها. وقديما قيل: **(كل سرٍّ جاوز الاثنين شاع)**.

هـ ـ **التأديب**: وقد وضع له الإسلام أسلوبه الخاص المتدرّج الذي يجري في معاملة المرأة الناشز التي لا تطيع زوجها بل تعصيه في ما أمره الله وأمرها به.

حيث يأخذ أولاً صفة (الوعظ)، ثم (الهجر في المضاجع)، ثم (الصدام الخفيف)، إن كان نافعاً ومقوّماً لسلوك بعض النساء الغليظات اللائي لا ينفع معهنّ سوى التشدّد، ولكن هذا ليس فرضاً شرعياً، والمرأة المتحضّرة لا توصل زوجها إلى هذا الحدّ، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾[2].

والمرأة الصالحة والعفيفة والمطيعة تُكرَّم وتُعظَّم وتُحترَم، أما المرأة الناشز الشريرة فلها وضع آخر من الضغوط المعنوية والمادية التي لا تجري في العلن، ولا يقدح في التشريع الإلهي تقوّل القائلين، أو انتقاص المنتقصين، فالذي وضع للزوجة حقوقاً

---

(١) النساء: ٤/ ٣٤.

(٢) النساء: ٤/ ٣٤.

وواجبات، وضع عليها عقوبات إن هي نشزت، تماماً كما أنّه وضع عقوبات على الرجل إنّ هو أساء معاملة زوجته أو كان مقصراً في حقوقه الزوجية أو الأسرية.

و ـ حق الطلاق: وهو حقّ للزوج لأنه هو الذي دفع المهر وهو الذي ينفق، وهو الذي يتحمل كلّ المترتبات المالية الزوجية، فله حق الطلاق ولاسيما في حال تعذّر إصلاح ذات البين بينه وبين زوجته، وفشل كل المساعي المبذولة لترميم ما تصدّع بينهما، فحينها لا يكون هناك من خيار سوى الانفصال.

ولم يقصر الشرع الإسلامي هذا الحق على الرجل دون المرأة، وإنما أعطاه وكالة للزوجة أيضاً وفق عقد الزواج اللازم إن قبل به الزوج، كما اتاحه لها من خلال الحاكم الشرعي إذا خرجت معاملة الزوج لزوجته عن حدود المعاشرة بالمعروف ورفض طلاقها.

٣ ـ حقوق الزوجة:

في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلَّا من فاحشة مبيّنة**».

وورد كذلك: «**إذا سقى الرجل امرأته؛ أُجر**» وأنه يثاب حتى على وضع اللقمة في فيها.

هذه وغيرها من الأحاديث حثّت بشكل لا جدال فيه على تعظيم حقوق المرأة في الإسلام واحترامها وعدم انتهاكها، فمن الحقوق التي ضمنها الإسلام للمرأة:

أ ـ حق المهر: فهو حق محفوظ لا يجوز التلاعب به، أو اعتباره مسألة رمزية أو إنكاره على المرأة. نعم، إذا هي تنازلت عن مهرها، فلها ذلك، وإلّا يجب دفعه حين يستحق.

ب ـ تأمين حقّها الجنسي: فلا يصحّ أن يترك الرجل زوجته لمدة طويلة دون أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فإنّ من نتائج الحرمان؛ الشعور بالخيبة والكآبة، وربما الحسد للنساء الأخريات، وقد يؤدّي بالزوجة إلى الانحراف في حالات معينة. ومن حقها أن تمنع زوجها من مقاربتها إذا كان مصاباً بمرضٍ معدٍ على أساس حقّ الدفاع عن نفسها.

ت ـ السكن: وقد جعل الإسلام من حقوق الزوجة أن يوفّر زوجها لها السكن المناسب.

ث ـ النفقة: وأن ينفق عليها في الطعام واللباس، والأمور الصحيّة، حتى لو كانت غنية أو لها راتب، بل جعل لها الحق في استيفاء الأجر عن عملها البيتي من تنظيف البيت وطبخ الطعام وتربية وحضانة الطفل وإرضاعه، وإن لم تطالب به أكثر النساء.

لكنّها وبسبب خالص محبّتها لزوجها وتفانيها لبيتها، تتنازل ـ عن طيب خاطر ـ لزوجها عن ذلك كلّه، ولابدّ للزوج أن يقدّر ذلك ويثمّنه في أن يعوّض على زوجته بالحبّ والوفاء والإخلاص والاحترام ومقابلة الاعتزاز والتقدير باعتزاز وتقدير أكبر.

ج ـ الاشتراط: كما أباح لها أن تشترط في عقد الزواج ما

تشاء من شروط، إلّا شرطاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، أي أن الشروط الموضوعة يجب أن تكون ضمن الإطار الشرعي.

ح ـ **العمل**: ومن حق الزوجة أيضاً أن تعمل خارج البيت إذا اشترطت ذلك على زوجها في العقد أو لم ينفق عليها، ويكون دخلها أو عقارها أو ممتلكاتها ملكاً شخصياً محضاً لا يحقّ للزوج مطالبتها به أو المشاركة فيه، إلّا إذا تبرّعت هي به كجزء من التعاون في الإنفاق، ولا مسؤولية عليها في الإنفاق على الأسرة أو المساهمة بجزء من الإنفاق، وإنّما هو التطوّع والتبرّع إن شاءت.

خ ـ **المشاركة الاجتماعية**: ومن حق الزوجة أن ترتاد المساجد وبيوت العبادة والمحاضرات العلمية لبناء شخصيتها وزيادة علمها وتربية سلوكها وروحيتها، بإذن زوجها على الأحوط أو إذا اشترطته في العقد.

د ـ **حريّة الرأي والموقف**: ولها الحقّ في أن تبدي رأيها أو موقفها السياسي والاجتماعي والاقتصادي مما لا يخالف الإسلام، وليس بالضرورة أن تحمل مواقف سياسية أو غير سياسية موافقة لرأي زوجها. وإذا حصل التوافق في ذلك فإنّه يدفع إلى مزيد من الانسجام، وبإمكان المرأة اجتناب المواقف الصدامية التي تؤثر على مجرى الحياة الزوجية، أي أن يكون لزوجها رأيه ولها رأيها دون أن يفسد ذلك للودّ قضيّة.

ذ ـ **الملاحقة القضائية**: ولها الحقّ أيضاً في مقاصّة الرجل إن هو ظلمها أو اعتدى عليها أو تجاوز الحدّ أو أساء إليها بغير حق،

سواء بالضرب أو العنف أو الجرح والإيلام: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[١]. فلها حق رفع الأمر إلى الحاكم الشرعي ليعاقبه.

ر ـ **حق الدفاع عن النفس**: إذا اعتدى عليها الزوج وضربها مثلاً بدون حق، فإن دافعت عن نفسها برد الاعتداء فهو من حقها، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٢]. ولكن المرأة الحكيمة تعرف أن صدّ الاعتداء قد يؤدي إلى مزيد من اعتداء الزوج عليها وسيعقد المشكلة كثيراً، فتجد أنّ التسامح والعفو والمرونة أجدى في كسب قلب الرجل ووده، وانكسار الزوجة أمام زوجها يمتصّ غضبه ويفجّر حبه وحنانه!! وقد تكون الزوجة هي المعتدية كما يعتدي بعض الأولاد أحياناً على أهلهم، لذا قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ ـ أي بعضهم ـ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ومن الواضح أن بعض مختصات الزوجة مما ذكرنا أعلاه يشترك فيه الزوج أيضاً، وبعضه يشترك فيه كلّ الناس كالاعتداء وردّ الاعتداء، لكننا ذكرنا ذلك كله للإشارة إلى المساحة الواسعة المعطاة في الإسلام للمرأة والزوجة خلافاً لما يشيعه مغرضون ضد الإسلام.

---

(١) البقرة: ٢/ ١٧٩.
(٢) البقرة: ٢/ ١٩٤.
(٣) التغابن: ٦٤/ ١٤.

ما يترتب على هذه الحقوق:

كما ذكر الفقهاء جملة من المترتبات على هذه الحقوق أو الملازمات لها، ومن ذلك:

١ ـ لا يجب على الزوجة البرّ بأهل زوجها، ولا يطعن ذلك في حقوق الزوج على زوجته. أجل، البرّ بهم وصلتهم أمر حسن يدخل السرور على الزوج، ويعمّق المحبّة بين الزوجين، ويزيد في أواصر الألفة الاجتماعية مع أهل الزوجة.

٢ ـ إذا امتنع الزوج عن أداء حقوق زوجته؛ جاز لها الامتناع عن أداء بعض حقوقه بالمقابل لردعه، ومنها حق الاستمتاع الزوجي قبل الدخول بها إذا امتنع عن تسديد المهر.

٣ ـ لا يجوز منع الزوجة من بعض الأعمال الجائزة شرعاً ولا تؤثر على حقوق الزوج كالقراءة والكتابة، فلو عكسنا الأمر وكانت الزوجة هي التي تمنع زوجها من القيام بالأعمال الصالحة أو ممارسة أعماله أو هواياته التي يحبها، هل كان يرضى بذلك؟

فكما أنّ الدعوة الإسلامية، تقول: «**أحبب لأخيك ما تحبّ لنفسك**». فكذلك الحال في الحياة الزوجية، حيث ينبغي للزوج أن يحبّ لزوجته ما يحبّه لنفسه، وأن يكره لها ما يكره لنفسه، فتلك هي أخلاق الإسلام.

ويمكن أن نوثّق بعض هذه الحقوق بما جاء في الذكر

الحكيم والسنّة المطهّرة. يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

ويقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[2].

ويقول: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[3].

ويقول: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[4]. أي عاملوهنّ بالعدل ولا تظلموهنّ ولا تمارسوا إضرارهنّ.

ويحكى عنه ﷺ ـ ولم نتثبت منه ـ قوله: «**أطعموهنّ مما تأكلون، وأكسوهنّ مما تكتسون، ولا تضربوهنّ ولا تقبّحوهنّ**».

وقيل إنّ هنداً شكت أبا سفيان إلى الرسول ﷺ قائلة: **يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل شحيح، ليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلّا ما أخذت منه وهو لا يعلم. فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»**[5]. أي بحسب الحاجة دون زيادة على أساس أنها واجبة النفقة عليه وهو ممتنع عنها وقد استحقتها وبقيت في ذمته ديناً لها وهو ممتنع عن سداد الدين، فيحق للدائن إذا وقع

---

(١) النساء: ٤/١٩.
(٢) النساء: ٤/٢٠.
(٣) الطلاق: ٦٥/٧.
(٤) البقرة: ٢/٢٣١.
(٥) راجع صحيح الترمذي.

شيء من أموال المدين بين يديه أن ياخذ دينه بالمقاصة. والأحوط أن يكون ذلك بعد استئذان الحاكم الشرعي، وفي القصة أعلاه جاءت هند وأخذت الأذن من النبي ﷺ باستيفاء نفقتها من زوجها أبي سفيان على الرغم منه.

وعنه ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

وعنه ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[1].

وقد نصح ﷺ بعدم مراقبة النساء والتجسّس عليهنّ أو تخوينهنّ أو سوء الظنّ بهنّ كما في رواية جابر عن النبي ﷺ، قال: **نهى نبي الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخوّنهم أو يطلب عثراتهم**[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حقّ الزوج على المرأة؟**

فقال ﷺ: **أكثر من ذلك** (أي أكثر من حق واحد أو أكثر مما تتصورين).

قالت: فخبّرني عن شيء منه.

قال: ليس لها أن تصوم إلّا بإذنه ـ يعني تطوّعاً واستحباباً ـ **ولا تخرج من بيتها بغير إذنه، وعليها أن تتطيب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها،**

(١) المصدر نفسه.
(٢) رواه مسلم.

وتعرض نفسها عليه غدوة وعشيّة، وأكثر من ذلك حقوقها عليه»[١].

فعلى كل زوج أن يتأمّل في العبارة الواردة عن النبي ﷺ الأخيرة «**وأكثر من ذلك حقوقها عليه**». أي أن حقوقها عليه أكثر من ذلك، إشارة إلى أنها كثيرة فعلاً اختصرتها الكلمة التي يقال إنها واردة عنه ﷺ: «**ما أكرم النساء إلّا كريم، وما أهانهنّ إلّا لئيم**» وأشارت إليها الآية في أحد تفسيريها في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٢] أي درجة إضافية من المسؤوليات على الزوج في إكرام زوجته ورعاية حقوقها؛ أي أن حقوقها عليه أكثر من حقوقه عليها بحسب هذا التفسير، ماعدا مسألة القيمومة وقيادة الأسرة فهي للزوج بعد التشاور مع زوجته.

وفي (رسالة الحقوق) للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في ما يخصّ حقوق الزوجة: «**وأمّا حق رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله، ويكرمه ويرفق بها، وإن كان حقّك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم في ما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإنّ لها حق الرحمة والمؤانسة، وموضع السكون إليها، وقضاء اللذة التي لابدّ من قضائها، وذلك عظيم ولا قوةّ إلّا بالله.**

---

(١) العلاقات الزوجية. ص١٢٧.

(٢) البقرة: ٢/٢٢٨.

وحقّ الزوجة أن تعلم أنّ الله عزّ وجل جعلها لك سكناً وأنساً، وتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالى عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جَهِلتْ عفوت عنها».

واجبات الزوجين:

يمكن تشبيه الحياة الزوجية بسفينة، ويمكن تشبيه الزوج بالقبطان، كما يمكن تشبيه الزوجة بالقبطان المساعد، إذ لا يصحّ أن تقاد السفينة من قبل قبطانين، ولكن هذا التشبيه لا يقلّل من قيمة القبطان المساعد، فكثيراً ما يكون موضع الاستشارة والاستئناس بالرأي والفكر.

فالمسؤولية هي الأمر المهم وليس العنوان، فقد يكون الأب ربّاً للأسرة، لكنّه لا يقيم لدوره وزناً، فتراه يهمل مسؤولياته والتزاماته كزوج وكأب، وكم من النساء من قادت سفينة الأسرة إلى ساحل النجاة في غياب الزوج أو فقدانه.

وفي ظل وجودهما معاً يتوزّعان المسؤولية المشتركة، فللرجل مسؤولياته التي ورد أن النبي ﷺ حدّدها كتدبير حكيم بتلك التي خلف الباب من الخارج من أعمال وتسوّق ومكسب للمعيشة، وحماية ورعاية للأسرة، وتوفير أفضل السبل الكريمة لتطوير برامج حياتها، وللزوجة ما بعد الباب من الداخل من تدبير شؤون المنزل وحسن التبعّل ورعاية الأولاد وتربيتهم.

القوامة والطاعة:

ولذلك يمكن الدخول إلى هذا الموضوع من خلال عنوانين رئيسين:

أ) قوامة الرجل.

ب) طاعة الزوجة.

يقول تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1].

فعلى المستوى الإنسانيّ، فإنّ المرأة مساوية للرجل: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[2].

وعلى مستوى التقييم فكلّ إنسان وعمله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

وهذا ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة) بقوله: «**قيمة كل امرئ ما يحسنه**».

وأمّا على مستوى الخصائص في الدنيا، فلكلّ جنس خصائصه، وكلٌّ ميسّر لما خلق له، والأحكام الشرعية تتعامل مع كلّ جنس وفق ما آتاه الله عزّ وجل، فلم ترفع الصلاة عن الرجل بأيّ حال، لكنّها رفعت عن المرأة الحائض فلا تقضيها. ووضع عنها الجهاد، وخفف عنها في الحج، ووضعت عنها النفقة، إلى

(١) النساء: ٤/ ٣٤.
(٢) النساء: ٤/ ١.
(٣) الحجرات: ٤٩/ ١٣.

غير ذلك من أحكام النساء التي نظرت فيها الشريعة نظرة خاصة لوضع المرأة وطبيعتها.

فالقيمومة هي في التدبير والإنفاق والرعاية والتأديب وقيادة الأسرة بعد التشاور مع الزوجة، أي أن الله ـ خالق الجنسين الذكر والأنثى ـ شاءت حكمته أن يكون زمام الأمر بيد الزوج والأب بعد الائتمار والتشاور بالمعروف وفق المتعارف بين الناس الطبيعيين الأسوياء في الحياة الزوجية، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[1]، والمسؤولية كما هو معلوم تكليف وليست تشريفاً.

فحتى لو أساء بعض الرجال استخدام (القوامة) للسيطرة على الزوجة وبسط الهيمنة على الأسرة بطريقة سلبية، فإنّ مسؤولية الإساءة يتحملها المسيئون كالكثير من المسؤوليات التي يساء استخدامها أو فهمها أو طريقة التعامل بها، وبالتالي فإنّ الخطأ من البشر في التطبيق وليس من الإسلام.

وبالتالي، فإنّ الخدمة التي يقدمها الزوج بقيادته وتدبيره، والخدمة التي تقدمها الزوجة بمشورتها وتأييدها، تتكاملان لتصبّا في مصلحة الأسرة ككل. ولذلك فإنّ التضحية بشيء من الذات من كلّ من الشريكين سيجنّب السفينة الكثير من العواصف التي تهددها بالغرق.

ومن هنا، فإنّ على المرأة الزوجة أن تنتبه إلى خطورة فكرة تجاوز قيمومة الرجل وتحطيمها تنكّراً وتجاهلاً لطبيعة الخلقة التي

---

(١) الطلاق: ٦٥/٦.

وضعت نظاماً أسروياً دقيقاً يقوم على مدير للإدارة ومعاون له، وإذا رأى التلاميذ تعاون الإدارة والمعاونية، فإنّهم سيحترمون المدرسة التي يتعلمون فيها أبجدية الحياة، ويتجاوبون مع تعاليمها وإرشاداتها، ونعني بذلك الأولاد والبنات.

إننا نفهم من (**حسن التبعّل**) و(**حسن المعاشرة**) في الإسلام هذه المعاني التي لو أخذت بعين الاعتبار؛ لحققت لكلّ حياة زوجية النجاح الباهر.

ولقد سادت بين بعض النساء نغمة المطالبة بكسر هذا النظام الإلهي، فكثيرات يأتين باسم الحرية والتقدّم والمساواة ليحطّمن هذه القيمومة للرجل عليهنّ، وبخاصة بعض اللواتي يعشن الحياة العصرية ويحاولن أن ينطلقن منطلقات غير إسلامية، ويعتبرن أن القانون هو الذي يعطيهنَّ الحقّ في ذلك، والنتيجة المؤسفة المترتبة على هذا أنّهنّ يتحوّلن إلى رجال، فيخسرن أنوثتهنّ وبيوتهنّ وأزواجهنّ، ولا يربحن بالطبع الرجولة ولا الحرية الحقيقية ولا الحياة السعيدة.

والمشاكل التي تردنا من هذا النوع بالعشرات، وقد تمزّقت أسر كثيرة جرّاء هذا اللهاث وراء (**التنازع القيادي**) للأسرة في الأنانيّة وحبّ الذات المفرط.

السفينة بدون قبطان تغرق:

والحال، أنّ المرأة أو الزوجة لا ينبغي لها أن تسيء استعمال الحرية، فتحطيم روح القيمومة هو تحطيم للأسرة، وتحطيم للسفينة، لأنّ السفينة بلا ربّان ولا قبطان تغرق.

كما ندعو الأزواج إلى عدم الاستئثار بقيادة سفينة مشتركة يهمّ مصيرها وسلامتها ووصولها إلى أهدافها جميع ركّابها وليس قائدها فقط، كذلك نتوجّه بالدعوة إلى المرأة إلى تقديم كلّ ما تملك من عقل وعاطفة ومشورة وعزيمة إلى القائم على شؤون الأسرة، لأنّه بحاجة إلى التوازن في مهمته الصعبة وبحاجة إلى مستشار صدوق.

وقد تنجح المرأة كمحامية أو أديبة أو خطيبة أو طبيبة أو مهندسة أو بائعة في متجر، لكن ذلك لا يعني أن تدخل مع زوجها في صراع على قيادة الأسرة، فموقعها القيادي في العمل لا يستدعي أن تكون قائدة الأسرة، وذلك حفاظاً على النظام الربّاني لتقسيم وتوزيع المسؤوليات بين الرجل والمرأة ما دامت قيادة الرجل قائمة على التشاور والتفاهم مع زوجته بالمعروف، وإذا كان ثمة مهارة أو شطارة فلتوظّف في خدمة المشروع المشترك، وهو البيت ومستقبل الأسرة.

في الحديث عن النبي ﷺ: «**ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها وهي مسؤولة عنهم**»[1].

إن الزوجة راعية ومدبّرة أيضاً، لكن الراعي والمدبّر الأول في محيط الأسرة هو الزوج الأب، فهو المسؤول عن البيت بأسره أولاداً وزوجة.

---

(١) صحيح البخاري. ج٣. ص١٤٥٩.

سفينة بقائدين:

ومن المناسب هنا أن نقرأ تحقيقاً عن (القوامة) جاء في أحد أعداد مجلة عربية تحت عنوان (لأنّ المشاركة حقّ ومسؤولية .. السفينة الزوجيّة تحتاج إلى قائدين).

يقول التحقيق:

(من يأخذ القرار حول شؤون البيت؟ هي أم هو؟

ويجيب: في أي زواج هناك نوع من السيطرة يحاول أن يقودها أحد الزوجين، وتتخذ هذه السيطرة أشكالاً معينة.

فقد دلّت دراسات أجريت في هذا المجال على (٩٠٠) حالة زواج أصحابها من الطبقة المتوسطة، أنّ الزوج الذي يوفّر للبيت الحياة المادية، هو الذي يقرّر في الغالب الذهاب إلى الزيارات والنزهات كما يريد، وهو الذي يقرّر اختيار الطبيب للأطفال، وكذلك مدارسهم وطريقة تعليمهم وثقافتهم).

وقبل أن نمضي مع فقرات التحقيق، نحبّ أن نسجل الملاحظة التالية: إن القيمومة من وجهة نظر المجلة، أو بالأحرى الدراسة التي تشير إليها المجلة، هي قيمومة مالية، أي أنها تنطلق من سيطرة الرجل لأنّه الشخص الذي ينفق على الأسرة، فإذا أنفقت المرأة معه فإنّها سوف تشاركه القرار، على طريقة **(من يمتلك المال يمتلك القرار)**.

والحال، أنّ المسألة قد تكون صحيحة في المجتمعات المادية الغربية، أمّا من وجهة النظر الإسلامية، فإنّ المرأة سواء

شاركت في الإنفاق على الأسرة أم لم تشارك، فإنّ حقّها في التصويت على القرارات الأسرية محفوظ، بل قد يرجح رأيها على رأي زوجها فيؤخذ به لأنه الأصوب، أمّا الأمثلة التي تذكرها الدراسة من قبيل تحديد أماكن النزهة أو طبيب الأطفال ومدارسهم، فكثيراً ما تكون الأم هي صاحبة القرار الأول فيها.

ويمضي التحقيق قائلاً:

(بعد أن تعمّقت هذه الدراسة أكثر في فحص بعض حالات الزيجات، تبيّن أنه على الرغم من وجود زوج يصرف على البيت، فإنّ ذلك في بعض الأحيان ليس كافياً لنشر سيطرته، فقد تكون الزوجة ذات جاذبية جمالية كبيرة، فتؤدّي هذه الجاذبية إلى قوّة ضمنية، تتيح للزوجة اتخاذ القرارات).

ومرة أخرى نقول، إنّ هذه الاعتبارات وإن تدخلت في التأثير على قرارات الزوج، لكنّها لا تشكّل المدخل الأساسي للقيمومة، فقد يخضع بعض الرجال لنسائهم الجميلات، لكنّه خضوع لسطوة الجمال لا خضوع لقيمة الرأي، ولذلك فإنّ عقل المرأة الجميل هو أكثر سيطرة من بريق الجمال، وقد يحتاج الرجل إلى جمال المرأة للاستمتاع به شيئاً من الوقت، لكنه يحتاج إلى عقل زوجته وحسن تدبيرها طوال الوقت.

بين أسلوبين .. الحبّ أو القوّة:

ويضيف التحقيق أن:

(الزوجة التي رضخت لأن تنقل بيتها إلى ضاحية بعيدة لأنّ

الزوج يريد ذلك، ليست بأية حالة سعيدة بذلك، وتحاول ـ بعد أن تنتقل إلى البيت الجديد ـ إثارة المشاكل، وكان الأجدر أن تناقش معه القرار والتوصّل إلى الاقتناع، قبل اتخاذ خطوة من هذا النوع، والحقيقة أننا نسعى في حياتنا وسلوكنا مع الناس إلى اتباع أسلوبين:

أولاً: أسلوب الحبّ.

ثانياً: أسلوب القوّة.

فإذا سيطرت القوّة تلاشى الحبّ، وإن سيطر الحبّ تلاشت القوّة نسبياً، والهروب من الاعتراف بهذه الحقيقة في الحياة البيتية يعني إحلال التصادم محل الوئام).

ونحن نتفق مع هذا الرأي، فبإمكان الحبّ أن يجعل الزوجين يتوصلان إلى قرارات مشتركة وبكثير من روح الودّ والتصافي والقناعات المتضامنة، أمّا القوة فقد تفسح المجال للرجل في أن يكون صاحب الكلمة الأولى في البيت، لكنها تحرمه من أن يكون قائداً ناجحاً يستقطب ودّ من يعمل معه بالتشاور في الرأي وحماسه واندفاعه للتنفيذ.

عمل المرأة يربك مسؤوليتها:

ويمضي التحقيق في القول:

(إنّ خروج المرأة إلى العمل فرض وبشدّة مسألة تحديد مساحات المسؤولية في البيت، وبدون تحديد هذه المسؤوليات، فإنّ التشاحن لابدّ آتٍ على الدرب).

ويمكن تصحيح مقولة إنّ عمل المرأة حدّد مساحة المسؤولية البيتية، بأنها محدّدة من قبل أن تخرج المرأة للعمل خارج البيت، لكن الذي يحصل الآن بالنسبة للزوجة العاملة أنّها تحمّلت مسؤولية إضافية، أو أنّ طبيعة العصر الضاغطة مادياً حمّلتها مسؤولية جديدة، وإلّا فليست كلّ النساء قادرات على توظيف خادمات في بيوتهنّ للقيام بالأعباء المنزلية في حال انشغالهنّ بعمل ما خارج المنزل.

وربما خلق عملها في الخارج مشكلات جديدة، ومنها تنازلها أحياناً عن مسؤولية البيت ليتبادل معها الزوج المواقع، وربّما بقي منصرفاً لمسؤولياته، ولذا فإنّ الخاسر في هذه المعادلة هو البيت بكلّ أفراده.

تكامل وليس صراعاً:

نتفق إلى حدّ ما مع التحقيق المنقول عن بعض علماء الاجتماع الذين (**يشبّهون الحياة الزوجية كحدود الدول المعترف بها، على اعتبار أنّ أي تخطٍ لهذه الحدود من قبل أحد الزوجين يعتبر عملاً عدوانياً، ومسألة الاتفاق على هذه الحدود تبقى ملحّة، وثمة قرار يجب أن يؤخذ بشأنها: تدريس الأولاد مثلاً من يقوم به؟ شراء الطعام من يتولّاه؟ الخ**).

إننا نتفق إلى حدّ ما، لأننا لا نعتبر تخطّي الحدود غير الأساسية عدواناً (الأساسية كالمعاشرة بالمعروف، والإنفاق، والاتاحة في المخدع الزوجي، وحفظ الكرامة بين الزوجين) فالزوج الذي يشارك زوجته في أعمال المطبخ وغسل الصحون

وتنظيف البيت لا ترى زوجته في ذلك عدواناً على عملها، بل مشاركة لها في أعباء المنزل، والمرأة التي تدرّس أولادها أو تصطحبهم إلى الطبيب في حال انشغال الأب، لا ترى أنّ ذلك ليس من مسؤولياتها، وإنّما تعتبر ذلك جزءاً من التعاون المشترك للصعوبات التي تواجه الحياة الأسرية.

أجل، إنّ التحديد المحكيّ عن رسول الله ﷺ في أن يكون عمل المرأة في البيت أساساً، وعمل الرجل خارج البيت أصلاً، هو ترسيم لحدود المسؤوليات كتدبير حكيم، لكنّ ذلك لا يمنع من أن تتداخل المسؤوليات أحياناً، بحيث لا يترك أحد الزوجين فراغاً في المسؤولية، فإذا ما رأى شاغراً هرع لتغطيته، حتى جاء في الروايات أنّ علياً عليه السلام كان يساعد الزهراء عليها السلام في كنس البيت.

ويمضي التحقيق قائلاً: (**هناك نوع من الزيجات تحدد فيها هذه الحدود ويتفق عليها، كأن تترك مسؤولية اتخاذ القرار في كلّ هذه الشؤون إلى أحد الزوجين، ولكن الذي يحصل، هو أنّه عند وقوع أي خطأ في اتخاذ قرار معين، يبدأ الطرف الآخر باللوم والعتاب**).

وهذه مسألة واقعية لها الكثير من المصاديق، فحينما يوكل أحد الزوجين المسؤولية الملقاة على عاتقه إلى شريكه، فإمّا أن يسدّده ويعينه ويشير عليه من دون ممارسة دور الشرطي الذي يحاسب على الأخطاء، وإمّا أن يتحمل هو مسؤوليته بنفسه.

وعلى أية حال، فمن الخطأ تحميل المرأة مسؤوليات

الرجل، أو الرجل مسؤوليات المرأة، إلّا في حالات خاصة وطارئة، لأنّ المرأة لديها ما يكفيها من مسؤوليات، والرجل كذلك، وأية مسؤوليات إضافية قد تربك حياتهما.

المسؤولية في نهاية المطاف خبرة ومنطق:

ويصدق التحقيق في القول: (**المسؤولية في نهاية المطاف خبرة ومنطق: خبرة من حيث تمرّس أحدنا بأمور الحياة حين لا يكون الآخر مسلّماً بها، ومنطق: إذا كانت تعوز أحد الطرفين الخبرة ويمتلك المنطق. إن توزيع اتخاذ القرارات في البيت على أساس هاتين القاعدتين هو أيضاً ضرورة ملحّة**).

وهذا هو الذي نفهمه من (**القوامة**)، فالزوج هنا صاحب (**الخبرة**) والزوجة صاحبة (**المنطق**)، وبالخبرة والمنطق يختمر القرار وينضج، ولا يعني ذلك أنّ المرأة لا خبرة لها، أو أنّ الرجل لا منطق له، وإنّما هي مسؤوليات مشتركة متداخلة يرجع القرار النهائي فيها للزوج في حال الحسم لا في حال التفاهم للوصول إلى قرار ناضج.

ونتفق أيضاً مع مقولة التحقيق الأخيرة:

الحلول الوسط هي الأفضل:

(إنّ **الحلول الوسط والتلاقي في منتصف الطريق بين الزوج والزوجة، هو أفضل السبل لحياة أسلم، ولا يمكن الوصول إلى التلاقي الصحيح إلّا إذا رسمت حدود مسؤوليات البيت، وتكفّل كلّ من الزوجين بها**) وصدق من قال: (**خير الأمور أوسطها**).

١ ـ طاعة المرأة:

وقد تتساءل بعض الزوجات عن اجتماع حقّي (**القيمومة**) للرجل و(**الطاعة**) من قبل المرأة له، فهنّ يرين أن الأمرين حقّان من حقوق الزوج، وبالتالي، فالزوجة هنا عنصر خامل لا دور له في اتخاذ القرارات، وإنّما دوره دور المنفّذ والمستجيب والمطيع ليس إلّا. لقد طرحت أكثر من امرأة هذا السؤال عليّ: لماذا تطالبون ـ معشر الرجال ـ المرأة أن تكون هي المطيعة للزوج، ولا تطالبون الرجل أن يكون هو المطيع للمرأة؟ ما هذا الاستبداد؟ وما هذه الأنانية؟ لماذا لا تكون هناك مساواة وتكافؤ في الطاعة المتبادلة بينهما؟

وكان جوابنا دائماً، أنّ طاعة الرجل هنا ـ في الأساس ـ هي طاعة الله عزّ وجل، فالله تبارك وتعالى حينما أمر إبليس بالسجود لآدم، إنّما أراد في الحقيقة ـ في ما نفهم ـ السجود لأجله جلّ وعلا، وتلبية أمره كخالق، وليس تلبية لأمر آدم كمخلوق.

وكذلك الطاعة الزوجية، فهي تلبية لأمر الله جلّ جلاله وليس لأمر الزوج، وإلّا فلا يحق للزوج أن يأمر زوجته بما هو مخالف لأوامر الله حيث: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

فهناك مساواة وهناك عدل، وقد تكون المساواة من غير عدل، إذا أعطيت لكل إنسان صلاحيات لا تتناسب مع دوره، فلابدّ إذاً من العدل، والعدل في الطاعة للزوج، بما لا يخالف الإسلام، يحقّق الاستقرار في البيت والأسرة، ويجعل الأسرة ترجع في النهاية إلى مرجعيّة واحدة لا ازدواجيّة فيها ولا تناقض.

أجل حدّد الفقهاء هذه الطاعة بأن تمكّنه الزوجة من نفسها، وأن تزيل المنفّرات، ولا تخرج من بيته إلّا بإذنه، وإن كانت المستحبّات والآداب المطلوبة منها له كثيرة، ومردوداتها عليها أيضاً جمة وفيرة.

٢ ـ طاعة الزوج لزوجته:

لكننا نرى في مقابل ذلك، أن طاعة الزوج لزوجته في ما افترضه الله عليه، أن ينفق عليها ويحترمها ولا يقبّحها، وأن يطيعها في كلّ معروف تأمره به، وينتهي عن كلّ منكر تنهاه عنه، فهي كما يعبّر البعض عن ذلك: زوجته في الجسد، وأخته في الله عزّ وجل، ولابدّ للأخ المؤمن والأخت المؤمنة أن يتناهيا عن المنكر، ويأمرا بعضهما البعض بالمعروف.

فالسبب في طاعة المرأة لزوجها ليس فقط حاجتها المادية له، فإن كانت ثرية أو لها عمل تتخلَّ عن طاعته!! الأمر ليس كذلك! فالحبّ الذي هو قوام الأسرة الناجحة، والحاجة الروحية والنفسية المتبادلة، كما أن حاجة المرأة للقوة والحماية، والالتزام بما أراده الله تعالى، أمور تجعل المرأة تطيع زوجها، وإلّا فأكبر دليل على أن الطاعة ليست طاعة لمزاج الزوج وذوقه وهواه، أن الزوجة بإمكانها أن تعصي زوجها إذا طالبها بما يخالف أمر الله عزّ وجل والقيم الأخلاقية الألزامية شرعاً.

إن الطاعة في الحلال من الزوجين مطلوبة، لكنّ الطاعة في الحرام من كليهما مرفوضة، وربما أشارت بعض الأحاديث إلى الطاعة المرفوضة من قبل الزوج لزوجته، حيث يُروى حديث عنه ﷺ: «**من أطاع امرأته؛ أكبّه الله على وجهه في النار**».

قيل: وما تلك الطاعة؟

قال: «**تطلب منه الذهاب إلى الحمّامات** (حمّامات تنكشف فيها عورات النساء أمام بعضهنّ لبعض) **والعرسات** (الأعراس المشتملة على حرام) **والعيدات** (الأشكال المحرّمة من أفراح العيد) **والمناحات** (طرق إظهار الحزن المحرّمة كجزّ المرأة شعر رأسها في المآتم) **والثياب الرقاق؛ فيحبسها**».

ولعلّ كلّ هذه المنهيات ـ إذا صحّ الحديث ـ تلتقي في جامع واحد، وهو أنّ على الزوج أن لا يسمع ولا يطيع زوجته في حال خروجها على الحشمة والآداب وأحكام الشرع، أو إلى الأماكن المريبة.

طاعة الزوجة ليست ذلاً:

بقي أن نقول إنّ الطاعة الشرعيّة المطلوبة من الزوجة لزوجها ليست مطلقة، ولا هي من نوع الطاعة التي تذلّ الشخصية، فالتذلّل والمرونة والرفق واللطف في المعاملة غير الذلّ والهوان، والذلول غير الذليل، وإن كان الولد الذليل بين يدي والديه يعبِّر عن أسمى آيات الحب والرقة والشفقة والتواضع، ألم يقل تعالى في حقّ الوالدين: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[1] وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]، في وصف العلاقة بينهم، فالزوجة كما هي المرأة المسلمة عموما وكما هو الرجل المسلم عموما، عزيزة،

---

(١) الإسراء: ١٧/ ٢٤.

(٢) المائدة: ٥/ ٥٤.

وعزّتها قد أقرّها الله تعالى لها من خلال عزة المؤمنين التي تشكل امتداداً لعزة الرسول ﷺ الممتدة من عزة الله جلّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] وليس من حقها ولا من حق زوجها أو أي شخص آخر أن ينال من عزّتها، ففي الحديث: «**لقد فوّض الله للمؤمن أموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً**»[٢].

إنّ المرأة المطيعة ذلولة وليست ذليلة، أي أنّها مسامحة تعيش روحية التسامح واللطف والمرونة والمودّة مع زوجها لمصلحة حياتهما السعيدة معاً، وليست قاسية حادّة.

ولكلّ زوجة تشعر بالحيف لطاعتها لزوجها، ننقل ما أجاب به النبي ﷺ ـ في ما يروى عنه ـ إحدى النساء التي رأت تفاوتاً بين الجنسين، فالتبس عليها الأمر:

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**جاءت امرأة فوقفت قبالة رسول الله ﷺ وقالت: بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، ما من امرأة يبلغها مسيري هذا إليك إلّا سرّها ذلك!!**

يا رسول الله، إنّ الله عزّ وجل ربّ الرجال والنساء، وخالق الرجال والنساء، ورازق الرجال والنساء، وإنّ آدم أبو الرجال والنساء، وإنّ حواء أمّ الرجال والنساء، وإنّك رسول الله إلى الرجال والنساء، فما بال المرأتين برجل واحد في الشهادة والميراث؟

---

(١) المنافقون: ٦٣/٨.
(٢) بحار الأنوار. ج٥. ص٥١. ح٨٣. ب١.

فقال رسول الله ﷺ: يا أيتها المرأة، ذلك قضاء من عدلٍ حكيم، لا يجور ولا يحيف، ولا يتحامل، لا ينفعه ما منعكنّ ولا ينقصه ما بذله لكنّ، يدبّر الأمر بعلمه. .»[1].

ولعلّنا نستشف من ذلك أن النبي ﷺ أراد أن يلفت نظر النساء إلى العدل الإلهي ومنظومة الاحكام الشرعية التي تشكّل نسيجاً واحداً متكاملاً لا يؤخذ منه جزء واحد منقطع عن الكل فيبدو غريباً أو مشوّها، بل يُنظر إلى الكل المتكامل معاً الذي يحقق أقصى النتائج الحكيمة. والشهادة والميراث جزء من ذلك الكل. . وكلٌّ منهما لا يؤخذ كأجزاء، بل ككلّ متكامل في جميع مسائله وأحكامه.

ثم إنّ عدل الله تبارك وتعالى يقتضي أن يحاسب كلّ امرئ على ما أعطاه، فإذا أعطي الزوج القيمومة وطاعة زوجته له، فإنّه مسؤول أمام الله عن أن يكون قيّماً بالعدل، وأن يطالب بما هو حق ومستطاع: «**إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع**»، وإذا جعل حصّة الأولاد في الإرث للذكر مثل حظّ الأنثيين، فقد أوجب على الزوج المهر والإنفاق على الزوجة، ولم يوجبها عليها وإن كانت غنيّة، كما ان الشهادة تتصل بالبعد عن الجوّ الضاغط الذي تواجهه المرأة في الحيض والنفاس والإرضاع وسنّ اليأس. . وردود الفعل العاطفية عند المرأة أكثر من الرجل.

أخلاق الرجل البيتيّة:

ربّما يتخذ بعض الرجال الحقوق التي منحه الإسلام إياها

---

(١) عن تفسير البرهان: ص٣٨ ـ ٣٩.

بغية تنظيم حياة الأسرة، سلاحاً يتقوّى به على شريكة حياته، فبدلاً من أن يقيم حياته معها على المودة والرحمة والسكن، يطالبها بلهجة القانون، وأنّه صاحب السلطة العليا والكلمة النافذة، فإذا أمر يجب أن يطاع، حتى ولو كان الأمر خلاف الأصول الشرعية أو العرفية أو بأسلوبٍ فظّ. إنّ التعامل بين الزوجين وفي الأسرة ينبغي أن يكون بالرفق والعطف والرحمة والتفهّم والحكمة، وليس بالتعسّف والفظاظة وخشونة العقل والطباع.

يقول أحد الكتّاب: إنّ التلطّف في الحديث إلى المرأة، وإظهار المحبّة والودّ لها؛ يجعلها مطيعة ١٠٠٪، وعلى العكس من ذلك، فإنّ التشدّد معها وإلزامها بالقانون؛ يجعل منها إنسانة رافضة لكلّ ما اسمه قانون، أو لكلّ شيء يمكن أن ينضوي تحت اسم القانون.

ولعلّنا نتساءل: إذا كان بالإمكان التفاهم وحلّ المشكلات بأقلّ الخسائر، وإذا كان فتح العُقَد باليد أسهل وأسرع، فما الحاجة إلى المقصّ؟! أليس أسلوب الرفق الذي جرّب مع الكثير من الناس فكان فعّالاً وناجحاً هو الأولى أن يطبّق في البيت الذي يحتاج إلى غاية الرفق وأقصى درجات المودة؟

الرجل المستبدّ:

الرجل المستبدّ في بيته، المتزمّت في سلوكه وتعامله مع زوجته وأولاده، الغاضب الذي لا يسامح الخطأ في الصغيرة والكبيرة، والذي يبدو جافّاً في كلماته، وفي نظراته، وفي

تعامله، سوف يسقط في نظر زوجته وأولاده، وإن بدا في الظاهر أنّه يحكم البيت بقبضة من حديد.

ذلك أنّ الأبّ الظالم كالحاكم الظالم لا يختلفان، فقد تسكت الرعية أو تصبر، لكنّها لا تستسلم. وقد تعبّر عن غضبها وسخطها وانتقامها بعدة أساليب احتجاجية تظهر كعلامات عبوس في الوجه، أو رفض لبعض المطالب، أو ردّة فعل داخلية بالانكماش والكآبة والحزن والشكوى من مرارة الحياة وما إلى ذلك.

إنّ الزوج الذي دأب على انتقاد زوجته وتقريعها باستمرار إمّا بينهما أو أمام الناس، ولا تستطيع زوجته أن تكلّمه في شأن من الشؤون لأنّه يثور لأتفه الأسباب، ستمتنع زوجته عن مصارحته ومكاشفته، وتقوم بما تراه مناسباً دون استشارته، أو تتمرّد عليه. وفي الحالين، فإنّ الخسارة كبيرة، وبإمكان الزوج بقليل من الحكمة والحنكة أن يكسب زوجته كصديقة له، وأن يعاملها فعلاً كما يعامل الشريك شريكه على قدم المحبّة والرأفة والمساواة، حتى إذا لمست منه ذلك؛ فتحت له قلبها، وحفظت أسرار بيتها، وأطاعته في السرّ والعلن. فأيّ الحالين أصلح؟

التديّن والخشونة لا يلتقيان:

وقد يكون الرجل أو الزوج متدينا، لكنّك تجد في أخلاقه مع أهله فظاظة، ناسياً أن الدين الأخلاق، وأن الدين حسن الخلق والمعاشرة، وأن الدين التعامل بالمعروف، ولذلك فإنّ تلك الأم التي ترحّمت على ابنها الشهيد بعد دفنه، وقالت له هنيئاً لك

الجنّة، ردّ عليها رسول الله ﷺ ـ كما في فحوى الحديث ـ لا تجزمي على الله، فلقد كان ابنك سيئ الخلق مع أهله (زوجته)، فانتبهت تلك الأم وانتبه معها كثير من الأزواج أن الخلق السيئ مع الزوجة والأهل والأولاد قد يؤدي إلى العقاب، ويطيل الوقوف للحساب بين يدي الله عزّ وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

إنّ الله جلّ وعلا رفيق يحبّ الرفق، ستّار يحب الستر، عادل يحبّ العدل، محسن يحبّ الإحسان، رؤوف يحبّ الرأفة، غفور يحبّ المغفرة، ودود يحبّ الودّ ويدعو إليه. فإذا أردنا أن نكون أزواجاً سعداء، فإنّ علينا أن نتخلّق بأخلاق الله عزّ وجل التي ذكرنا بعضها، لأنها مفردات السعادة الحقيقية.

التوافق الأخلاقي:

يقول بعض من بحث في الأمور الزوجية: (**التوافق الأخلاقي بين أفراد الأسرة الواحدة بشكل كامل (١٠٠٪) لا يمكن أن يكون، فالزوجة لا تتوافق مع زوجها ١٠٠٪، ولا أمه مع عروسه، ولا البنت مع أمّها، ولا الأب مع ابنه، بسبب وجود الاختلاف في الأذواق، مما يبعث على بروز اختلاف ـ ولو بسيط ـ بين الجميع، أرادوا ذلك أم أبوا**)[2].

(فما الذي تفعله إذاً، لبلوغ توافق أخلاقي بنسبة عالية؟

إذا كان التوافق بين الزوجين يصل إلى ٧٠٪، فالأمر حسن

---

(١) الصافات: ٣٧/ ٢٤.

(٢) راجع (الأخلاق البيتية). ص٢٧١.

وجيد، وينبغي لهما أن يشكرا الله تعالى على تلك النعمة العظيمة، وإذا كان لا يتعدّى نسبة ٥٪ فيجب أن نقول إنّ هذه النسبة جيدة هي الأخرى[١]. ما دامت قابلة للنمو بالمحبّة والعفو والحكمة.

نصائح أخلاقيّة للزوج:

وهذه جملة من النصائح التي تفيد في تنمية رصيد الزوج من الأخلاق البيتية حتى يستحوذ على حب وتقدير زوجته وأولاده:

١ ـ الكلمة الطيبة:

في الحديث الشريف: «**الكلمة الطيبة صدقة**». وهي مستوحاة من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٢].

ولعل الكلمة الطيبة الأفضل التي يستخدمها الزوج مع زوجته هي كلمة (أحبّك). فلقد ورد عن النبي ﷺ: «**قول الرجل لامرأته: أحبّك لا يمحى من قلبها أبداً**». ولكننا نرى الكثير من الأزواج يبخلون على نسائهم بهذه الكلمة، أو يتناسونها بعد مرور فترة من الزواج.

أمّا اقتران كلمة الحبّ هذه ببعض دلائل الحبّ ومؤشراته، من تقديم هدية مناسبة، أو اصطحاب إلى نزهة، أو كتابة رسالة قصيرة فيها التعبير عن مشاعر الودّ والإخلاص، وغيرُها كثير، فبامكان كلّ زوج أن يتفنّن في ابتداع الأساليب التي يكسب بها قلب زوجته ليفتح أمامها عالم السعادة.

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) فاطر: ٣٥/١٠.

والكلام الجميل ـ كما لا يخفى ـ هو كلمات الحبّ العذبة الرقيقة النديّة تطرق سمع المرأة كاللحن الجميل، لأنّ المرأة تسمع بأذنها والرجل يبصر بعينه، أي أن تركيز كلّ منهما يختلف عن الآخر في الانجذاب والتجاذب. وهذه شهادات نساء من أوطان ومجتمعات مختلفة، كلّها تؤكّد حاجة المرأة إلى الكلمة العذبة من فم الرجل.

تقول الشاعرة الكويتية (سعاد الصباح) معبّرة عن هذه المشاعر المطلوبة للمرأة:

إنّ كلّ امرأة تحتاج أحياناً إلى كف صديقْ
وكلامٍ طيب تسمعهُ
وإلى خيمة دفء صُنعت من كلماتْ
لا إلى عاصفة من قبلاتْ!
فلماذا (يا حبيبي) لست تهتمُّ بأشيائي الصغيرةْ
ولماذا لستَ تهتمُّ بما يُرضي النساء؟!
إنّني احتاج أحياناً لأن أمشي على العشب معكْ
وأنا احتاج أحياناً لأن أقرأ ديواناً من الشعر معكْ
وأنا ـ كامرأة ـ يُسعدني أن أسمعكْ
فلماذا، أيّها الشرقيُّ، تهتمُّ بشكلي؟
ولماذا تُبصرُ الكحلَ بعينيَّ
ولا تُبصرُ عقلي؟

(. . .)

فأنا محتاجة جداً لميناء سلامْ

وأنا متعبة من ذلك العصر الذي يعتبر المرأة تمثال رخامْ

فتكلّم حين تلقاني. .

لماذا الرجل الشرقي ينسى ـ حين يلقى امرأة ـ نصف الكلامْ؟!

إن الزوجة تحبّ الاهتمام الشخصي من زوجها بها، وتأنس حتى حينما ينطق الزوج اسمها، ها هي شاعرة أخرى لبنانية (باسمة بطولي) تقول:

ألا أنظر إليّ وهاتِ سماءً مدى مقلتيكْ

لعلّي أوشّى بسحر النجومْ

وأهمي رؤى إنما في يديكْ

لتكتبُ اسمي بدمع الغمامْ

فيسقي ويُسقى على شفتيكْ

(. . .)

وتنحت بالضوء تمثاليَ اللايموتُ، وإن مات شوقاً إليك!

ولا يضنّن الزوج بالكلمة الجميلة لزوجته وإن كانت كبيرة السن، فإنّ الكلمة الجميلة تفتح مدى من السعادة والهناء يحتاج إليها الزوجان وإن كانا كبيرين. .

وها هي شاعرة ثالثة (عراقية) كبيرة السنّ (عمرها أكثر من

٧٢ سنة) هي (لميعة عبّاس عمارة) تعبّر عن حنين المرأة إلى الكلمة الجميلة من الرجل المحترم، فتقول:

أغازل فيك شموخ الرجال ويمنعني عنك هذا الخَفَرْ
وأعلمُ: حبُك حُلمٌ مُحال وأسطورة من زمانٍ غَبَرْ
وحبك وهمٌ تخطّى النجوم وإضمامة من ضياء القمرْ
عتبتُ على الدهر يُعطي الكثير متى؟ حين تبلغ حدَّ الكِبَرْ
وتخلو الجوانح من عشقها وينزل فيها الضنى والضجرْ!

ومن الكلمات الجميلة، كلمات الثناء على الأداء، فالبيت النظيف المرتب الذي يدخل الراحة على النفس، والطعام الشهي الهني اللذيذ الذي تعبت الزوجة في طبخه والتفنن في إعداده، واللباس الجميل الذي ترتديه، وتسريحة الشعر المنمّقة، وكل مفردة صغيرة أخرى هي عند المرأة كبيرة، حتى أنّها لتستغرب أو تتألم أن تتزيّن مثلاً فلا يبدي زوجها وحبيبها رأيه في زينتها، ولا يُلقي بالاً لها! ستقول في نفسها: لم تزيّنت؟ أليس له؟ فلم لم يلتفت لي؟ ولِمَن وضعت هذا العطر الفرنسي؟

يقول الشاعر على لسان المرأة حينئذ:

شذايَ الفرنسيُّ هل أَثْمَلَكْ؟ حبيبي فإنّي تطيّبت لكْ!

إن الكلمات الجميلة هدايا أيضاً، وقد لا يسعف حال الزوج أن يشتري لزوجته هدية، لكنّه قادر على تقديم الهدايا دائماً، وهي هدايا ولاشك ثمينة كلّما عبّرت عن ودّ صادق، يقول الشاعر:

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ فليسعد النطق إن لم يسعد الحالُ

٢ ـ إستمالة قلب الزوجة:

وهذه ثلاث نصائح ذهبية للزوج تروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لمن يريد أن يكون ناجحاً في التعامل مع زوجته، يقول عليه السلام: «**لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي:**

ـ (الموافقة) ليجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها، وحسن خلقه معها.

ـ و(استعماله استمالة قلبها) بالهيئة الحسنة في عينها.

ـ و(توسعته) عليها»[1].

وهذه النصائح يمكن النظر إليها على أنّها واحدة (معنوية) وأخرى (مادّية) وثالثة (معنوية مادّية).

فالموافقة أو الوفاق أو الوئام هي العمود الفقري لأية سعادة زوجية. وهي الجانب المعنوي في الانسجام مع الزوجة.

و(التوسعة) أو الإنفاق وعدم البخل مع الزوجة، بل وعدم اعتماد سياسة التقتير معها، يدلّ عندها على مقدار حبّك لها.

وأما (استمالة القلب بالهيئة الحسنة) فهي مادية، لأنّها تشتمل على مظهر الرجل وعنايته بهندامه وقيافته ورائحته، ومعنوية لأنها تستميل قلب الزوجة كما تستميلها الكلمات الجميلة العذبة الصادقة.

---

(١) تحف العقول. مؤسسة الأعلمي. ص٢٣٦.

٣ ـ مفعول الابتسامة:

وأما الابتسامة، وما أدراك ما الابتسامة، فهي المفعول السحري الذي يدلّ على رسالة حب مشرقة تنبعث من القلب وترتسم في العينين وعلى الشفتين وعلى سيماء الوجه كلّه.

إنّها تحية معطّرة، وهدية مضيئة.. ونقاء ينشر على البيت روحية السلام.

والابتسامة مطلوبة من الزوجين، من الزوج الآتي من نهار عمل متعب، لكنّه يغالب تعبه ويتناساه، فتسبقه ابتسامته لزوجته أو لأولاده الذين يستقبلونه عند الباب.

ومن الزوجة التي تنتظر قدوم زوجها بلهفة لتحتضنه بابتسامتها أولاً، وتمسح بهذا المنديل الجميل عن جبينه المرهق عرق التعب، لتلتقي الابتسامة والابتسامة، فيشيع الحبّ ويضوع كما الورود.

٤ ـ التوديع والاستقبال:

ومن المستحسن للزوجة توديع زوجها حتى باب الدار واستقباله والترحيب به لدى عودته إلى البيت، لتكون الزوجة آخر من يودّع الزوج وأول من يستقبله، ففي ذلك سرور قلبه، خاصّة إذا ودّعته بقبلة وكلمات تمنّ بالتوفيق في عمله، ودعاء له بالعودة سالماً، ما يجعله يخرج سعيداً نشطاً واثقاً ناجحاً في تعامله مع الناس.

وأما استقبالها له والترحيب به، ففي ذلك مسح للعناء،

وإزالة للمعاناة التي يواجهها في عمله، وتطرية للجو الجديد الذي يدخل فيه بعد أجواء التعب والتفكير والاحتكاك بالناس.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الإحسان وحُسن الخلق؛ يعمّران الديار ويطيلان العمر**»(١).

والشيء نفسه يقال للزوج، فتوديعه زوجته بقبلة وابتسامة والقول لها إنّه سيفتقدها، كلّ ذلك يترك نهارها سعيداً، بحيث تتشوق إلى انتظاره بلهفة.

٥ ـ حسن المعاشرة:

إنّ اللين والبشاشة واللطف في التعامل هي أدوات القائد في كسب واستقطاب قلوب مريديه، فالرجل مطالب بأن يكون قائداً من خلال مفهوم القيمومة الذي مرّ بنا، ومن صفات القائد الناجح أنّه شديد اللطف مع أصحابه وأتباعه حتى يطيعوه عن حب وقناعة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

فعن السيدة عائشة أنّها سئلت: **كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: كان ألين الناس، وكان رجلاً من رجالكم، الّا أنّه كان ضحّاكاً بسّاماً**(٣).

فالنبي ﷺ وهو قدوة لكلّ زوج ورجل، كان يعتمد الابتسام والضحك مع نسائه، واللين في معاملته لهنّ، وكان يوصي باللين

---

(١) الشافي. ج١.
(٢) آل عمران: ٣/١٥٨.
(٣) الطبقات. ج١. ص٣٦٥.

مع النساء، واللين هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع الزوجة أساساً إلّا ما شذّ وندر.

٦ ـ خدمة العائلة:

جاء عن النبي ﷺ: «**لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة**»[(١)].

وقد ورد في سيرته ﷺ أنه كان يحلب الشاة، ويخبز الخبز، ويساهم في خدمة البيت.

وورد في بعض الأخبار ـ كما ذكرنا سابقاً ـ أن الإمام علياً عليه السلام كان يكنس البيت، وهذا لا ينقص من عظمة النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام بل إنّها بعض أسرار العظمة والعظماء.

وخدمة الأسرة هي خدمة للبيت كلّه، وهي تعزّز أواصر المحبّة بين أفرادها، خصوصاً بين الزوجين، فحينما يرى الزوج أن أعمال المنزل كثيرة وأنّ زوجته غير قادرة على إنجازها كلّها، ويبادر إلى مساعدتها، فإنّ ذلك مما يسعدها، لأنّها تقدّر شعور زوجها بمتاعبها، وتقدّر أكثر مدّ يد العون لها، فالدخول إلى المطبخ لجلي الصحون، أو المشاركة في إعداد المائدة أو اللعب مع الأطفال أو تدريسهم حتى تفرغ من أعمالها، هو حبّ عمليّ تتلمّسه المرأة بكلّ عواطفها وجوارحها، ولا تنساه لزوجها.

يروى: «**أنّ رسول الله ﷺ ذهب ذات مرة إلى بيت الصدّيقة**

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٤. ص١٣٢.

فاطمة الزهراء ﷺ، فرأها تطحن وعليّ ﷺ يساعدها، فقال: أيّكما يشعر بالتعب أكثر من الآخر؟

فأجاب الإمام علي ﷺ: يا رسول الله، فاطمة أكثر تعباً.

فقال النبي ﷺ: قومي يا ابنتي.

فقامت فاطمة من مكانها امتثالاً لأمر ابيها، فجلس النبي ﷺ مكانها وبدأ يطحن»[(١)].

هكذا يشارك الرسول ﷺ العمل في البيت، ليقدّم مثلاً للأجيال على أهمية التعاون والعمل البيتي، فليس ذلك منقصة للرجل ولا إهانة للمرأة أن يعملا سوية في البيت من أجل إسعاد البيت وإنعاشه.. وتخفيف أعبائه عن كاهل الآخر.

٧ ـ تَناولْ طعامَك مع أسرتك:

تناول طعامك مع أسرتك ولو لمرّة في اليوم، فإن لم تتمكن مع كلّ الأسرة فمع زوجتك.

إنّ الاجتماع على الطعام يقوّي أواصر المحبّة والتفاهم في الأسرة الواحدة، ويجعل ربّ الأسرة على بيّنة مما يجري مع كلّ فرد من أفراد أسرته، وقد يدلي بمفهوم ينتفعون به، أو يصحّح لهم مفهوماً خاطئاً، أو ينقل لهم تجربة عملية في ضرورة التعاون وما إلى ذلك، وقد يستفيد هو من تجاربهم وآرائهم العصريّة.

---

(١) انظر (الاخلاق البيتية). ص٢٧٤.

ورد عن رسول الله ﷺ: «**جلوس المرء عند عياله؛ أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا**».

وعنه ﷺ: «**ما من رجل يجمع عياله، ويضع مائدته، فيسمّون في أوّل طعامهم ويحمدون في آخره فترفع المائدة؛ حتّى يغفر الله لهم**»[١].

٨ ـ قدّم أسرتك على الناس:

إجعل أمر أسرتك فوق بقية الأمور وقبل كلّ الناس والأصدقاء والزيارات .. أعطها تمام الأولوية، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[٢]، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣].

وعن النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[٤].

وهذا لا يعني أن يهمل الرجل الأعمال الصالحة الأخرى، أو الاهتمام بالشؤون الإسلامية والاجتماعية التي تقوي أواصر المحبّة مع الناس، بل لابد من إعطاء كلِّ ذي حق حقه، وترتيب الأولويات من الاهتمام بالصلاة والعبادة وذكر الله، ثم الاهتمام بالأسرة، ثم بالعمل قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾[٥].

---

(١) وسائل الشيعة. ج٢٤. ص٣٥٣. ح٣٠٧٥٨.
(٢) التحريم: ٦٦/٦.
(٣) الزمر: ٣٩/١٥.
(٤) وسائل الشيعة. ج١٦. ب١٢. ح٣. ص٤٢٢.
(٥) المنافقون ٦٣/٩.

٩ ـ أخلاق المرأة البيتية:

البيت مملكة المرأة وجنّتها المصغّرة، وبحبّها وحنانها وعطفها ولطفها تضيء جوانبه وتتعطر أرجاؤه، وكلّما جهدت المرأة في تحويل بيتها إلى مأوى تأنس به نفوس أبنائها وزوجها، كان ذلك دافعاً لهم لمزيد من الصفاء والمحبّة في تعاملهم فيما بينهم، وبينهم وبين الآخر، ودافعاً لمزيد من الإنتاج والعطاء، فالزوج السعيد في بيته؛ أكثر إنتاجاً وإبداعاً وعطاءً من الزوج الذي تعصف به المشاكل البيتية.

نصائح للزوجة:

١ ـ سحر الابتسامة:

الوجه المشرق بالابتسامة العذبة حبالة المودّة، فلابتسامة الزوجة مفعول السحر في نفس زوجها، ومفعول الدفء في قلوب أولادها، إنّها تجعل أجنحة السلام ترفرف بدفئها على كلّ الأسرة. يحكى أنّ أحدهم جاء إلى الرسول الأكرم ﷺ ليقول له: **يا رسول الله، إنّ لي زوجة تبتسم عندما تلقاني، وتدخل عليّ السرور حينما تراني مغتماً. فأخبره الرسول ﷺ بأنّها من عمّال الله تبارك وتعالى.. إنّها من الملائكة، وان ثوابها سيكون مثل ثوابهم**[1].

٢ ـ خدمة الزوج علامة حبّ:

خدمة الزوج ليست خدمة بلا مقابل، بل هي خدمة متبادلة

(١) الأخلاق البيتية. ص١٤١.

كما قلنا، فكما أنّ الزوجة تخدم زوجها، فإنّ الزوج يخدم زوجته أيضاً، ولو نظرنا في الحياة من حولنا، لرأينا أن الخدمة المتبادلة بين أبناء البشر كلّهم هي قاعدة إنسانية:

الناس للناس من بدوٍ ومن حضرٍ بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

٣ ـ إطاعة الزوج:

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ خرج في بعض حوائجه، فعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم** (لاحظوا أنها معاهدة).

قال: وإنّ أباها قد مرض، فبعثت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذنه أن تعوده.

فقال: لا.. اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

قال: فثقل، فأرسلت إليه ثانياً بذلك.

فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

قال: فمات أبوها فبعثت إليه: إن أبي مات، فتأمرني أن أصلي عليه؟

فقال: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

فدفن الرجل، فبعث إليها رسول الله ﷺ: إنّ الله قد غفر لكِ ولأبيك بطاعتك لزوجك»[1].

وهكذا فإنّ صبرها واحترامها للمعاهدة الزوجيّة ولكلام

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. باب وجوب طاعة الزوج على الزوجة. ص١٢٥.

رسول الله ﷺ جعل منها مثالاً للتربية الأبويّة الصالحة التي أدّت إلى المغفرة للأب ولابنته المطيعة التي ربّاها على احترام رسول الله ﷺ واحترام كلمتها ومعاهدتها لزوجها، ولعلّ هذه القضية حصلت في نهار واحد وفي تطوّر سريع، علماً أن في هذه الرواية خدشة في السند من جهة، وتعارضاً في المضمون من جهة أخرى مع روايات صلة الرحم في هذه النقطة، ومجافية لروح الإسلام واخلاق النبوّة الرحيمة. ولو صحّت فلا بدّ أن تكون معتمدة على عناصر مطوية وقرائن حاليّة تجلّي معناها الحقيقي، خفيت علينا.. ولهذا يمكن اعتبارها رواية ضعيفة لا تصلح مستنداً للاستدلال في المعنى المشهور منها عند الفقهاء.

الحاجة إلى طاعة السكرتيرات!؛

أيّهما أهمّ عند الزوج سكرتيرته أم زوجته؟

في الحقيقة والمنطق لابدّ أن تكون زوجته، لأنّها شريكة حياته وأمّ أولاده حاضراً أو مستقبلاً..

لكن لماذا يألف رجل سكرتيرته وينفر من زوجته؟ أقصد بعض الرجال، مع أنّ الزوج يجب أن يستريح إلى زوجته، ويجد فيها كلّ معاني الرقّة والعطف والمودّة والرحمة والعطاء.

قد يقال: إنّها الجاذبيّة وحرص السكرتيرة على أناقتها، أو أنّ كلّ محجوب مرغوب.

ونجيب: ليس بالضرورة، فقد تكون الزوجة أكثر جاذبية واناقة وذات دُل وغنج، وقد تكون السكرتيرة إبنة أخ الشخص أو

ابنة اخته أو تكون عمّته أو خالته أو أخته، أو كبيرة السن لكنّها ذات حكمة وعقل، ومع ذلك يألفها الرجل، فلماذا؟!

السرّ غالباً في ما نعتقد أنّ السكرتيرة مطيعة غير مشاكسة، تحترم ربّ العمل وتلتزم بتعليماته، لذا يألفها الرجل ويقدّرها بسبب الطاعة والاحترام، بينما يفرّ من زوجته إذا كانت عنيدة متمرّدة، رافضة وفارضة لإرادتها باستمرار!! حيث يشعر الرجل معها أنّه (لا شيء) وأنّه مجرّد جهاز آلي عليه أن يطيع كلّ الأوامر والإيعازات التي تصدر إليه!!

وقد تعترض امرأة على هذا وتقول:

لماذا إذاً تريدون هذا الدور للمرأة؟ هل المطلوب أن تتحوّل الزوجة إلى مجرّد إنسان آلي تؤمر فتطيع، أو مجرّد موظّفة أو حتى خادمة؟!

نقول: كلّا!! إن تبادل الطاعة والمشورة والتفاهم بين الزوجين بالعقل والحكمة هو المطلوب، لكن المشكلة إذا تعاندت أو تصارعت الإرادتان، أو اختلف الزوجان في شؤون الحياة الزوجية، فعلى الزوجة التنازل للزوج، والطاعة والاحترام له دون مشاكسة، حتى تستقيم أمور البيت. وهذا هو معنى إسناد القيمومة والقيادة إلى الزوج في الإسلام حيث يرجع القرار الأخير له، وعلى الزوجة في النهاية التسليم والطاعة حتى لا تتفجّر المشكلة وتتعقّد الحياة البيتية لتصل إلى التفكّك والطلاق..

وحينما نمتدح طاعة الزوجة وكأنّها سكرتيرة له، لا نريد أن نقلّل من دور الزوجة وأهميّتها ورسالتها الجليلة في الحياة، ولا

نريد أن نبالغ في دور السكرتيرة ولا التعميم على كلّ السكرتيرات أو الزوجات والأزواج، وإنّما نريد أن نلفت انتباه بعض الزوجات اللائي لا يقدّرن قيمة الطاعة للزوج في الحياة الزوجية حتى تأسر قلبه امرأة أخرى كالسكرتيرة تظهر له كلّ فنون الاحترام والطاعة، ثم تكتشف الزوجة سرّ الطاعة بعد فوات الأوان.

من ذلك كلّه نريد أن نؤكّد للزوجات بأنّ طاعة الزوج واحترامه والاعتذار لهُ هو سرٌّ من أسرار الوصول غالباً إلى قلبه، كما أنّ اللطف بالزوجة من قبل الزوج والاهتمام بها ومداراة مشاعرها هما في الغالب سرّ امتلاك قلب المرأة.

الأخلاق السيئة للرجل أو المرأة:

في الوقت الذي حرّم الإسلام الإيذاء المتبادل بين الزوجين بغير حقّ، شدّد على كلّ منهما في اجتناب إيذاء الشريك.

فعن النبي ﷺ: «**من كانت له امرأة تؤذيه؛ لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن: صامت الدهر وقامت، وأعتقت الرقاب، وأنفقت الأموال في سبيل الله، وكانت أول من ترد النار، وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان مؤذياً ظالماً**»[١].

وعنه ﷺ: «**أيّ امرأة آذت زوجها بلسانها؛ لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه، وإن صامت نهارها وقامت ليلها وأعتقت الرقاب، وحملت على جياد الخيل**

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. كتاب النكاح. ص١١٦.

في سبيل الله، فكانت أول من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان ظالماً لها»[١].

ولا شكّ أنّ هذا التشديد العجيب في النصوص الدينية ليس عبثاً، لأنّ الأسرة هي الحجر الأساس في بناء المجتمع، فإذا صلحت وتماسكت؛ صلح المجتمع. وإذا صلح المجتمع؛ صلحت الأمّة وتماسكت، وكانت أمّة قويّة تحترمها الأمم.

الخدمة المشتركة في الحياة الزوجية:

حين يدخل العروسان إلى بيت الزوجية، وينتقلان إلى حياة مشتركة، فإنّ عليهما أن يدركا أن اشتراكهما في حياة واحدة ينبغي أن يقوم على جو الصداقة والتعاون والتفاهم، لكي تسير سفينة الأسرة في اتجاه واحد سليم ولا تتعرض للعواصف والأمواج.. وعليهما أن يدركا أن العناد والتجريح وسوء الظن والإهانة والإهمال للشريك وضعف المبادرة سيعرّض السفينة للخطر..

ينبغي للزوجين أن يتقاسما مسؤوليات الحياة، ويقبلا حلوها ومرّها معاً، حتى يسود جوُّ التضحية والإيثار والمحبّة والإخلاص، وبدون ذلك يصعب أن تستمر الحياة الزوجية سعيدة هانئة..

إنّ لكل من الزوجين حقوقاً، وعلى كلّ منهما واجبات .. فكما يأخذ الواحد منهما حقوقه ويطالب بها، عليه أن يقوم بواجباته تجاه الآخر، ففي اللحظة التي يتخلّى فيها الشريك عن القيام بواجباته بينما يطالب بحقوقه، لن يجد عادة صدى طيباً من

---

(١) المصدر نفسه.

شريكه وسيقصّر الشريك ويضعف أو يتهاون عن القيام بمسؤولياته أيضاً.

المبادرة الزوجيّة:

هذا وقد يندفع كلٌّ من الشريكين للقيام بواجباته وواجبات الشريك الآخر حبّاً له ورحمة به وتخفيفاً عنه، ويبادر إلى واجباته قبل المطالبة بحقوقه. وقد لا يطالب بتلك الحقوق أو ببعضها إيثاراً للشريك الآخر على نفسه.

وهذا هو منتهى الأخلاق العالية والمثالية الكريمة، وقد يتنازعان العمل وتتداخل المهمّات بينهما، فلابدّ من توزيع الأدوار حينئذٍ..

يُحكى أن الإمام علياً عليه السلام والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام تقاضيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب (أي العمل داخل البيت)، وقضى على علي عليه السلام بما خلفه (أي العمل خارج البيت).. فلا تخرج هي إلى السوق لتجلب الطعام، ولا ينشغل الإمام عليه السلام بتدبير المنزل، فسرّت الصدّيقة عليها السلام، ربما بسبب أنّ النبي صلى الله عليه وآله أتاح لها أن تأخذ قسماً من العمل، وجعله في البيت بعيداً عن الرجال، فقالت: **«فلا يعلم ما دخلني من السرور إلّا الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل أرقاب الرجال»**[1].

ومع هذا، فإنّ الإمام عليه السلام كان يشارك في عمل البيت

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. باب النكاح. ص١٦٤.

أحياناً، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، ويخدم في مهنة أهله بحسب الروايات، فلقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز**»[1].

وقبل ختام الحديث عن هذا الفصل من حقوق الزوجين وواجباتهما البيتية وغير البيتية، لابدّ من الإشارة إلى عدد من النقاط الأخرى التي نرى ضرورة الالتزام بها بغية منح الحياة الزوجية مزيداً من الدفء.

لا تتبرّجي أمام غير المحارم:

يجب على الزوجة وكلّ مكلّفة أن لا تتبرّج أمام غير المحارم من الرجال إلّا زوجها، ولا فرق في ذلك بين أقربائها وغيرهم، فهم أجانب عليها، فلابدّ من أن تلتزم بالعفّة والرصانة، ولا تبدي زينتها وجمال جسمها ومفاتنها أمام سائر الرجال، ولا تتبختر أمامهم لتثير غرائزهم الجنسية، وإذا التزمت بهذه الأمور فإنّها تكون وفيّة لزوجها، وتثبت بذلك حبّها واخلاصها له، وتزيد من ثقته بها.

لا تغازل ولا تنظر برغبة جنسيّة:

والزوج أيضاً وكلّ مكلّف يجب أن يمتنع عن النظر إلى النساء برغبة جنسية، ويغضّ بصره عنهنّ ما عدا زوجته، وإذا وقع بصره على امرأة أجنبية (أي ليست من محارمه ولا زوجته) بصورة

---

(١) بحار الأنوار. ج٤٣. ص٥٠.

لا إرادية وعن غير قصد وأثارت غريزته الرجولية، وجب عليه أن يغضّ بصره عنها فوراً قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[١].

لأنّ مواصلة النظر الغريزي إلى المرأة الأجنبية يثير نار الشهوة لدى الرجل ونار الغيرة لدى زوجته، ويؤدّي بالتالي إلى الانحراف، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة؛ تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة**»[٢].

فإذا كانت العين لا تشبع من النظر ـ كما ورد في بعض الأحاديث ـ فإنّها في المقابل لا تحصل على سوى المتعة الآنية التي تتأمل فيها الجمال، ثم لا يقع هذا الجمال تحت تصرّفها، لأنّه إما أن يكون جمالاً أحلّه الله لغيره، أي متّع به زوجاً آخر، فصاحبته صاحبةٌ لزوج، ولا يجوز أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله به غيره. وإمّا أن يكون لامرأة غير متزوجة، وهو إمّا أن يتزوجها، أو أن يبقى يعيش النظر المجرد الباعث على الحسرة، ولما كان من الصعب على الرجل أن يتزوّج كل امرأة جميلة يراها، فإنه لا يبقى أمامه إلّا أن يعيش الحسرات، أو يقع في شباك الانحراف ومستنقع المعصية. والحال أنّ ذلك لا داعي له، فالنساء كلّهنّ كامرأته، كما جاء عن الإمام علي عليه السلام.

إذ يُحكى أنه عليه السلام كان في جمع من الناس، فمرّت امرأة

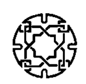
---

(١) النور: ٢٤/ ٣٠-٣١.

(٢) وسائل الشيعة. ج٢٠. ص١٩٢. ح٢٥٤٠٠.

جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فنهاهم الإمام عليه السلام عن ذلك بلطف قائلاً: «**إن أبصار هذه الفحول طوامح** (أي مرتفعة إلى البعيد) **وإن ذلك سبب هبابها** (أي هيجانها الفحولي) **فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه؛ فليلامس أهله** (أي فليواقع زوجته) **فإنّما هي امرأة كامرأته**»[١]!!

وإذا عكسنا ذلك بالقياس، ونظرت امرأة إلى رجل أعجبها؛ فلتلامس زوجها فإنّما هو رجل كرجلها.



(١) نهج البلاغة. الحكمة ٣٩٩.

الفصل الخامس

الخلافات الزوجيّة



الخلافات الزوجية

الزوجان ـ شأنهما شأن أي شريكين آخرين ـ قد تنشأ بينهما الخلافات والمشاكل، لا لأنّ هذه المشاكل وتلك الخلافات أمر طبيعي لابدّ أن يحصل بين كلّ زوجين وفي كلّ أسرة، بل لأنّ طبيعة أي علاقة ثنائية أو أكثر من ثنائية الاحتكاك الذي قد ينجم عنه سوء تفاهم هنا أو عدم فهم هناك، وبالتالي تنشأ المشكلة من عدم تقدير ظروف الآخر واستيعاب آرائه ووجهات نظره أو تجاهله وهكذا.

فعلى قدر ثقافة الزوجين ووعيهما وإيمانهما وأخلاقهما تكون الحياة بينهما إمّا جنّة من نعيم أو قطعة من جحيم.

ولا شكّ أنّ الخلافات الهينة البسيطة الطفيفة أو السطحية لا تدعو إلى القلق، بل ربّما يعتبرها بعض الأزواج كالملح في الزاد، فهي بعد التصافي تتحول إلى عامل زيادة في المحبّة والانجذاب، لأنّ من طبيعة الخلاف أن يعكّر الأجواء الصافية، حتى إذا مازالت الغيوم عن سماء العلاقة، بان الصحو فيها مشرقاً بابتسامة الحب من جديد.

تعقيد الخلافات البسيطة:

والغريب أنّ بعض الأزواج والزوجات يحوّلان الخلاف البسيط إلى خلاف معقّد، أي أنّ الكلمة غير اللائقة أو التصرف غير المحبّب يجعل الشريك حساساً للدرجة التي يضاعف فيها الحساب والعقاب، فتراه يعطّل أو يجمّد العلاقة لعدّة أيام وربّما أسابيع، وهذه مسألة ليست عقلانية، فحتى لو افترضنا أنه يريد أن يحسّس شريكه بخطئه، ألا يمكن أن يتّبع أساليب أخرى لتحقيق ذلك كالتفاهم الهادئ؟

ثم إن جفوة يوم أو يومين ربما تحتمل، أما جفوة الأيام فثقيلة مع الشريك الذي يشاطرني أيامي ولياليّ، إنّه تنغيص لأوقات الزوجين معاً، فبدلاً من أن يعملا على تجاوز الأزمة في أسرع وقت؛ تراهما يعمّقانها، وربما تذهب بهما الهواجس إلى اعتبار الشريك المخاصم كارهاً لشريكه الذي خاصمه، وقد يسيء الظنّ به إلى أبعد الحدود.

وثمة نقطة جديرة بالاهتمام وهي أن التقصير أو الإساءة في جانب لا تجعل الحق لأيّ من الشريكين أن يلغي إيجابيات الطرف الآخر.

نقول هذا مع اعترافنا بوجود استثناءات عديدة أحياناً.

أسباب (الخناقات) الزوجية:

تنشأ الخلافات المعقّدة بين الزوجين غالباً عن الأسباب التالية:

١ ـ الاختلاف النفسي والأخلاقيّ:

وهو الاختلاف الجذريّ في النظر إلى الأمور والقضايا والأشخاص، ويفاقمه تحيّز كلّ من الزوجين لرأيه وتصرّفاته وعلاقاته ضد شريكه الآخر. والزوجان هنا قطّان مستنفران.. ديكان روميان يتصارعان.. كبشان يتناطحان، وحلبة صراع!! والحال أنّ الحياة الزوجية: سكن ومودّة ورحمة.

٢ ـ الشخصية المهزوزة:

إن الشخصية المهزوزة في أحد الشريكين قد تدفع بشريكه ذي الشخصية الرزينة إلى التعيّب بالشريك، والشعور بعدم الاستقرار معه؛ ممّا يفاقم المشاكل بينهما ويبعث على الخلاف.

٣ ـ الاختلاف في الموقع الاقتصادي:

والخلاف هنا قد يقع بين زوج غنيّ وزوجة فقيرة، أو بالعكس، وهو أخطر كلّما كانت الزوجة غنية والزوج فقيراً، لأنّها حينئذ تستصغره أو تحتقره ـ وليس كل غنية مع فقير هكذا ـ حينما تنظر إليه نظرة مقارنة مادية بحتة. ففي الوقت الذي ينبغي عليه أن ينفق عليها، تراه يعاني من ضيق ذات اليد فيما هي تعيش البحبوحة. وينشأ الصراع هنا بين زوج لا يمتلك القرار لأنّه لا يمتلك المال، وبين زوجة تتحكّم بالبيت وتسيطر عليه لتكون كلمتها الأولى لأنّها الأرفع مالياً.

٤ ـ اختلاف البنية والشكل:

إن اختلاف البنية والشكل بين القبح والجمال، أو الطول

والقصر، أو النحافة والبدانة، ما لم يتمّ التعويض عن النقص بشيء آخر، قد يسبّب مشاكل بيتية ونفوراً وازدراءً بين الزوجين.

٥ ـ الزواج المصلحيّ:

وهو الزواج القائم على مصلحة مادية معينة، سواء كانت المادة هنا هي المال أو القوة أو النفوذ، فهذه كلّها يمكن أن تقف بالضدّ من العلاقة الزوجية، إذا لم يكن إلى جانبها عوامل جذب أخرى كالدين والأمانة والعفّة والأخلاق والشخصيّة.

إنّ اكتشاف الشريك أن شريكه لم يرده لذاته، وإنّما أراده لتفوّق يتمتع به في المال أو الوجاهة، سوف يجعله في موقف المسيء للظنّ به، فهو يقول لو إنّ ما معي من مال قد نفد أو سرق أو احترق أو ضاع؛ فإنّه سوف لن يكترث بي، وهكذا في (المصالح) الأخرى، وبالتالي فإنّ زواج المصلحة المادية قد يكون من أضعف أنواع الزواج.

٦ ـ التطاول على مبدأ القوامة والسيادة:

قد يتطاول الشريك على حقوق شريكه، فقد يسيء الزوج استخدام الحق الإلهي المعطى له في رئاسة الأسرة، فيصبح ظالماً متجبّراً.

وقد تتحوّل الزوجة إلى منافسة خطيرة تتناطح مع الرجل في مسؤولياته، إمّا لانتزاعها منه لتكون هي المتسلّطة على البيت، وإما بالتمرّد عليه بدعوى أنّها لا تلتزم الطاعة لأحد حتى لزوجها.

وإساءة فهم (القوامة) من أحد أو من كلا الزوجين؛ يسبب صراعاً كذاك الذي يحصل بين إدارتين أو رئيسين.

٧ ـ الأسباب الطارئة للخلافات:

إنّ حدوث عاهة طارئة في الجسد، أو مرض خطير، أو دخول رجل أو امرأة من الخارج على الخط، أو إفلاس مالي مباغت، أو نشوء عادة سيئة كشرب الخمر أو تعاطي المخدرات أو لعب القمار، مما قد يتعامل معه أحد الشريكين في البداية كمشكلة، ثم تتعقد الأمور بإصرار الشريك الذي اعتاد العادة السيئة لتصل إلى درجة الطلاق أحياناً، والسبب الأول في ذلك هو عدم تحمّل الشريك لهذه الصدمة التي لم يحسب لها حساباً.

٨ ـ عدم قيام الشريك بالتزاماته:

إنّ عدم قيام الشريك بالتزاماته لأي سبّب، كعدم الانفاق على الزوجة المطيعة، وعدم معاشرتها بالمعروف. أو لعدم إطاعة الزوجة لزوجها المستقيم، وخلق المنفّرات البيتية؛ يدفع غالباً إلى الخلافات الزوجيّة، ويعتبر في الشريعة نشوزاً، أي خروجاً على الالتزام والواجبات التي فرضها الله على الشريك.

النشوز:

النشوز هو الارتفاع، ونشوز أحد الزوجين ترفّعه عن أداء التزاماته وواجباته الزوجية وتحلله من مسؤولياته، وقد يحصل من الزوجة أو الزوج أو كليهما.

١ ـ نشوز الزوجة:

إذا نشزت الزوجة أو كادت؛ فالأحوط فقهياً التدرّج في المعالجة والبدء بالكلام ولفت النظر والتذكير بالواجبات الشرعيّة والمسؤولية الزوجيّة أمام الله عزّ وجل، فإن لم يُفد ذلك؛ فالهجر في الفراش الزوجي، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[١].

فإن لم يفد، وأصرّت الزوجة على النشوز، واستمرّت فيه؛ سقط حقّ النفقة عن الزوج، وبقي حقّ الحضانة والمهر للزوجة. وفي المرأة العنيدة أو الشرسة التي لا يفلح معها الكلام أو الهجر والتي لا تفهم إلّا بالصدام، فإن كان الصدام يردعها عن الانحراف؛ جاز للزوج الصدام التأديبي الخفيف بدون إدماء أو جرح أو كسر أو علامات حمراء أو سوداء على الأحوط.

وإن كان الصدام لا يردعها عن الانحراف كما لو أدّى إلى ازدياد عنادها ولجوئها إلى القانون للاضرار بالزوج، أو أدّى الصدام إلى عكس المطلوب وهو إصلاح الزوجة، فأفسدها فتمرّدت أكثر نتيجة العناد، أو تحصّنت بقوة السلطة الرسمية وجرِّ الزوج إلى السجن مع بقائها على النشوز والانحراف، فهل يكون الصدام معها مشرّعاً في مثل هذه الظروف؟ والحال أن تشريعه جاء بهدف تحقيق الاصلاح. فإن انتفى الاصلاح؛ انتفى الحكم بانتفاء موضوعه.

---

(١) النساء: ٤/ ٣٤.

والصدام بين الزوجين تمنعه قوانين حديثة، وهو ليس واجباً في الشرع على كلّ حال، وليس من شيم الزوج العصري، بل هو حرام إذا كانت الزوجة مظلومة، أو لم يراعِ فيه الزوج شروطه الشرعيّة. والضرب الذي به تُستكمل الآية أعلاه ملحوق بشرط عدم الطاعة وبالتحذير من أنّ علوَّ الله هو فوق الزوج، وأنّ فوق قوّة الزوج قوّة الله الكبير القادر على الزوج وغيره، وتذكير الزوج بذلك كلّه حتى لا يتجاوز حدود الاصلاح في تأديب زوجته بالصدام، فيتحول الصدام الى مجرّد تشفٍّ وتنفيس حقدٍ يفرغه الزوج في جسد زوجته، وليس اصلاحاً متقيّداً بشروط شرعية صارمة.

البديل عن الصدام:

إذا انتفى حكم الصدام بانتفاء موضوعه، وهو امتناع الاصلاح بالضرب بعد الوعظ والارشاد والتفهيم ثم الهجر في المخدع الزوجي، فإنّ البديل للزوج هو إحضار حَكَمٍ من أهله وحَكَمٍ من أهلها للإصلاح، فإن لم يتمكنا من الإصلاح فللزوج أن يتعايش مع نشوز زوجته أو يطلّقها.

٢ ـ نشوز الزوج:

وأمّا نشوز الزوج، فقد ورد ذكره في القرآن أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[١]. وهو كراهية الزوج لزوجته ومللِه من

(١) النساء: ١٢٨/٤.

مجالستها ومجاملتها واحترامها، وفي هذه الحال، على المرأة أن تلجأ إلى الموعظة الحسنة دون الهجر والضرب، فإن لم يفد هذا الأسلوب؛ أحالت أمرها إلى الحاكم الشرعي للإصلاح أو الطلاق.

والله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١].

ومن الناحية الشرعية إذا كان الزوج يؤذي زوجته ويشاكسها بغير وجه شرعي؛ يحق لها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي، وهو عالم الدين المجتهد، لكي يلزمه بمعاشرتها بالمعروف، فإنّ نفع فهو، وإن لم ينفع وطلبت الطلاق ورفض الطلاق ولم يمكن إجباره عليه؛ طلّقها الحاكم الشرعي.

والدليل على هذا الاجراء قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾[٢]. والحديث عن النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[٣].

وصحيحة أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر ـ أي الإمام الباقر عليه السلام ـ يقول: «**من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يواري عورتها، ويطعمها ما يقيم صُلبها؛ كان حقاً على الإمام أن يفرّق بينهما**»[٤].

---

(١) النساء: ٤/ ١٩.

(٢) البقرة: ٢/ ٢٣١.

(٣) كنز العمال. ٥/ ٨٤٣. والكافي. ٥/ ٢٩٢.

(٤) وسائل الشيعة. ج٢١. ص٥٠٩.

وصحيحة ربعي بن عبد الله والفضيل بن يسار جميعاً عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[1]. قال عليه السلام: «**إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع كسوة، وإلّا فرّق بينهما**»[2].

فإذا كان هذا هو شأن الطعام والثياب وعدمه يؤدي إلى التفريق بين الزوجين، فما بالك إذا تعذّرت الحياة الزوجية نتيجة الخلافات من الزوج وشدته، وفقدت الزوجة معاشرة زوجها لها بالمعروف، أو فقد هو قدرته الجنسية نهائياً وهي راغبة، أو منعها من حقها الجنسي، فهل يجوز له امساكها وعدم إجراء طلاقها ضراراً واعتداءً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ إن ذلك يقتضي من الحاكم الشرعي إجراء طلاقها، وإخلاء سبيلها إذا رفض الزوج الطلاق ولم يمكن إجباره عليه.

٣ ــ نشوز كلا الزوجين:

هناك نوع آخر من النشوز وهو نشوز كلا الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[3].

فإذا نشز الزوجان معاً، وتخلّى كلٌّ منهما عن مسؤوليّاته بحق أو بدونه، فإنّ معالجة هذا النشوز والشقاق، يمرّ في مراحل:

---

(١) الطلاق: ٦٥/٧.

(٢) وسائل الشيعة. ج٢١. ص٥٠٩.

(٣) النساء: ٤/٣٥.

١ ـ مرحلة المناقشة والعتاب والمصالحة الذاتيّة دون تدخّل أحد وهو الأفضل.

٢ ـ مرحلة الصلح والتحكيم من قبل الأهل، وهنا يتدخّل المُصلِحان برضا أهل الزوجين أو من قبلهما: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

٣ ـ الرجوع إلى الحاكم الشرعي، أو العالم الديني الذي يثق به الطرفان لمعالجة المشكلة.

٤ ـ الطلاق، وهو آخر الدواء، ولكنّه مُرّ يتجنّبان به الأمرّ.

أهمّ المشكلات الزوجية:

إنّ المشاكل التي تسبّبها المرأة تؤثر على عمل الزوج ومهنته وإبداعه وتعامله مع الناس، والعكس صحيح أيضاً، فإذا قصّر الرجل في حق زوجته وأساء إليها، فإنّها ستقصّر في واجباتها المنزلية والزوجية جرّاء ذلك نتيجة الألم النفسي الذي يصيبها بالإعياء أو ردّة الفعل، كما ستقصّر في عملها في الخارج. وبالتالي إذا حلّ الشجار والنكد ـ سواء كان الزوج السبب أو الزوجة ـ فإنّ أعمدة البيت يمكن أن تتصدّع ما لم يبادر أحدهما أو كلاهما لإنقاذه في أسرع وقت.

وعلى ضوء ما مرّ، نتناول أهم المشكلات التي تهدّد الحياة الزوجية بالتدهور أو التصدّع وهي:

(١) النساء: ٣٥.

١ ـ انحراف الزوج أخلاقياً وسلوكياً:

سبق أن أكدنا أن اختيار الشريك يجب أن يكون دقيقاً ومتأنياً، حتى لا ينجم عن التعجّل أو سوء الاختيار مشاكل تحيل العلاقة الزوجية إلى ساحة خصومات وحرب.

وأبرز علامات انحراف الزوج هو عدم التزامه بحقوق الزوجية، بل وتعدّيه على زوجته وانتهاك حرمتها واحترامها، حتى ليبدو معها سيئ الخلق والتعامل إلى درجة تتمنّى معها لو لم تقترن به.

ومن علامات الانحراف أيضاً أن يدمن الزوج الخمرة أو المخدرات، أو يبذّر أمواله على القمار، ويتحوّل إلى متهتّك يعاشر النساء الساقطات.

أو قد يشكّ بزوجته إلى درجة الهوس والمرض، أو قد يكون من الذين يحاسبون زوجاتهم حساباً فظاً عسيراً لأقلّ هفوة، ممّا يحيل الحياة إلى جحيم.

فما هو الطريق الذي تسلكه الزوجة لمعالجة زوجها في مثل هذه الحال؟

إنّ استشارة أهل الخبرة، والصبر على الزوج، والتعامل معه بأناة وحكمة هو الدواء الأنسب، ويجب أن لا نقتل المريض؛ بل نعالجه بالرعاية والسهر وتحمّل وضعه الصحّي حتى شفائه، دون أن نيأس. وفي الحديث: «**من صبرت على سوء خلق زوجها؛ أعطاها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم**»[١]

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٤٧. ح٣٠. ب٤.

وآسية زوجة فرعون مصر الذي أدّعى الألوهيّة، وكان طاغية بطآشاً.

وقد يكون انحراف الزوج بالاستهانة بحقوق زوجته وواجباته، وفي ذلك معصية لله سبحانه وتعالى.

يُحكى في خلاصة الخبر ـ سبقت إشارة إليه ـ **أن (سعد بن معاذ) كان سيئ الخلق مع زوجته، وقد قتل شهيداً وشيّعه الرسول ﷺ ونزل في قبره وأهال التراب عليه، فقالت أم سعد: هنيئاً لك الجنّة.**

فقال ﷺ: «مهلاً يا أمّ سعد، إنّ سعداً أصابته ضمّة!!» أي ضغطة القبر.

فقالت: لماذا؟

قال ﷺ: «لأنّه كان فيه سوء خُلق مع أهله!».

وهذا يدلّل على أن إساءة الخلق مع الزوجة أو الأسرة مما لا يتسامح فيه الإسلام، حتى لو نال الرجل درجة الشهادة، لأنه حق للآخرين لا يسقط إلّا برضاهم.

٢ ـ العنف المنزلي:

قد يعاقر الزوج الخمور ويتعاطى المخدرات، ويأتي إلى البيت هائجاً أحياناً.. يحطّم الأواني الزجاجية وأدوات البيت، ويستخدم العنف.

إنّ العنف المنزلي في البيوت التي تتأسس على الثقة المتبادلة

والإيمان والخلق الكريم والاحترام لمشاعر الآخر والتفاهم المشترك نادر بل معدوم.

إنّ الجاهل هو الذي يلجأ إلى يديه فوراً قبل استعمال عقله ويمارس العنف والقسوة مع زوجته وأسرته دون اللجوء إلى المنطق والموعظة الحسنة.

عقدت (جمعية تنظيم الأسرة في لبنان) مرّة ندوة بعنوان (العنف داخل الأسرة) لمناسبة يوم الأسرة العالمي، وجاء فيها أنَ العنف داخل الأسرة يمكن أن يكون انعكاساً للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية السائدة حول الأسرة.

وجاء أيضاً أن ٦٠٪ من جرائم القتل بحق النساء ـ في بعض البلدان ـ يرتكبها الزوج أو الصديق، وأن تعرّض المرأة إلى العنف داخل منزلها يفوق بتسعة أضعاف تعرّضها له في الشارع، وان ٢٥٪ من مرضى الاضطرابات النفسية ومحاولات الانتحار هم من ضحايا العنف المنزلي، كما أنّ ٥٠٪ من الأطفال المقيمين في بيوت رعاية الأطفال هم ضحايا العنف العائلي، و٧٠٪ من حالات الاعتداء على الأطفال يرتكبها رجل البيت.

وجاء في الندوة التأكيد على أنّ من حقّ المجتمع والدولة في حال حدوث العنف داخل الأسرة التدخّل لتمكينها من تفادي نزاعاتها والعمل على حلّها.

أسباب العنف الزوجي:

ومن أهم الأسباب التي تؤدّي إلى المشاكل الزوجية، وبالتالي إلى العنف، هي:

١ ـ قلّة المصروف والنفقة، ما يجعل الزوجة تطالب بحقّها، ويجعل الزوج يماطل ويسيء المعاملة حتى لا يطالب بالوفاء بالتزاماته المالية.

٢ ـ منع الزوجة زوجها من معاشرتها في المخدع الزوجي أو العكس، ما يجعل الطرف الآخر يثور مطالباً بحقّه في معنى الزوجية الذي يحقّق الطمأنينة والسكينة النفسية والمودّة.

٣ ـ عناد الزوجة نتيجة الجهل وخشونة شخصيتها، ما يجرّ إلى عناد الزوج، والعكس صحيح.

٤ ـ خروج الزوجة خارج البيت بدون إذن زوجها، وارتياد أماكن لا يرضى عنها الزوج، وقد يرتاد الرجل أماكن مشبوهة ومحرّمة فتثور زوجته، ويؤدّي ذلك إلى استعمال العنف بين الطرفين.

٥ ـ تعرُّف الزوجة على رجل آخر، أو تعرّف الزوج على امرأة ثانية.

٦ ـ الوضع العصبي لبعض الرجال أو النساء، حيث يثور أحدهما لأتفه الأسباب ويتفجّر غضباً، وسنفرد للغضب ومساوئه وآثاره وعلاجه حديثاً خاصاً لخطورته في الحياة الزوجية.

٧ ـ العادات السيئة في بذاءة الأقوال واستعمال الكلمات النابية التي تدخل في السلوك اليومي، ما يخلق حالة من رد الفعل العنيف والاستفزاز، وربما اللجوء إلى الأسلوب نفسه من قبل الشريك، مما يؤدّي إلى الإهانة المتبادلة فالعنف.

٨ ـ إهمال الزوجة للتدبير المنزلي والعناية بالأولاد، أو إهمال الزوج لمسؤولياته تجاه أسرته وأولاده.

٩ ـ إفشاء أسرار البيت والثرثرة بها بين الناس.

١٠ ـ الجدال الحادّ العنيف الذي يخرج عن صورة الحوار والنقاش.

١١ ـ السباب المتبادل بين الزوجين والانتقاد القاسي والانتقاص والتجريح لا سيّما أمام الآخرين.

الموقف من الرجل العنيف:

إنّ العنف من وجهة نظر إسلامية، إذا كان سببه الزوج، وكانت الزوجة مستقيمة؛ فإنّ للمرأة أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي مطالبة بالإصلاح أو التعويض والطلاق، كما أن لها أن تصبر وتعالج المشكلة بالتفاهم.

وإذا امتنع الزوج عن الإنفاق؛ فلها أن تخرج من بيتها من أجل العمل، كما أنّ لها أن تصبر وتتحمّل وتلتزم بيتها، أو ترجع إلى الحاكم الشرعي ليُخطر زوجها، فإن لم يستجب وطلبت الطلاق ولم يطلّقها؛ طلّقها الحاكم الشرعي.

وإذا كانت الزوجة شرسة معاندة لا يصلحها إلّا الصدام فقد أجازه الإسلام في حدود وشروط، ولم يعتبره الحلّ الأفضل والأمثل، جاء عن النبي ﷺ: «**أيّما رجل ضرب امرأته فوق ثلاث؛ أقامه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيفضحه فضيحة ينظر إليها الأوّلون والآخرون**»[١].

وقد وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ تنهى الرجل أن يضرب امرأته، ومنها قوله ﷺ: «**إنّي أتعجّب لمن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها.. لا تضربوا نساءكم بالخشب؛ فإنّ فيه القصاص**»[٢].

وكأنّ المعنى أن يستعيض الرجل عن ضرب المرأة بالضغط عليها بتقليل مصروف البيت المعدّ للطعام، وعدم شراء ثياب لها مؤقتاً حتّى ترتدع عن الخطأ، وكلمة «**وهو بالضرب أولى**» توحي أنّ الزوج حينما يكون هو سيّيء الخُلق وذا الطباع الفظّة، ممّا قد يدفع زوجته إلى عقوقه، هو الأولى منها بالضرب، لأنّه هو البادئ، والبادئ أظلم.

وجاء عنه ﷺ: «**لا يضرب أحدكم امرأته كما يضرب البعير أول النهار، ثم يضاجعها آخر النهار، خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[٣].

وما أروعها من مقارنة بين موقفين متناقضين: عنف في النهار

---

(١) مستدرك الوسائل. ج١٤. ص٢٥٠.
(٢) بحار الأنوار: مج٢٣. ج١٠٣. ص٢١٩.
(٣) الكاشف. ج٢. ص٣١٧.

ورغبة في الليل! بغض في النهار وحب في الليل.. أيّهما ترى يمحو الآخر أو يتغلّب عليه؟ في النهار لا يعرف معها سوى لغة العنف، وعندما يجنّ الليل يقع عليها برغبة جامحة، وربّما كان عنيفاً سادياً حتّى في علاقته الجسديّة معها.

إنّها صورة بشعة! كيف يمكن للمرأة أن تتقبل ظالمها وجلّادها حبيباً أو عشيقاً، وقد أثخن جسدها بالكدمات وروحها بالمرارة، وكسر عزّتها بالعنف الهائج؛ إلّا أن تغفر وتسامح، ويصحّح الرجل سلوكه ويغيّر؟!

مخاطر الغضب:

إن الغضب إذا تفجّر فهو كالنار المشتعلة قد تدمّر كلّ شيء حتى الأشياء الجميلة.

في عصر النبي ﷺ كان أحد المسلمين قد غضب واستهان بزوجته، وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾[1].

وذكر المفسرون أنّ أحد أصحاب الرسول ﷺ، وهو (أوس بن صامت) كانت له امرأة حسنة الجسم، فرآها ساجدة في صلاتها،

---

(١) المجادلة: ٥٨/١-٢.

فلما انصرفت أرادها، فأبت عليه، فغضب، وقال: أنتِ عليّ كظهر أمّي (يريد تحريمها عليه) ثم ندم على ما قال.

وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها:

ـ ما أظنّك إلّا حرّمت عليّ.

قالت: لا تفعل ذلك (لا تحرِّمني) واذهب إلى الرسول، فاسأله:

قال: أستحي أن أسأله عن مثل هذا.

قالت: دعني أنا أسأله.

قال: سليه.

فذهبت إلى النبي ﷺ وعائشة تغسل رأسه، فقالت:

ـ يا رسول الله، إنّ زوجي أوس تزوّجني، وأنا شابّة غانية ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي، وتفرّق أهلي، وكبر سنّي.. ظاهَرَ ثم ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه فتنعشني به؟

قال النبي ﷺ: «ما أراك إلّا حرّمت عليه».

قالت: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، وأنّه أبو ولدي وأحبّ الناس إليّ.

فقال لها: «لم أؤمر بشأنك».

فجعلت تراجع رسول الله.. فإذا دافعها الرسول ﷺ هتفت

وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدّة حالي.. فأنزِلِ اللهم على نبيّك ما يكشف كربي[١].

وأعادت على الرسول ﷺ واستعطفته قائلة: جعلت فداك يا نبيّ الله أنظر في أمري.

فقالت لها عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك.. أما ترين وجه رسول الله؟!

وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات والنوم.

ثم التفت إليها الرسول ﷺ، وقال: «ادعي زوجك..» ولما أتاه تلا عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ

---

(١) لنا على بعض مقاطع هذه الرواية ملاحظة، فهل يعقل أو يصح أن تكون زوجة أوس أعرف من رسول الله في مسألة أقرّ القرآن بعد نزول آيات المجادلة ما قالته، فهو يخاطبها بما كان شائعاً في الجاهلية من طلاق الظهار، وهي تقول: ما ذكر طلاقاً؟! ثم كيف ينطق النبي ﷺ ويقول: «ما أراك إلّا حرّمت عليه» قبل تلقّيه الجواب الإلهي؟ ثم كيف يدافعها النبي ﷺ وهي تترجاه وتستعطفه وهو صاحب الخلق العظيم؛ من هنا كانت الرواية موضع شك، ولنا فيها كلام ليس هذا محلّه؛ ونرى أنّ جواب النبي ﷺ لها: «لم أؤمر بشأنك» أي أنني أنتظر ما يقوله الوحي، هو الراجح والمناسب لمقام النبوّة العظمى، والله العالم.

يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾[١].

ولما انتهى الرسول ﷺ من التلاوة، قال للزوج: «هل تستطيع أن تعتق رقبة؟».

قال: إذاً يذهب مالي كلّه.

فقال: «هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟»

قال: والله إذا لم آكل كلّ يوم ثلاث مرات؛ كلّ بصري وخشيت أن تعشي عيناي.

قال: «هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟»

قال: إلّا أن تعينني على ذلك يا رسول الله.

فقال ﷺ: «إنّي معينك بخمسة عشر صاعاً.. وأنا داعٍ لك بالبركة».

فأخذ أوس ما أمر له به الرسول ﷺ وأطعم المساكين وأكل معهم.. واجتمع أمره مع زوجته[٢].

وجاء في الأخبار أن:

رسول الله ﷺ عندما نهى عن ضرب النساء، جاءه عمر بن الخطّاب فقال: زأرت النساء على أزواجهنّ.. فرخّص

(١) المجادلة: ٥٨/ ٤.١.

(٢) الفقه على المذاهب الخمسة. للشيخ محمد جواد مغنية. باب الظهار. ص٤٥٥.٤٥٧.

رسول الله ﷺ في ضربهنّ، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهنّ فأشار الرسول ﷺ إلى كراهية الصدام في مواجهة الزوجة متحدثاً عن ذلك النوع من الأزواج قائلاً: «ليس أولئك بخياركم»[١].

ولسنا في صدد مناقشة تفاصيل الرواية، ولكنّنا نقول إنّ ضرب الناشز كما مرّ بنا، تشريع قرآني هو الخطوة الأخيرة في علاجٍ من خطوات ثلاث، وقد شرَّع لتحقيق الإصلاح ورفع النشوز، فإن لم يتحقق ذلك به؛ فقد انتفى موضوعه، وبانتفاء موضوع الحكم ينتفي الحكم، ويمكن الاستعاضة عنه بالحَكَمين، بدلاً عن تفجّر الغضب واللجوء إلى الصدام..

وفي المأثورات أنّ: **(الغضب ريح تهبُّ؛ فتطفئ سراج العقل)**.

لذا قد ينفعل أحد الزوجين وغالباً الزوج، وبسبب قوّته وضعف المرأة يهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور، ثم يفقد صوابه، فيبدأ الصراخ ويتصايح الكل، فيضرب، ويحطّم أثاث البيت، ويلكم الحيطان! ويخلع الأبواب! ويدق رأسه! ويجرح نفسه! ويصاب الأطفال بالرعب والهلع، ويصرخون، وتعمد الزوجة إلى الهرب من البيت أو الاستنجاد بالأهل والجيران، أو إحضار الشرطة والبوليس! وتتفاقم الأمور، وقد يؤخذ أحد الطرفين إلى المستشفى والآخر إلى السجن!

---

(١) باختصار.. رواه النسائي وابو داود وابن ماجة. وذكره العقاد في (المرأة في القرآن). ص٥٢٧. واختصرناه هنا..

فإذا هدأت الطباع الثائرة، واستيقظ العقل الحكيم؛ ندم الزوج على غضبه وانفعاله وأفعاله المشينة، وندمت الزوجة على إغضابه وتفريطها وعنادها، وسوء تصرّفها في شأن زوجها وبيتها، وساد الخجل أمام الناس والندم أمام الله والنفس، جرّاء عاصفة الجنون التي عصفت في البيت، وحطمت الأثاث والزجاج، وهشمت الصحون، وكسّرت الأبواب، وأثارت فضيحة بين الناس، وشماتة عند الأعداء! وصدق ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الغضب نار موقدة من كظمه أطفأها، ومن أطلقه كان أول محترقٍ بها**»[١].

أما الزوج الكيّس الحكيم فإنّه يمتلك أعصابه، ويتحلّى بإرادة فولاذية، حتى أنه روي أن رسول الله ﷺ مرّ بفتية يحملون صخوراً ثم يرمونها، **فقال** ﷺ: «**ما هذا؟**».

قالوا: يا رسول الله! يجرّبون من هو الأقوى فيهم.

قال ﷺ: «**هل أدلكم من هو القوي؟ الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل!**».

وجاء عن النبي ﷺ لذلك: «**الصرعة كل الصرعة، الصرعة كلّ الصرعة، الصرعة كلّ الصرعة: الرجل الذي يغضب فيشتدّ غضبه، ويحمرُّ وجهه، ويقشعرُّ جلده، فيصدع غضبه**»[٢].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) ميزان الحكمة. باب الغضب.

وجاء عن الإمام علي عليه السلام: «**أشجع الناس: من غلب حلمه غضبه**»[١].

وفي كلمة بليغة حول الغضب الإلهي والبشري كما في الأخبار:

«**قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلّم الخير، أعلمنا أي الأشياء أشد؟**

فقال: أشدّ الأشياء غضب الله عز وجل.

قالوا: فبِمَ يتقى غضب الله؟

قال: بأن لا تغضبوا.

قالوا: وما بدء الغضب؟

قال: الكِبْر والتجبّر ومحقرة الناس»[٢].

وهذا يدل أن الغضب ينتج عن الشعور بالقوة وتحقير الآخرين وعن الجهل والاستهانة بعباد الله، فلقد جاء عن الإمام علي عليه السلام:

«**من طبائع الجهّال: التسرّع إلى الغضب في كلّ حال**»[٣].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كظم غيظه؛ أمِن من عذاب الجبّار**»[٤].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) بحار الأنوار. ج٧٣. ص٢٦٣. ب١٣٢. ح٥.
(٣) غرر الحكم.
(٤) المصدر نفسه.

وعنه ﷺ: «**الغضب جمرة من الشيطان**»[١].

من هنا فإنّ ألسنة نيران الغضب إذا اشتعلت؛ تحرق البيت فيصبح جهنم! وإن امتلاك الغضب وخنقه، ظفر بالشيطان.

جاء عن الإمام علي عليه السلام: «**ظفر بالشيطان من غلب غضبه.. ظفر الشيطان بمن ملكه غضبه**»[٢].

ويصف الإمام علي عليه السلام الغضب بالجنون، فيقول: «**الحدّة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم**»[٣].

وقد ورد في الأخبار أن رسول الله ﷺ لم يكن يغضب لنفسه، وإنّما يغضب لله، فإذا تجاوز أحدٌ حدود الله؛ غضب النبي ﷺ.. ويغضب لانتهاك حرمات الله وممارسة الظلم والجور، الأمر الذي يعني أن الغضب غريزة في الإنسان، لكنه لابد أن يعرف مجالات استخدامها، فالغضب على أعداء الله ومرتكبي المنكرات غير الغضب على الزوجة والأولاد لأسباب لا علاقة لها بالمخالفات الشرعية، فالأول ممدوح والثاني مذموم.

كيف نواجه الغضب؟:

على الزوجة الواعية اللبيبة أن تنسحب من الجدل والمواجهة مع الزوج، ولعل من الأفضل أن تذهب إلى غرفتها وتغلق بابها

(١) بحار الأنوار. ج٧٣. ص٢٦٥. ب١٣٢. ح٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. حرف (ظ).
(٣) ميزان الحكمة. باب الغضب.

عليها دون أن تنبس ببنت شفة، حتى تهدأ ثائرة الرجل، ذلك أن الأخذ والرد في مثل هذه الحالات يزيد النار اشتعالاً.

وعلى الزوج الحكيم إذا توتر الجو مع زوجته، وعلم أنّه سينتهي بشرٍ أو تسوء عاقبته، عليه أن يتوقف عن الرد على زوجته ويصمت، أو يخرج من البيت إلى بعض شؤونه، ذلك أن التواجد في ساحة المعركة سيجعل الطرف الآخر متوتراً ومنفعلاً، ولكن الانسحاب هو الذي يبرّد الجوّ ويبدّد المشكلة.

وفي المأثورات: «**أنّ مَنْ غضب فليتوضأ؛ فإن الماء يطفئ نار الغضب.. ومن كان قائماً فليجلس**».

أيها الزوج: كن حكيماً وضع أعصابك في ثلاجة، وتمتّع ببرودة الأعصاب.. وعليك أن تعلم أنّ الزوجة تمرّ بشكل طبيعي في فترات عصبية متوترة، كالدورة الشهرية والحمل والنفاس والإرضاع وسن اليأس، مما يستنزف منها الدم والطاقات الغذائية، ويستهلك قواها ويعرّضها للغضب السريع، ثم إنها مثلك لها مزاجها وظروفها الخاصّة.

فإذا توتر الكلام بينك وبين زوجتك وهي تمرُّ في هذه المراحل الحرجة، فساعدها وترفّق بها أكثر، وهدىء من روعك وعاملها بلطف.. وإذا كنت جالساً فلا تقف.. لا تستعمل يديك قط.. وخفف من إشاراتك الجارحة.. انسحب أحياناً من المواجهة فذلك أكرم لشهامتك ومروءتك.. إن الرجل الحصيف لا يقاتل المرأة، وإذا قاتلها فإنّ النبل والرجولة تقتضيه أن ينسحب ولا ينتصر عليها.. ولذلك يقول المثل الشعبي: (**إذا أردت أن**

تقاتل رجلاً فجئه بامرأة تقاتله!) إشارة إلى أن مروءة الرجل واحترام رجولته لا تسمحان له بمقاتلة المرأة.

جاء عن رسول الله ﷺ: «**من صبر على خلق امرأة سيّئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر؛ أعطاه الله ثواب الشاكرين في الآخرة**»[1].

إن الحكمة ودراسة نفسية الشريك وطباعه من أفضل الأساليب والسبل لمعالجة مشاكل الغضب والتوتر المنزلي، وإن تفهم ظروف وخصوصيات كلّ بيت من قبل الزوجين والأولاد المميزين والبالغين لتفادي العنف وتحطيم الأسرة، مع التزام حدود الله وشرْعه، كفيل بوضع حدٍّ لمآسي العنف المنزلي أو التخفيف منها.

فلسفة الصدام الزوجيّ:

لعلّ فلسفة الإباحة المحدودة للصدام الخفيف مع الزوجة الناشز في الإسلام هو استيعاب غضب الرجل في الحالات التي تكون فيها المرأة هي الظالمة، فلا تصل المشكلة إلى الأقارب ولا إلى أئمة الدين ولا إلى المحاكم والدولة والقضاة فتنتهي المشكلة بشكلٍ سرّي..

وقد ترضى المرأة من زوجها ما لا ترضاه من غيره حتى من أبيها وأخيها عادة.. وقد يرضى الرجل من زوجته ما لا يرضاه من غيرها حتى من أمه وأخواته.. والشدّة من الزوج تتفهمها الزوجة

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. ص١٢٤.

وتقبلها أحياناً، للخصوصية الشديدة بينهما التي لا تتحقق حتى مع الأهل. لذا فحين يكون العقاب سرّياً فقد توافق عليه الزوجة.. أو تغفره.. إذ قلّما تكون هناك علاقة زوجيّة خالية من بعض الصدامات أو التوترات الوقتيّة التي تزول بزوال المؤثر، أما حينما يصبح الصدام أحدوثة بين الناس، فإنّ كرامتها لا تسمح بذلك وقد لا تغفر أبداً لزوجها حين يشهّر بها، كما قد لا يغفر لها حين تشهّر به.

إنّ الاستثناءات في الحياة الزوجيّة ليست مشكلة غالباً.. فما يصبح مشكلة زوجية حقيقيّة، أن يعتمد الشريك الإساءة إلى شريكه في مناسبة وفي غير مناسبة، أي أن تصبح القاعدة هي التعامل السيئ والاستثناء هو التعامل الحسن، وهنا يمكن اعتبار الزوجة المشاكسة دائماً زوجة سوء، وهي التي ورد عن النبي ﷺ وصْفُها بقوله: «**ألا ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر؛ أعطاه الله ثواب الشاكرين في الآخرة. ألا وأيّما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق؛ لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان**»[١].

هذا التشديد في الأحاديث والأخبار عن النبي ﷺ، وأهل البيت عليهم السلام ليس عبثاً، لأنّ المحافظة على الأسرة قيمة استراتيجية ثابتة في الإسلام، وإذا صلحت الأسرة وتماسكت؛ صلح المجتمع وصلحت الأمّة وقويت.

---

(١) بحار الأنوار. مج٢٣. ج١٠٣. ص٢٤٤.

(قيل لإعرابي، وكان ذا تجربة بالنساء، صف لنا شرّ النساء؟ فكان من جوابه:

شرّهنّ. . الميشومة، العسرة المبشومة، السلطة البطرة، النفرة، السريعة الوثبة، كأنّ لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب، وتدعو على زوجها بالحرب، أنف في السماء، وإست في الماء، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولا عليه منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، كثيرة اللعاء، قليلة الإرعاء، تأكل لمّاً، وتوسع ذمّاً، ضيّقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدّثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع، بادية من حجابها، نبّاحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، وقد دلّى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور، وعظائم الأمور)[1].

وقد لا تكون المرأة السيئة جامعة لجميع صفات الشرّ هذه، وإنما بعضها، ولذلك فهي سيئة بمقدار ما تحمل من سوء وليس بالضرورة أن تنطوي شخصيتها على كلّ المساوئ، وقد يبتلى الرجل بأمثال هذه المساوئ أو ببعضها أو بأشدّ منها، ولله في خلقه شؤون!

---

(١) الضاحكون: محمد قره علي. ص٤١٠-٤١١.

الصبر على الشريك السيّىء:

دعا ﷺ الشريك المبتلى بالشريك السيّىء إلى الصبر، وجاء عنه ﷺ انه قال: «**من صبر على سوء خُلق امرأته؛ أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه. ومن صبرت على سوء خُلق زوجها؛ أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون**»[1].

فالرجل المبتلى بامرأة سيئة الخلق، والصابر على العيش معها كأيوب عليه السلام، والمرأة المبتلاة بزوج سيّئ الخلق، والصابرة على سوء أخلاقه وعنته وجوره كآسية بنت مزاحم التي صبرت على غطرسة فرعون.

ولكن قد يقول رجل أو امرأة، وما الداعي إلى كلّ هذا الصبر والتحمّل والعناء، ألا يمكن الخروج من هذا المأزق بالطلاق؟

نعم، يمكن ذلك، فكما أن حق الطلاق بيد الرجل، فإنّ الشرع المبارك جعله للمرأة أيضاً في حال اشترطته في عقد زواجها بالوكالة اللازمة عن الزوج، وقد يطلّقها الشرع على الرغم من زوجها. ولكنّ المسألة هنا تختلف، فقد لا يرى أحد الزوجين الحلّ في الانفصال، وقد يكون الإنفصال متعذراً، لاسيما إذا كانت هناك ذرية يخشى أحد الزوجين عليها الضياع، أو أنّه يأمل في صبره أن يعالج مشكلة شريكه بالتي هي أحسن وليس بأبغض

(١) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٤٧.

الحلال، وقد قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

ولعلّ السبب في تفجّر العنف المنزلي أحياناً سوء طباع الزوجة الشرسة، ولذا فمن غير الصحيح الحديث عن العنف المنزلي باعتبار الرجل هو المتسبب فيه دائماً، وإلّا ماذا يصنع الزوج مع زوجته التي تكذب دائماً، وتتحايل عليه، وتنافق، وتدبّر المؤامرات والدسائس من خلف ظهره، وتسرق أمواله، ولا تطيعه، ولا تسمع له رأياً، وتظلمه في حقوقه وكأنّه عدوّ وليس بحبيب أو زوج أو شريك حياة؟ وليس الطلاق أمراً سهلاً دائماً ليطلّقها.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ملعونة ملعونة: امرأة تؤذي زوجها وتغمّه، وسعيدة سعيدة: امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله**»[2]، وبالطبع إنها الطاعة في ما هو طاعة لله تعالى وما ليس فيه معصية.

وعلى هذا الأساس، فهناك صنفان متطرّفان من الأزواج والزوجات: هناك الزوجة التي لا تغفر لزوجها هفواته، بل تبحث عنها وتضخّمها. والزوجة التي تغدو شرطيّ تحرٍ وجاسوسة على زوجها، لا تتحمل منه أدنى خطأ وأقلّ أذى، وقد تبادر ـ خاصة في الغرب ـ إلى الاتصال بالبوليس لتأديبه، وكأن رؤيته مهاناً بائساً محطّماً يشفي غليلها.

---

(١) طه: ٢٠/١٣١.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٦. ص٢٨٠. ح٢١٥٥٥.

وهناك الزوج المتسلّط الذي يتحوّل إلى فرعون يتفنّن في تعذيب زوجته وإهانتها في البيت وأمام الآخرين.

وكلا الزوجين المتطرفين في سلوكهما إزاء الآخر لا يعتبران سويين، ولا يمثّلان القاعدة، وإلَّا فالعنف أبعد ما يكون عن علاقةٍ كتب الله لها أن تكون سكناً ومودّة ورحمة، ولكن ماذا يصنع الرجل بزوجة حمقاء جاهلة لجوج، وماذا تصنع الزوجة بزوج أرعن مستبدٍّ لا يعرف سوى لغة الشتيمة والصراخ والضرب؟ إذا لم يستطع الشريك الصبر والحكمة، وتكليف الحكمين من ذويهما للإصلاح والمعالجة، فلا يبقى أمامه إلَّا الطلاق.

النزاع المالي:

يحدث النزاع المالي بين الزوجين لأسباب عديدة منها:

أ) **الفقر**: فقد لا تطيق الزوجة فقر زوجها؛ فتناكده وتسوّد عليه عيشه، وتعين الزمان عليه، كما قال ذلك الأعرابي.

ب) **غنى الزوجة**: قد تكون المرأة ثرية والزوج فقيراً، وقد يحدث أن شعورها بالتفوّق يجعلها تتسلّط على البيت، ما يوقع الأسرة تحت قيادتين متنازعتين: مالية قوية، وأبويّة ضعيفة.

ج) **عمل الزوجة**: قد ترتأي المرأة تطوير حياتها الأسرية المالية بالعمل عندما يتعارض مع متطلبات الزوج؛ فيدخلان في صراع وعراك.

د) **بخل الزوج وإسراف الزوجة**: قد يكون الزوج بخيلاً أو الزوجة مبذّرة مسرفة، فينشب النزاع بين (**بخيل**) وبين (**مبذّرة**)،

وقد يرى البخيل الإنفاق المعتدل تبذيراً، وترى المرأة المسرفة الإنفاق العادل تقتيرا، وعلى مدى تقرير كلّ منهما للحالة يشتدّ النزاع أو يضعف، بينما يقول القرآن: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[1]. ونفهم من ذلك أن كلاً ينفق بحسب شأنه وموقعه الاجتماعي ضمن المتعارف..

وقد تعمد بعض الزوجات إلى زيادة الأثاث وتكديسه وتبديله بين الحين والآخر حتى بدون حاجة وضرورة، وانما للتظاهر والتفاخر ومنافسة الاغنياء، وتنسى أنّ **(القناعة كنز لا يفنى)** وأنّ الطمع والاسراف لا ينتهيان، جاء عن الإمام علي عليه السلام إنه قال: «**أنعم الناس عيشاً: من منحه الله سبحانه القناعة، وأصلح له زوجه**»[2].

الغيرة من الأخريات المترفات:

وقد تصاب الزوجة بالغيرة من النساء الأخريات وهنّ يلبسن المزيد الفاخر من الحلي والجواهر، وتتحسر وهي ترى أترابها يمتلكن الأثاث النفيس، والبيوت الفخمة، والسيارات الفارهة.. بينما تعيش هي وزوجها الكفاف.

وتبدأ الضغوط على الزوج المسكين شيئاً فشيئا، وحين لا يستطيع تحقيق أمنياتها؛ تسخط عليه وتجور في المعاملة، وتبدأ

---

(١) الطلاق: ٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

المشاكل البيتية، وربما تصل إلى الطلاق . . مع أن الأثاث والحلي والجواهر لا ترفع من مستوى الإنسان، وهي أمور شكلية. . وليست جوهر السعادة. . بينما الزوجة العاقلة ذات الفهم والثقافة والفضيلة تتجلبب بجلباب القناعة، وتتوجه إلى تحصيل المزيد من العلوم والكمال والرفقة الإنسانية الروحية والإنجازات الفكرية والعلمية في القيام بأدوار رسالية تخدم فيها المجتمع وبيتها وأسرتها، وتترفع عن شكليات البذخ والترف، أو تعمد إلى التدبير والتوفير للحصول على الأولويات، أو تباشر عملاً ومهنة شريفة لا تعارض حقوق الزوج.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[1].

جاء عنه ﷺ: «**من لم يتعزَّ بعزاء الله؛ تقطعت نفسه على الدنيا حسرات. ومن اتبع بصره ما في أيدي الناس؛ طال همّه، ولم يشفِ غيظه. ومن لم يعرف أن لله عليه نعمة إلَّا في مطعم ومشرب؛ قصر أجله ودنا عذابه**»[2].

وجاء عنه ﷺ كذلك: «**من كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على ما رزقه الله، وشقّت عليه وحمّلته ما لم يقدر عليه؛ لم يقبل الله لها حسنة تتقي بها النار، وغضب الله عليها مادامت كذلك**»[3].

وفي البلاد التي تجعل ذمة الزوجين المالية في التملك واحدة

---

(١) طه: ٣٠/١٣١.

(٢) تفسير الصافي على هامش الآية.

(٣) بحار الأنوار. ج١٠٣. ص٢٣٩.

والطلاق بيد الشريكين معاً، خلافا للإسلام الذي يجعل لكلٍّ منهما ذمة مستقلة والطلاق بيد الرجل، تبرز نزاعات وصراعات نفسية شديدة، ومنها خوف الزوج من أن تنتزع الزوجة نصف أمواله بالطلاق، ومبادرتها هي إلى الطلاق لتمتلك بشكل مستقل نصف أمواله على الرغم منه، ومن هنا عزف كثير من الرجال عن الزواج، واكتفوا بالصداقات الغراميّة..

الاستقلاليّة الماليّة:

هذا وتعتبر العديد من القوانين الحديثة أن ذمة الزوجين المالية متحدة في المال الذي ينتجانه خلال فترة زواجهما، إلّا إذا اتفقا على غير ذلك، فإذا جرى طلاقهما؛ تقاسما المال بالسوية، سواء أنتج أحدهما دون الآخر، أو أنتج أكثر، أو لم ينتج نهائياً، وذلك على أساس أنّهما اشتركا معاً في النضال في الحياة.

القوانين الإسلامية:

أما القوانين الإسلامية فإنها تقرّر التالي:

أولاً: تعتبر ذمة الزوجة مستقلة عن ذمة الزوج، فكل ما تنتجه من عملها وراتبها فهو لها، ولا يحق للزوج مطالبتها بشيء حتى لو تطلّقا، وكلّ ما ينتجه هو فهو له.

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[1]. فلكل منهما حصته التي أنتجها.

---

(١) النساء: ٤/ ٣٢.

ثانياً: إن مصروف البيت ونفقات الزوجة من غذاء وثياب وطبابة وسكن بالشكل اللائق، يقع على الزوج وحده دون الزوجة كواجب عليه بدون أي مِنّة، ولا يحق له إجبارها على الاشتراك في نفقات البيت والأطفال، بل تحتفظ بكل أموالها لها وتفعل بها ما تريد من أعمال مشروعة، وإن كان يستحب لها المشاركة في الانفاق لعموم الأدلة الشرعية في حسن الانفاق.

ثالثاً: لا يجب على الزوجة أن تصرف على زوجها، وإن كانت غنية وكان هو فقيراً، ويجب عليه أن يعمل أو يقترض ويسدّ نفقاتها وحاجاتها، فإن لم يستطع؛ كان لها إجباره على طلاقها عند الحاكم الشرعي.

رابعاً: يحق للزوجة أن تشترط في عقد الزواج أن يمنحها زوجها حق الخروج من البيت إلى العمل أو الوظيفة، ويحقّ لها أن تشترط عليه في عقد الزواج أنّه إذا طلقها أن يتناصفا ماليهما بالسويّة بما فيه مهرها، كما له الحقّ أن يشترط عليها ذلك أيضاً، وهكذا إلى سائر ما هناك من شروط تضعها هي أو هو إلّا شرطاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، لكن جواز أن يتناصفا المال في الطلاق يحتاج إلى تدقيق فقهي إضافي قبل البتّ به شرعاً، وهذه المعاملة قد يمكن تصحيحها بعقد الصلح والتسوية الشرعيّة المسبقة في عقد الزواج إذا رُفِعَ الغرر أو قبل به الطرفان سلفاً، وفي ذلك نظر أيضاً.

خامساً: لا يجب على الزوجة أن تخدم في بيت زوجها كالطبخ وغسل الثياب وخياطتها وتنظيف المنزل، ولكن يستحب

لها ذلك كإحسان وتفضّل منها، فإن لم تفعل كان على الزوج أن يفعل ذلك بنفسه، أو يأتي بخادمة، أو يدفع لزوجته أجرةً على عملها المنزلي، أو يتزوج بأخرى يشترط عليها أثناء العقد القيام بالتدبير المنزلي، ولكن الزوجة الحكيمة لا تترك خدمة البيت والتدبير المنزلي، بل تفعل ذلك تقرّباً إلى الله عزّ وجل وإسعاداً لزوجها، ولو طلبت مالاً إزاء عملها البيتي واتفقا على ذلك؛ جاز لها عند الطلاق مطالبته بكلّ أتعابها غير المهر والنفقة، ولكنها لو خدمت بيتها لوجه الله كان لها ثواب عظيم، ففي الأخبار أنّ أمّ سلمة زوجة النبي ﷺ سألت رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهنّ فقال ﷺ:

«إيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً؛ إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبّه!».

فقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: زدني في النساء المساكين من الثواب بأبي أنت وأمّي.

فقال ﷺ: «يا أمّ سلمة إنّ المرأة إذا حملت؛ كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزّ وجلّ. فإذا وضعت قيل لها: قد غفر ذلك ذنبك فاستأنفي العمل. فإذا أرضعت؛ فلها بكلّ رضعة تحرير رقبة من ولد إسماعيل»(١).

كما إنّ خدمة الرجل لعياله ممدوحة في الإسلام، جاء عن النبي ﷺ: **«يا علي لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»**(٢).

---

(١) البحار. ج١٠٣. ص٢٥١.

(٢) البحار. ج١٠٤. ص١٣٢.

الغيرة:

إنّ الزوج الذي لا يغار على زوجته، والزوجة التي لا تغار على زوجها، لا يعبّران عن حب حقيقي، فغيرة الزوج تدفعه للحفاظ على عفّة زوجته وكرامتها ووفائها للعلاقة الحميمة بينهما، وبالتالي حراسة بيته من العدوان الخارجي.

وغيرة الزوجة بمعنى حرصها على زوجها بالطريقة الطبيعية دلالة على أنّ الزوجة تتمسك بزوجها وتخشى أن تخسره، وهي تريده أن يحترم مشاعرها كما تحترم مشاعره، فلا يفضّل عليها غيرها حتى ولو على نحو الاستحسان اللفظي، ما لم يتزوّج بأخرى فعلا..

والغيرة غيرتان: إيجابية وهي التي أشرنا إليها، وسلبية وهي التي تعمي صاحبها، ولذلك ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان**»[1]. لأنّ عاطفة المرأة تطغى على سلوكها، فتنسيها في هذه الموارد الحكمة والتعقّل في حلّ المشكلة.

ولذلك فإنّ باب الغيرة إذا فتح، فإنّ مشاكل كبيرة وعويصة سوف تدخل منه، بحيث تنغّص الحياة الزوجية وتهددها بالانهيار.

جاء في الخبر: «**أن رجلاً ذكر للإمام الصادق عليه السلام امرأته فأحسن عليها الثناء، فقال له الإمام عليه السلام أغرتها؟ قال: لا. قال: فأغرها، فأغارها فثبتت** ـ أي صنع ما يدفعها للغيرة، فتماسكت ولم

---

(١) نهج البلاغة. الحكم. ص١٢٤.

تخرج عن حدود الأدب واحترام الشرع ـ **فقال ﷺ: هي كما تقول»**[1].

ويقال إنّ الغيرة إذا استبدّت بالمرأة، تجعل من ذلك المخلوق الوديع الجميل إنساناً شرساً قاسياً، فقد تلجأ إلى تفتيش جيوب زوجها لتبحث عن دليل إدانة ولو خطأ حتى تقنع نفسها أن غيرتها في محلّها، وقد تفسّر كلّ حركة من حركاته حتى البريئة بما يتراءى لها، وتعتقد أنّ وراء كلّ حركة من هذه الحركات امرأة، وقد تغالي في أسئلتها معه حيث تفتح تحقيقاً معه: أين كان؟ وأين ذهب؟ وكيف أمضى ليله؟ وكيف صرف نهاره؟ ومع من؟.. الخ.

جاء في الأخبار عن الإمام عليّ عليه السلام قال:

«بينا رسول الله ﷺ جالس ونحن حوله، إذ أقبلت امرأة كاشفة عن شعرها وعن نحرها وعن ساقها وعن قدميها، في درع ليس عليها غطاء، وزوجها جالس مع النبي ﷺ، فقام الرجل فألقى عليها ثوبه وهي تقول: يا رسول الله زنيت فأقِم عليّ الحدّ!! فقال زوجها: بأبي أنتَ وأمي إنّها غَيْرى. (أي مصابة بالغيرة وتدّعي الزنا لتثير غيرة زوجها أو لترجم وتستريح من الحياة من شدّة ألم الغيرة وكأنّها مجنونة)، **فقال رسول الله ﷺ: ما تدري الغيرى ما بأعلى الجبل من أسفله!** (أي تفقد صوابها)»[2].

---

(١) الكافي. ج٥. ص٥٠٥.
(٢) مستدرك الوسائل. ج١٤. ص٢٣٦.

من هنا وضعت الشريعة الإسلامية جملةً من الضوابط التي تحفظ أو تحصّن هذه الحياة المشتركة من مخاطر الغيرة ومداخلها وآثارها.

نموذج للمغالاة في الغيرة:

يقولون أن امرأة كانت تنحني على حذاء زوجها كل يوم صباحاً لتربطه بنفسها بطريقة خاصة لا يلتفت إليها الزوج، فإذا جاء عصراً من العمل انحنت مرة ثانية وفكّت رباط حذائه بعناية وهو يعتقد أنها تفعل ذلك احتراماً له ومودّة واهتماماً، حتى اكتشف فيما بعد أنها كانت تدقق وتحقق في أحذيته لتتأكد هل ذهب إلى مكان آخر غير عمله عند غيابه عن البيت، وتحديداً هل فك رباط حذائه في مكان ما!

والواقع أنّ ذلك دليل غيرة المرأة على الرجل، وغيرتها عليه تدل على حبها له واهتمامها الزائد به إلى أقصى درجات الخوف والقلق، وقد تعذر المرأة في بعض حالات غيرتها، شرط أن لا تصبح الغيرة مرضاً وتنحرف عن شروط المحبة والاهتمام بالزوج لتصبح حالة نرجسية أنانية خانقة قاتلة، وحينئذ يصح في حقها أن غيرة المرأة كفر، أي كفر عملي بالأخلاق الزوجية الإسلامية يؤدي إلى معصية الله، والقيام بأعمال محرّمة شرّيرة، وتعمّد التجرؤ على الله عزّ وجل.

وهكذا غيرة الرجل، فإنها محمودة لأنها سبب حماية المرأة، شرط أن تقف عند حدود الشرع ولا تصبح مرضاً يجعل الزوج يتّهم البريئة ويجرّمها، فيدمّر نفسية المرأة وكرامتها. فإن كانت

غيرة الرجل في الحدود المشروعة؛ فهي ظاهرة إيجابية وتركها مبغوض، فعن رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يبغض الرجل الذي لا غيرة له**» و«**الغيرة من الإيمان**»[١].

التغزّل بغير الزوجة:

المعروف أنّ الشرع يمنع الرجل من التغزّل بغير زوجته، ويحرّم النظر إلى غيرها من النساء برغبة وشهوة.. والنظرة سهم من سهام الشيطان.. يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[٢]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٣].

عن النبي ﷺ: «**من أصاب من امرأة نظرة حراماً؛ ملأ الله عينه ناراً**»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة؛ تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة**»[٥].

وعنه عليه السلام كذلك: «**النظرة سهم من سهام إبليس مسموم**»[٦].

إن النظرة المشتملة على الرغبة الفحولية، وتحديق النظر في النساء وجمالهنّ يصيب الإنسان بالحسرة، لأنّ النفس ترغب بكل

---

(١) بحار الأنوار. ج٧١. ص٣٤٢.
(٢) النور: ٢٤/٣٠.
(٣) النور: ٢٤/٣١.
(٤) مستدرك الوسائل. ج١٤. ص٢٧٠.
(٥) وسائل الشيعة. ج١٤. ص١٣٩. ب١٠٤. ح٦.
(٦) المصدر نفسه. ص١٣٨. ب١٠٤.

النساء الجميلات، ولا تمتلئ النفس بواحدة، والمثل يقول: لو تزوج الرجل كل نساء الدنيا، وبقيت واحدة؛ لبحث عنها.. إنّ النفس ما لم تتحلَّ بالقناعة لا تشبع، وبالتالي فإنّ زير النساء يبقى في حسرة وألم وبحث وترقب دون جدوى، وبذلك يخسر البهجة البيتية والتمتع بجمال زوجته الهادئ وخفاياه المستترة الجذّابة، مثلما يخسر بهجة نوال ما ليس تحت يده، فهو في حيرة وحسرة دائمة.

ويصف الإمام علي عليه السلام هذه الحالة كما في (نهج البلاغة) بقوله: «**إن أنظار هذه الفحول طوامح**»، أي تطمح إلى ما ليس تحت يدها.

إن على كلّ من الزوجين تجنّب النظر بريبة وشهوة إلى الجنس الآخر غير الشريك، ذلك أنّ من مداخل الغيرة السلبية الواسعة هي هذه النظرات، وقد اعتبرت نظرة الزوج بشهوة وتلذّذ إلى غير الزوجة، ونظرة الزوجة بشهوة وتلذّذ إلى غير الزوج، محرّمة في الإسلام، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «**اشتدّ غضب الله على امرأة ذات بعل (زوج) ملأت عينها من غير زوجها**»[٢].

إفساد الزوجة على زوجها:

ما أتعس ما يفعله بعض الأهل بسبب اندفاعهم العاطفي

---

(١) النور: ٢٤/ ٣٠-٣١.

(٢) البحار. ج١٠٤. ص٣٩.

بتشجيع ابنتهم على ترك بيت زوجها عند أي نزاع، بدل تهدئة الحال وتشجيعها على الصبر والمغفرة لزوجها وإحاطته بالعاطفة والمحبة..

وكذا ما تفعله بعض صديقات الزوجة الجاهلات أو الحاقدات على الرجال..

وما أتعس الصهر الذي لا يستفيد من حكمة الكبار من أهله وأهل زوجته، ولا يقدّر لهم اهتمامهم ورعايتهم وعاطفتهم، أو يفكّر في ما يقدمونه له من نصائح، ويوازن بينها وبين ظروفه ويأخذ الأنسب أو المناسب، ولا يغفر لهم أيضاً اندفاعهم وتعجّلهم ومواقفهم المرتجلة أحياناً التي لا تنطلق عن سوء نية بقدر ما تنطلق من العاطفة تجاهه أو تجاه ابنتهم.

إن الأهل الذين يشجعون ابنتهم على ترك بيت الزوجية، أو الزوج الذي يطرد زوجته من بيت الزوجية، قد يقعون في ذنب وإثم يستوجب عذاب الله، يقول تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[١].

وفي خبر المناهي عن رسول الله ﷺ قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها**»[٢]، للاشارة إلى الخروج المسيء لأخلاق الزوجة ولسمعة زوجها.

ويوجد في الأحاديث والأخبار التشديد على أن لا تخرج

---

(١) الطلاق: ٦٥/١.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٤. ص١١٢.

المرأة من بيتها بدون إذن زوجها، وهذا التشديد ينمُّ عن خطورة الفعل وتأثير الخروج من البيت على الحياة الزوجية والأسرة، ما قد يؤدي إلى تفاقم المشكلة، وتخريب كلٍّ من أهل الزوج والزوجة لولده، ثم يتشاجر الطرفان ويحتدم النزاع وقد يؤدّي إلى الطلاق حين يتعصّب كل طرف لطرفه كما يحدث في أحيان كثيرة، بينما إذا بقيت الزوجة في البيت فإنّ أموراً كثيرة يمكن استصلاحها بهدوء..

وقد ناقشت الشريعة هذه المشكلة من خلال النقاط التالية:

أ) لا يجوز خروج الزوجة من بيت زوجها فيما إذا أثّر ذلك على متطلبات الزوج الشرعية وسعادته في الاستئناس والمفاكهة، ويجب عليها طاعته في البقاء في البيت مع حاجته لها، أمّا في غير ذلك كما لو كان خروجها لا يؤثّر على حقوقه ولا على كرامته، فإنّ البعض يذهب إلى جواز خروجها بدون إذنه، ولكن البعض الآخر يوجب عليها الاحتياط لدينها وأخذ الإذن منه حتى في هذه الحال.

وفي ذلك وردت رواية مصحّحة، وهي رواية علي بن جعفر الصادق عليه السلام عن أخيه موسى الكاظم عليه السلام، قال: «**سألته عن المرأة ألها أن تخرج بغير إذن زوجها؟ قال: لا..**»[1].

وفي صحيح ابن مسلم عن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «**ولا تخرج من بيتها إلّا بأذنه**»[2].

---

(١) نفسه. ص١١٣.

(٢) بحار الأنوار. ج٥. ص٥٠٦.

وأما إذا لم ينفق عليها زوجها، فإنّه يجوز لها الخروج للعمل فقط ولو بدون إذنه لتنفق على نفسها أو تطالبه بالنفقة ثمّ بالطلاق.

ب) لا يجوز طرد الزوج لزوجته خارج البيت، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[(١)]. كما لا يجوز للزوجة أن تطرد زوجها من بيته باستدعاء الشرطة، لأننا سنأتي على كيفية أو طرق حلّ الخلاف مع الزوج دون اللجوء إلى هذا الأسلوب الذي فيه مهانة وفضيحة، والكسر الذي يصعب جبره.

ج) كما لا يجوز في المقابل أن يخرج الرجل من البيت لوقت طويل، ويترك زوجته وأطفاله بدون نفقة.

ازدراء الشريك:

لا شكّ أنّ إهانة الزوج الصالح المستقيم الكريم أو الزوجة المخلصة المستقيمة عمل شائن حين يصدر عن الشريك الآخر، فعن رسول الله ﷺ: «**أيّما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت قطّ من وجهك خيراً؛ فقد حبط عملها**»[(٢)].

ذلك أنّ من أخطر ما يهدّد سلامة الحياة الزوجية أن يزدري أحد الشريكين شريكه، أو يعيّره بأمر من الأمور، أو ينتقص من شخصيته على انفراد أو بحضور الآخرين، وفي الحالة الثانية تكون الخطورة أشدّ.

(١) الطلاق: ٦٥/١.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٤. ب٨٠. ح٧. ص١١٥.

فالاحتقار والازدراء والنظر باستصغار إلى الزوج أو الزوجة يجهض قوى الشريك، ويسحق شخصيته ويفرغها من كلّ حيويتها ونشاطها، ويشكّل مدخلاً إلى فشله في الحياة الزوجيّة إذ استمرّ.

إن تدمير شخصية الشريك وإسقاطها لاشكّ أنّه إثم، لأنّه تحقير لإنسانية إنسان وظلم، وسوف ينعكس على التعامل مع الأسرة، ويواجه من الشريك الآخر بردّ فعل ربّما أشدّ..

إزدواجية الشخصيّة:

كثير من الرجال والنساء يتجمّلون في الخارج، ويراعون أقصى لياقات الأدب والأخلاق وحسن المظهر ودقة الكلام ورقته، ويتسابون في الحديث والمسامرة مع الآخرين، فإذا جاؤوا إلى بيوتهم عبسوا وقطّبوا جبينهم وسكتوا عن الكلام اللطيف، فينفر منهم الشريك، ويصمت الأولاد، ويتحول البيت إلى (خستابو) ألماني ومعتقل للخوف والرهبة.

ما ذنب العائلة والأطفال؟ ولماذا يعطي الرجل بشره وحسن أخلاقه للخارج، ويحرم منه أسرته وأطفاله؟ ولماذا تعطي المرأة رقتها ولطفها وسمرها للخارج، وتمنع عنه زوجها وأطفالها؟ إنها محنة الازدواجية المتناقضة بين شخصيتين: شخصية البيت العابسة المقطبة الشديدة، وشخصية الخارج الناعمة المتسامحة الرقيقة، والشريك ذو الشخصيّة المزدوجة هنا لا يجد نفسه متحقّقة في بيته ولا يحقّق ذاته في أسرته، بل يجد نفسه ويحقّق ذاته خارج أسرته، وذلك مصداق ما ورد عن النبي ﷺ: «**أشقى الناس: من شقي أهله به**».

ماضي الشريكين:

قد يدلّس أحد الزوجين على الآخر حين يتحدّث ويلفّق أكاذيب يدفن بها سلبيّات ماضيه، بدل أن يطوي صفحة ذلك الماضي ويعرض عنه احتراماً لشريكه، والمشكلة إذا اكتشف الشريك كذب شريكه وتدليسه ولم يغفر ولم يستر، فإنّ الأمر سيتفاقم، خصوصاً إذا كان ذلك الماضي مشيناً جداً، وعلى الإنسان الحصيف بتّ مسألة الحديث عن الماضي قبل الزواج فيتّفق الخطيبان على كشف الحقيقة، أو يتفقان على عدم التطرّق إليها بتاتاً، وعدم إعارتها أيّ أهميّة إذا كشفها أحد أمامهما في المستقبل، فإن أفصحا عنها قبل الزواج فإمّا أن يُقبلا على الزواج وإمّا أن يُعرضا عنه وينتهي الأمر. وإن لم يفصحا عنها قبل الزواج فعليهما أن يتركا أو يسكتا عن الحقيقة والماضي كلياً بعد الزواج، ولا يحقّ للشريك أن يعيّر شريكه بعد ذلك بالماضي لأنها مرحلة انطوت وهي تعني الشريك وحده، ولا علاقة للآخر الحالي بها، والتوبة تجبّ وتغسل ما قبلها، وتبعث إنساناً جديداً أصلح نفسه وغيّر حياته وسلوكه واتّبع منهجاً جديداً مستقيماً فأصبح طاهراً مطهراً مادام قد نفّذ كل متطلبات التوبة، هذا إذا لم يكن للماضي تأثير فقهي، كما لو كان الماضي يحرّم الاستمرار في الزوجية، كما لو لم تكن مطلّقة طلاقاً صحيحاً من زوجها السابق، فلابدّ لهما هنا من الانفصال لأنها لازالت زوجة لرجل آخر شرعاً.

إنّ الحديث عن الماضي الشائن أمرٌ حسّاس للشريك الآخر، كذلك الحديث عن إيجابيات زوجة سابقة أو زوج سابق يغيظ الشريك الحالي ويجرحه، والأصحّ أن لا يتحدّثا كثيراً عن

إيجابيات أو سلبيّات التجربة السابقة، إلّا عند الضرورة المفيدة مع تجنّب الغيبة المحرّمة.

إنّ بعض الأزواج يحنّ إلى الماضي، ويعيش في حلمه بدل أن يكون واقعياً ويأنس بحضور شريكه الحالي، ويتفاعل معه.

لا تدعا الماضي يلقي بظلاله القاتمة على ساحة الحاضر، فيسبب لكما الأذى والألم. أطويا الماضي، وعيشا حياتكما الحاضرة بكلّ وهجها وسعادتها، واستكشفا مكامن الجمال والخير الجديد الإيجابي في حياتكما.. ما مضى فات، ولكما الحاضر الذي أنتما فيه، ولكلّ شخص مميّزاته وخصائصه الفريدة التي تختلف عن الشريك الماضي.

الإخلال بالواجبات الدينية غير الزوجية:

يحصل أن يهمل الشريك واجباته الشرعيّة كإهمال الصلاة والصوم، وقد يفعل المحرّمات فيشرب الخمر ويلعب الميسر وتتفاقم المشكلة بين الطرفين.

من الناحية الشرعية لا يحقّ للزوج منع زوجته عن العبادات الواجبة كصلاة الفرائض اليومية وصوم شهر رمضان والحجّ الواجب، ويحقّ له منعها من العبادات المستحبّة كالصوم المستحبّ والحجّ المستحبّ إذا أدّى ذلك إلى منعه حقّه الزوجي.

كما يحقّ لكل من الزوجين الضغط على الشريك لأداء الواجبات الشرعية ولبس الحجاب للمرأة، وتجنّب المحرّمات

كشرب الخمر والبيرة ولعب القمار واستعمال المخدرات، وأكل لحم الخنزير والميتة والقيام بأعمال إجرامية.

ونحن نفضّل إقناع الشريك في السرّ وفق الالتزامات الأخلاقية والشرعية بدلاً من الضغط والإجبار، لأنّ الإقناع يحقّق المداومة على العمل، أمّا الضغط فسرعان ما يتفلّت الإنسان من عقاله في السرّ ويتحلّل منه بمجرد غياب الرقيب.

التعامل الأمثل في مثل هذه الحالات هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما الشرعية، والتفاهم بالحكمة والمودّة، لا التسرّع وحسم الأمور بالغلظة والعنف دائماً، فإنّ الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، كما جاء في الحديث.

إساءة فهم الأحكام الشرعية وتطبيقها:

كثيراً ما تؤدّي إساءة فهم الشريعة والخلل في تطبيقها إلى نشوب مشكلات زوجية حادّة، وحجّة كلّ من الزوجين، الشرع الذي يعدّ في مثل هذه الحالات الضحيّة، لأنّ كلاً منهما يفسره على ذوقه وهواه.

والحال أننا يجب أن نفهم الأحكام الشرعيّة بدقّة (كما هي) أي بنصّها وروحها، لا بنصّها فقط، ولا نفتي من عند أنفسنا، وينبغي أن نستفيد من حكمتها وجوهر فلسفتها، لا أن نتعامل مع قوانين الإسلام والدين بعقلية تعسّفية تجهضها من هدفها الذي شرّعت له؛ والمقياس الأخير: فتوى المرجع الفقهي الأعلم وتفسيره.

إنّنا ندعو الزوجين إلى فهم قوانين الشريعة وتطبيقها من خلال روح الإسلام ومقاصده الكلّية، وهي تنمية الحياة وحمايتها وحفظ الإنسان وكرامته وسموّه وارتباطه بالله عزّ وجل، واطمئنان الحياة الأسرية واستمرارها، ذلك أنّ إساءة فهم الإسلام وسوء تطبيقه يعادل الجهل به أو التخلّي عنه عملياً.

تعدّد الزوجات:

لقد اعتبر الإسلام التعدّد جائزاً في سياق شروط لحلّ مشكلة لا لتعقيدها، وذلك على أساس العدل بين الزوجات، كما أنّه قلّص التعدّد من الكثرة التي كانت شائعة عند الناس، إلى التحديد، فالواحدة.

فلو لم يتحقّق العدل بينهنّ في الحقوق الشرعيّة، أو تأكّد الزوج من عدم تحقيق العدل، فلا يحقّ الزواج بأكثر من واحدة.

فحقّ الرجل بالزواج بأكثر من واحدة ليس في المطلق، بل هو مشروط بالعدالة ومتطلباتها المادية والسلوكية، وإذا تعذّرت فلابدّ من الاقتصار على واحدة. قال تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[1].

والتعدّد ليس مقتصراً على المسلمين ـ مع أنّه قليل جداً عندهم في هذا العصر ـ فإنّ التوراة الحاليّة (العهد القديم) أشارت إلى الزواج بأكثر من واحدة كما فَعَلَ جدعون (قض٣٠:٨) وشاول (٢صم ١٣ : ٥) وداود (٢صم ٨ : ١٢) وسليمان. بل أجازت هذه

---

(١) النساء: ٤/ ٣.

التوراة الزوجة الثانية وسمّتها السريّة، كزوجة ثانية شرعيّة أقلّ من الزوجة الأولى التي تعتبر سيّدة البيت. . أجل حرّمت المسيحيّة (السريّة) وأوجبت بنصوصها أو بروحها الواحدة، لكن هناك طائفة (المورمان) المسيحيّة التي تعيش في أميركا تؤمن بالتعدّد حتى لأكثر من أربع زوجات وتطبّقه، ولقد عرض التلفزيون الأميركي أحد رجال هذه الطائفة وقد تزوّج تسع نساء منهنّ المحاميات والموظّفات، وكلّهن يعشن في منطقة واحدة ويأكلن سوية، ويؤمنن بتعدّد الزوجات، ويعتبرن أنّ ذلك مريح للمرأة في حياتها البيتية، حيث تقوم بالطبخ وتدبير المنزل مرة واحدة كل تسعة أيام بحسب عدد الزوجات. وتعدّد الزوجات ـ لا تعدّد الأزواج ـ هو الشائع في أنحاء العالم، نظراً لحاجة المرأة إلى معين، وفي الدول التي يحدّد القانون فيها الزواج بواحدة، تنتشر المصاحبات وتستشري العلاقات الجنسية السريّة أو المحرّمة بين الجنسين، ويشيع الفساد الأخلاقي وكثرة المواليد بدون آباء، ممّا يفوّت على المرأة حقوقها الشرعيّة والقانونية التي رتّبها الإسلام على الرجل ولاسيما عند تعدّد الزوجات، لذا فإنّ منع تعدّد الزوجات قانونياً هو ضدّ حقوق أكثر النساء، ويؤدّي إلى المزيد من الفحشاء والأمراض الجنسيّة، وزيادة العوانس في المجتمع.

وربّما تثير بعض النساء سؤالاً فحواه: إذا كان التعدّد جائزاً، فلماذا نرى أنّ الرسول محمداً ﷺ لم يتزوّج على خديجة (رض) وأنّ علياً عليه السلام لم يتزوّج على الزهراء عليها السلام في حياتهما؟

وتغفل السائلة أنّ التعدّد تشريع بالجواز وليس بالوجوب،

وإلَّا كان كلّ الرجال قد تزوّجوا مثنى وثلاث ورباع. وقد جمع الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام بين التشريعين، أي الاقتصار على واحدة في فترة وعلى التعدّد في فترة أخرى، فإذا رأى الرجل سعادته مكتملة مع زوجته، ولا يستطيع العدل بينها وبين أخرى، وأنّ حياته سوف ترتبك، فلِمَ الأخذ برخصة التشريع، والقرآن يقول له بصريح العبارة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[1].

الخيانة الزوجية:

الخيانة تصدق على الإخلال بالعهد إما مع الله عزّ وجل أو مع البشر.. وعقيدة الدين مأخوذة في الأساس من العقد والأبرام، وهو أن يعقد الإنسان ويبرم العهد والميثاق مع الله جلّ وعلا في إطاعته، فعندما يعصيه عالماً عامداً؛ فقد خان عهد الله في ذلك الأمر.

يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠﴾[2].

والخيانة الزوجية خيانتان:

الأولى: خيانة عهد الإيمان والمعتقد، وحفظ عهود الزوج وحرمة خصوصياته، وهذا ما فعلته امرأة نوح وامرأة لوط، فقد خانتا العهد بهذا المعنى، ولم تخونا في الشرف والعفّة.

(١) النساء: ٣/٤.

(٢) التحريم: ٦٦/١٠.

الثانية: خيانة في العفّة والارتباط الزوجي، وهذا هو الذي يخصّ موضوعنا هنا.

قد يحكم الزوج على زوجته بالخيانة لمجرد أن يرتاب من تصرّفاتها، وقد تكون هي غير ملتفتة إلى ذلك، وكثيراً ما تحكم هي عليه بالطريقة نفسها. غير أنّ الأمر ليس بهذه السهولة المتصوّرة، فإنّ الخيانة الزوجية بمعنى إقامة علاقة غير شرعية مع شخص آخر، سواء وصلت إلى حدود المواقعة الجنسيّة أم لم تصل، ولا تثبت الخيانة بمجرد تصرّف معيّن يثير الشك، كما لو رأى زوجته تكلّم شخصاً آخر في الطريق أو تمشي معه.

إنّ الخيانة الزوجية ـ في حال الزنا ـ تثبت بواحد من ثلاثة أمور:

الأول: إقرار الزوجة وهي في تمام عقلها ووعيها بالزنا.

الثاني: المشاهدة المحسوسة من قِبَل الزوج، وهي أن يرى الزوج خيانة زوجته بنفسه، أي وهي تمارس العملية الجنسية مع رجل آخر. وإن نفت ذلك وكذّبت كلامه؛ فلا تثبت الخيانة بمجرد ادعاء الزوج، بل لابدّ من ذهابها إلى القاضي الشرعي المسلم ليسمع منها، حيث يتواجهان هناك وجهاً لوجه، ويطلبان من الله إنزال اللعنة والغضب الإلهي على الكاذب منهما، ثم يفرّق القاضي بينهما بالملاعنة الشرعية.

الثالث: أن يشهد أربعة شهود عدول عند القاضي الشرعي، أنّهم رأوا الزوجة بالمشاهدة المحسوسة تمارس الخيانة، وشاهدوا الميل في المكحلة ـ حسب النص الشرعي الذي يعني الزنا تحديداً

ـ وحينئذ يثبت الجرم وتستحقّ العقوبة. وغير خافٍ أن هذه الحالات من أشدّ الحالات عسراً في التحقيق والإثبات. فمن أين يمكن أن يجتمع أربعة شهود عدل وليس شهوداً عاديين، ومن هما الشخصان المهووسان اللذان سيمارسان المسافدة أمام أعين المشاهدين ويستمرّان في ذلك حتّى يستطيع الجمهور أن يُحضِر أربعة شهود عدل؟!!

لقد شدّد الإسلام الطوق على طرق إثبات هذه الفاحشة وجعلها بعيدة المنال جداً حتّى لا يشيع الاتهام بها جزافاً بين الناس، ولا يسهل قذف أحد بهذه الجريمة نظراً لأن فعلها وأثرها الاجتماعي شنيع، وعقابها فظيع، وترك عقابها ذو أثر على المجتمع خطير.

وعلى كلّ حال لابدّ للزوجة من أن تكون حذرة في كلامها مع الرجال وفي انفتاحها عليهم وفي لبسها وتصرّفاتها وزياراتها وعلاقاتها واتصالاتها الهاتفية وغيرها، حتى لا يفهم من تصرّفاتها على أنّها خيانة للزوج، وحتّى لا تكون كذلك في الواقع، وحتى لا يجرّها الرجال الدهات إلى الفخّ، وعلى الرجل أن يكون حذراً في ذلك كلّه مع النساء حتى لا يقع في جرم الزنا والفحشاء؛ فيواجه العقاب نفسه.

الاتهام على الأوهام:

من جهة أخرى، فإنّ بعض الرجال يبنون ظنونهم على الأوهام والتصوّرات والانفعالات، ويتهمون زوجاتهم البريئات الطاهرات بدون مماسك شرعية كافية، كالرؤية المباشرة

للخيانة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾[١].

وأحياناً تقع النساء في هذا الخطأ في اتهام أزواجهنّ نتيجة الأوهام والتلفيقات وألاعيب نساء أخريات يهدمن البيوت بثرثرتهنّ وخبثهنّ ومكائدهنّ.

ومهما يكن فإنّ أيّ عمل مريب فعلاً يصدر من الزوجة يقتضي المبادرة من الزوج بالتدقيق والتحقيق فيه.

لقد طرحت إحدى النساء ذات مرّة سؤالاً فحواه: هل يصحّ شرعاً لمتزوج أن يتكلّم على الهاتف مع متزوجة في أمور غير متعلّقة بالعلم أو العمل، ويطيل معها الكلام والضحك؟

والجواب: لا يجوز مع التلذّذ الجنسي. ومع افتراض حسن النيّة وعدم التلذّذ فإنّ ذلك لا يليق بالزوج المتدين والزوجة المتدينة من باب المكروهية في الأداب والتهذيب لا من باب الحرمة؛ وإذا كان فيه مظنّة الفساد والوقوع في الحرام بحيث يفضي بالتأكيد إليه ويتولّد منه فلا يجوز حينئذٍ لحرمة مقدمة الحرام التوليدية، وجاء في الأخبار استحقاق العذاب لمن فَاكَهَ امرأة لا يملكها، ومن ملأ عينه من امرأة حراماً.

ولتجنّب حياكة الأوهام بين الزوجين ننصح أن يخبر كلّ منهما الآخر بأهمّ أعماله وزياراته، أثناء غيابه عن البيت، وأن يصدّقه الطرف الآخر ويُحسن به الظنّ، وبذلك تبنى الثقة ويسود

---

(١) النور: ٢٤/٢٣.

التفاهم والودّ بين الزوجين من هذه الجهة، ولا يعني ذلك أن يقدم كلّ منهما تقريراً تفصيلياً وكشفاً استخباراتياً إلى الآخر، وإنّما لأنّ الثقة التي تبنى خلال سنيّ العشرة الطويلة يجب عدم التفريط بها حينما تظهر في الأفق بعض الأوهام والغيوم أو التخوفّات.

الخيانة في نظر الشريعة:

تتحقّق الخيانة لأحكام الله عزّ وجل في الحياة الزوجية وغيرها في الشرع الإسلامي بزنا أحد الزوجين عالماً عامداً، ولا تتحقّق بزواج الزوج من امرأة ثانية زواجاً شرعياً دائماً أو مؤقتاً. وقد نهى الإسلام نهياً شديداً عن اقتراف الزنا: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾[1].

وقال أيضاً: «**عفّوا عن نساء الناس؛ تعفّ نساؤكم**»[2].

إنّ أسباب الخيانة في الحياة الزوجية كثيرة، يلعب سوء تعامل الشريك وأخلاقه الفظّة دوراً كبيراً فيها، ومنها عدم اهتمام الشريك بمظهره وهندامه ورائحته، ومنها انصرافه عن الاهتمام بشريكه وعدم إشعاره بالحبّ والحنان، فلابدّ قبل البحث عن الأسباب الخارجية الداعية إلى الخيانة، أن يهتمّ كلا الزوجين بدراسة الأسباب الداخلية، فقد تكون هي المحرّض الأكبر على ذلك.

---

(١) الإسراء: ١٧/٣٢.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٣. ص١٩.

علاقة الزوجين بأهلهما:

ونظراً لارتباط موضوع الخلافات الزوجية بموضوع آخر وثيق الصلة به، وهو علاقة الزوجين بأهل كلّ منهما، لذا ارتأينا أن نقدّم الحديث عن هذه العلاقة، لتكون بمثابة المدخل لحلّ الخلافات الزوجية. ويجب أن لا يغيب عن بالنا، أن هذه العلاقة الأهلية قد تكون هي ذاتها سبباً للعديد من المشاكل، خاصة إذا كان تدخّل أهل الزوجين وغالباً الأمهات، أي أم الزوج أو أم الزوجة، في حياة الزوجين تدخّلاً سافراً ومؤثراً تأثيراً سلبياً على سير العلاقة الزوجية التي ربّما لم تكن تشتكي من مشكلة ما إلّا حينما تدخلت أم الزوج أو أمّ الزوجة ليفسدا حياة الزوجين معتقدتين إنهما تقومان بعمل مفيد، إمّا بسبب الجهل، أو التحيّز والتعصّب أو البساطة الزائدة، فتفسد أحداهما الأمر من غير قصد.

يُحكى أن رجلاً اشترى رأسين لخروفين مطبوخين فوضعهما بين يدي امرأته وقال: اقعدي لنأكل، فأخذت رأساً فوضعته خلفها وقالت: هذا لأمي. فأخذ الرجل الرأس الآخر ووضعه خلفه، وقال: هذا لأبي.. قالت: فماذا نأكل؟ قال: ضعي رأس أمك، وأضع رأس أبي فنأكلهما!!

ومغزى هذه الطرفة أن على الزوجين فضّ نزاعاتهما المتعلّقة بالأهل بنفسيهما، وأنّ الأولويّة في الحياة الزوجيّة لهما وأن يتركا شأن أهلهما لأهلهما.

وهذا لا يعني أن يتجاهل كلّ من الزوجين أهله والبرّ بهم، بل يعني: فصل خصوصيات الحياة الزوجية عنهم ليرتاح الكلّ.

الارتباط السلبي بالأهل:

يشكو كثير من الأزواج من خضوع زوجاتهم لأهلهنّ دون الزوج، ويشعر الزوج وكأنه مقترن بكل الأهل.. وتشكو كثير من الزوجات من عدم استقلالية الزوج، وتشعر الواحدة أن قرارات بيتها لا تصدر من زوجها، بل من أهله..

هذه الظاهرة، وهي ظاهرة ارتباط الشريك بأهله أكثر من ارتباطه بشريكه، تظهر في بداية الزواج، وهي طبيعية، وتتلاشى بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والسبب أنّ الحالة النفسية للشريك الذي عاش سنوات طويلة مع أهله لا يمكن انتزاعها بين عشية وضحاها من بين أجواء أهله وأصدقاء عمره الذين عاش معهم ليندمج في شريكه، ما لم تمرّ أشهر طويلة وأحياناً سنوات من التوافق والمحبة والتقارب والتجارب والمرونة وغض النظر عن الأخطاء بين الزوجين ليندمجا بعد ذلك تماماً في وحدة روحية، ويستقلا عن عائلتيهما.

وكلما كان الشريك مثقفاً واعياً لمسؤوليات الزواج والشراكة ودوره؛ كان أسرع اندماجاً في شخصية شريكه. وكلما كان أقل ثقافة ووعياً وعاش مع أهله حياة أطول؛ كان أبطأ في التفاعل مع شريكه..

وفي هذا الوقت، على الشريك أن يساعد شريكه في التواصل مع أهله بحكمة، حيث يشكل هذا التواصل عزاءً روحياً للشريك الذي انقطع عن أهله فجأة، ودخل في عالم الزوجيّة.

إن عملية التواصل هذه في حدود ما أمر الله به من البرّ

بالوالدين وصلة الرحم يجب أن تبقى إلى آخر الحياة.. فقد جاء في الحديث عنه ﷺ: «**من سرّه أن يُمدَّ في عمره، ويزداد في رزقه؛ فليبرَّ والديه وليصل رحمه**»(١).

وعلى الشريك أن يكون حكيماً في التوازن بين نفوذ أهله وبين نفوذ زوجته في حياته الزوجية.. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾(٢).

وجاء في الحديث: «**أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال ﷺ: هما جنّتك ونارك**»(٣).

وعن النبي ﷺ: «**برّوا آباءكم؛ يبرّكم أبناؤكم**»(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان؛ لم يقبل الله له صلاة**»(٥).

وعنه عليه السلام كذلك: «**لو علم الله شيئاً أدنى من ﴿أُفٍّ﴾ لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر إلى والديه فيحدّ النظر إليهما**»(٦).

---

(١) ميزان الحكمة. ج١٠. باب الإحسان إلى الوالدين. ص٧٠٨.
(٢) الإسراء: ١٧/ ٢٣. ٢٤.
(٣) الترغيب. ج٣. ص٣١٦.
(٤) ميزان الحكمة. ج١٠. ص٧٠٩. ح٢٢٣٧٤.
(٥) أصول الكافي. ج٢. ص٣٤٩. ب١٤٣. ح٥.
(٦) المصدر نفسه.

نقول هذا، وفي الوقت ذاته نوصي الأهل أن يرحموا ولدهما وابنتهما، وأن لا يكلّفوهما أكثر من طاقتهما في الضغط عليهما وتنكيد حياتهما، وفي الحديث: «**رحم الله والداً أعان ولده على برّه**»[1].

الكنّة التي خطفت الولد!! والصهر الذي خطف البنت!!:

إنّ بعض الأمهات يشعرن كأنّ (الكنّة) خطفت ابنهنّ وحرمتهنّ سعادة الاختصاص به، لأنها هي التي ربته وسهرت الليالي عليه، حتى إذا بلغ وأينع شبابه؛ جاءت امرأة أخرى فأخذته منها بسهولة وسعدت به وتركت أمه تقتات الحسرة والوحشة! وهكذا تشعر أمّ الزوجة أنّ (صهرها) خطف ابنتها منها وحرمها من بهجتها.

وهذا الشعور النفسي من أهمّ أسباب العداء أحياناً بين أمّ الزوجة و(الكنّة) وبين أمّ الزوجة و(الصهر)!! خصوصاً إذا أدار الولد ظهره إلى أمّه واتّبع زوجته، وأدارت الزوجة ظهرها لأمّها واتّبعت زوجها.

لكن هذه الأم تنسى أنها هي أيضاً استقلت بزوجها عن أمه، وأنّ هذه هي سنّة الحياة، وأنّ الأم يجب أن تتخلّى عن أنانيتها وأن تشعر بالسعادة مادام ابنها أو ابنتها سعيدين في حياتهما.

إنّ الأهل يتصوّرون أنّ ولدهما يطيع زوجته بشكل أعمى وأنه لا شخصية له، بل إن شخصيته اضمحلّت وامّحت أمام شخصية

(١) البحار. ج١٠٤. ص٩٨.

زوجته إلى آخر هذه الاسطوانة، فيثورون من أجل الدفاع عن ولدهم بحجة حماية شخصيته وحقوقه وموقعه الرجولي في البيت!! ويصبحون (ملكيين أكثر من الملك) بحجة أن ولدهم قاصر قليل التجربة ولم يدرك حكمة الحياة!!

هكذا إلى هذا الحد من المبالغة، مع أنّ الزوج الموافق لزوجته في الأمور غير المحرّمة أو الضارة هو زوج حكيم وعاقل، والزوجة الموافقة لزوجها في غير المحرّمات والأمور الضارّة هي امرأة صالحة وحكيمة، وأنّ التوافق بين الزوجين أمر ضروري ولا يلغي شخصيتهما بل يكمّلها ويسعدهما.

الإحسان إلى أهل الزوجين:

وفي الوقت نفسه، على الزوجين الإحسان إلى أهلهما، وإحسان كلٍّ منهما إلى أهل الآخر بالكف عن انتقادهم والتشهير بهم، بل الستر على سلبياتهم واتباع أسلوب امتداح فضائلهم الحقيقية والإشادة بأدوارهم الإيجابية، لكي يربحا ودّهم ويزيلا عداواتهم، وعلى الأهل امتداح شريك ولدهم في فضائله وأعماله الإيجابية أمامه وفي غيابه، ليزيلوا الضغينة من قلبه وليشجعوه على احترامهم وحبهم والإخلاص لولدهم شريك حياته، لتسعد الحياة، وتشرق أنوار البهجة والمودة في بيوت الأهل والزوجين..

جاء عن الإمام علي عليه السلام: «**من هذّب لسانه؛ اطمأنَّ قلبه، وازداد إيمانه بالله، وازداد حباً لخلق الله**»[1].

(١) بحار الأنوار. ج٧٣. ص٢٥٥. ب١٣١. ح٢٦.

ويمكن أن نصوغ الإطار الشرعي للعلاقة بأهل كلّ من الزوجين من خلال الأحكام والتوجيهات التالية:

١ - لا يجب على كلّ من الزوج والزوجة البرّ والإحسان إلى أهل الثاني، وإنّما ذلك من المستحبّات المطلوبة في الإسلام، لأنّ الزواج يشكّل نسباً وقرابة، أي بإمكان الزوج أن يتخذ من أهل زوجته أهلاً له، وأن تفعلَ الزوجة الشيء نفسه مع أهل زوجها، ليعيشا في وئام وانسجام واحترام.

٢ - لا يجب على كلٍّ من الزوجين خدمة أهل الآخر، ولكنّه أمر مستحب، وهو من أعمال البرّ والخير التي يحثّ عليها الإسلام.

إنّ خدمة الزوجين لوالديهما ولأهل الشريك شكل من أشكال التقدير والوفاء لأولئك الأهل الذين أنجبوا هذا الشريك الطيّب وربّوْه سنوات طويلة ثمّ قدّموه لشريكه بكلّ محبّة واحترام. هذه المعاملة الطيّبة سيشاهدها الأولاد في المستقبل، وسيتربّون عليها، وسيصنعون نفس الشيء مع والديهم، ومع أهل الشريك الزوجي في المستقبل.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أحسنوا إلى والديكم؛ ليحسن إليكم أبناؤكم**»[1].

٣ - يحقّ للزوج منع الزوجة من زيارة أهلها إذا كانت الزيارة تنافي حقّه الزوجي، دون أن يجعلها تقطع رحمها.

(١) العلاقات الزوجية. ص٢٣٢،٢٣.

٤ ـ لا يحقّ للزوجة منع زوجها من زيارة أهله والإحسان إليهم مالياً ومعنوياً.

٥ ـ لا يحقّ للزوج منع زوجته من إعطاء بعض أو كلّ أموالها لأهلها أو لغيرهم. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[1].

٦ ـ إذا لم يجد الزوج إلّا نفقة واحدة ينفقها على والديه، أو على زوجته، فالأولوية للزوجة في الإنفاق ثم الوالدين.

طرق حلّ الخلافات الزوجية:

بعد هذا التوضيح لطبيعة العلاقة مع أهل كلّ من الزوجين، نكون قد وصلنا إلى الطرق التي يمكن للزوجين سلوكها توصّلاً لحلّ مرضٍ للخلاف الذي يقع بينهما، وفيها الإيجابي والسلبي، وهي:

١ ـ الحلّ الداخلي، بأن يحلّ الزوجان خلافاتهما بالتفاهم فيما بينهما، وهذه أفضل طريقة.

٢ ـ التحكيم العائلي (الأهلي)، وهو اللجوء إلى الأهل وحكمين منهما للإصلاح.

٣ ـ اللجوء إلى الحاكم الشرعي أو عالم الدين.

٤ ـ اللجوء إلى المحاكم الشرعيّة أو المدنية.

٥ ـ اللجوء إلى السحر.

---

(١) النساء ٤/ ٣٢.

٦ ـ **الطلاق**.

وفيما يلي التفصيل في ذلك:

١ ـ الحلّ الداخلي:

وهو الحلّ بالتفاهم فيما بين الزوجين بالحوار والمنطق والحكمة، فنحن نعتقد أنّ قدرة الزوجين على تسوية الخلافات الناشئة بينهما أكبر من أية قدرة أخرى، فـ(**صاحب البيت أدرى بالذي فيه**)، ولا أحد يعرف الزوج كمعرفة زوجته به، ولا أحد يعرف الزوجة كمعرفة زوجها بها، ولذا فإنّ سلوك سبيل الحوار والنقاش الهادئ واستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، بالإضافة إلى الأرضية الصلبة التي يقوم عليها الزواج من السكن والمودّة والرحمة، يمهّد للحلول المناسبة للنزاعات الزوجية وحلّها داخلياً دون أن تشكّل فضيحة في الخارج يتندّر بها الناس. وقد دأبت العائلات المحترمة على حلّ مشاكلها بصمت دون أن يشعر أحد بها، وننصح هنا بقراءة الكتب الثقافية الإسلامية حول الحياة الزوجيّة لمعرفة أفضل الحلول الداخليّة.. وقد ورد في الإسلام كراهية خروج المرأة للشكوى ضدّ زوجها، ففي الحديث عن أمّ سلمة عنه ﷺ: «**إني لأبغض المرأة التي تخرج من بيتها تجرّ ذيلها تشكو زوجها**»[1].

كما وردت الأخبار بالحثّ على صبر كلّ من الزوجين إزاء أخطاء الآخر. جاء عن النبي ﷺ: «**من صبر على خلق امرأة سيئة**

(١) كنز العمال. ج١٦. ص٣٨٢.

الخلق، واحتسب في ذلك الأجر؛ أعطاه الله ثواب الشاكرين في الآخرة»[(١)].

وعنه ﷺ: «**ومن صبرت على سوء خلق زوجها؛ أعطاها الله مثل (ثواب) آسية بنت مزاحم (زوجة فرعون)»[(٢)].**

٢ ـ التحكيم العائلي الأهلي:

مرّ بنا أنّ علاقة الزوجين بأهلهما قد تتخذ أحد شكلين: إمّا علاقة إيجابية، وإمّا علاقة سلبية، ومن فوائد العلاقة الإيجابية أنّ الزوجين قد يحتكمان لأهلهما أو اقربائهما أو معارفهما ممن يثقان بهم في دين وخلق وحكمة وتدبير، ليحلّا خلافاتهما، أي أنّهما يوسّطان الأقربين لحل الخلاف.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[(٣)].

إنّ اللجوء إلى التحكيم العائلي دون طرق أبواب المحاكم له الكثير من الإيجابيات والحسنات، فالحكمان يعرفان كلاً من الزوجين، والمعرفة تفيد الحكم، وهما يسعيان إلى تجنيبهما الطلاق والعمل بكلّ الوسع لتضييق هوّة الخلاف تمهيداً لردمها نهائياً. ثم إنّ المعالجة تبقى داخلية لا يعلم بها أحد سوى

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. ص١٢٤.
(٢) البحار. ج١٠٣. ص٢٤٧.
(٣) النساء: ٤/ ٣٥.

المطّلعين عليها، وهي لا تحتاج إلى أي نفقات مالية كما هي طبيعة المحامي والقاضي وما إلى ذلك.

ومهمّة الحكمين هي الإصلاح بين الطرفين فقط، وقيل إنّ لهما الحقّ بالتفريق والطلاق كما هي صفة أيّ حَكَم.

٣ ـ تحكيم الحاكم الشرعي:

وقد لا يوفّق الحكمان المختاران من أهل الزوج وأهل الزوجة إلى حلّ مناسب للمشكلة القائمة، أو يذهب الزوجان مباشرة إلى الحاكم الشرعي أو عالم الدين ليتولّى بنفسه فضّ النزاع، إما بالإصلاح ورأب الصدع بالتوجيه والإرشاد والمعالجات المتكرّرة، وإمّا بالطلاق.

٤ ـ الحلّ القضائي:

وهو اعتماد التحاكم لدى المحاكم القضائية العادية التي قد تسعفهما بإيجاد حلّ معين لمشكلتهما، لكن اللجوء إليها قد يتسبب بإثارة الفضائح وكشف المستور وفتح ملف الجراحات التي قد تؤدّي إلى المزيد من السلبيات، فضلاً عن استنزاف ثروة الطرفين لكلفة المحاكم والمحامين. والأموال التي يأخذها أحد الزوجين عن طريق المحاكم المدنيّة بالإكراه هي من الغصب الحرام ما لم تكن من الحقوق التي أقرّها الإسلام.

ثم إنّ المحاكم القضائية لا تنظر بالعين نفسها التي ينظر فيها الحكمان من الأهل أو الحاكم الشرعي، أي أنّ إجراءات القضاء رسمية بحتة لا علاقة لها بحميمية العلاقة الشخصية بين الزوجين.

٥ ـ اللجوء إلى السحر:

إتصلت بي هاتفياً قبل سنوات طويلة إحدى النساء من مكان بعيد وقالت: أرجوك سيدي أن تصنع لي كتاب سحر لأسيطر فيه على زوجي الذي يهينني ويحقّرني ويتهمني بتهم ظالمة باطلة..

قلت لها: وما هي هذه التهم؟

قالت: إنه يتهمني بأنني أصنع له السحر!! ويهرب منّي!

قلت: لها أنا شيخ أرشد وأوجه ولا أصنع السحر.. نعم، أدلك على طريقة سحرية أقوى من السحر..

قالت: وما هي؟! أرجوك..

قلت: أن تسحريه بلطف أخلاقك ومحبّتك وصبرك وإحاطتك له بالحنان والعاطفة والإكرام وتدبير شؤون البيت والطاعة والصدق والأمانة واحترام حقوق الزوجية، والابتعاد عن التفكير بالسحر، فهذا هو طريق العلاج غالباً، فضلاً عن الاهتمام بأناقتك وشخصيّتك وجاذبيّتها أمام الزوج، فهذا سحر مطلوب.

يروى أنّ العطور الباريسيّة حينما ظهرت لأوّل مرّة، واستعملتها امرأة، أقام عليها رجل دعوى قانونيّة بحجّة أنّها سحرته بمادّة كيميائية وجعلته ينجذب إليها كلّياً ويقع في غرامها، حتّى إذا استنفدت ماله تركته يعاني الحسرة والمرارات.

الواقع إنّ لجوء بعض النساء إلى السحر والشعوذة يؤدّي إلى نفور الزوج وارتيابه في كلّ شيء تصنعه له زوجته، بدءاً من فنجان القهوة وانتهاء بالطعام والشراب، حيث يشك الزوج أن الزوجة قد

دسّت له مواد سحرية، وقد تكون سامّة أو مضرّة في طعامه وشرابه، وتسوء حياته، وأخيراً يلجأ إلى الطلاق والبحث عن امرأة ثانية يأمن إليها، حيث ينقلب السحر على الساحرة!

وكم من مرة هرع رجال إلى مكتبنا يحملون كتابات غريبة مطوية وجدوها محشوّة في مخدّات نومهم يهابون فتحها ويخشون منها، فنؤكد لهم أن أكثر ما يقال له إنه سحر ما هو إلّا شعوذة وأوهام ودجل يبتزّ به بعض المحتالين أموال الناس، وأن لا شيء يؤثر إلّا بإذن الله عزّ وجل.

ولو كانت الساحرة صادقة في كتب الحب والبغض، لاستطاعت أن تزيل المشاكل بينها وبين زوجها، ولما وجدنا أكثر الساحرات والسحرة من ذوي المشاكل البيتية المستعصية التي لا تفلح معها كتب المشعوذين ولا ألاعيب السحرة، ولو كانت ضاربة (الودع) و(المندل) و(البصّارة) وكاشفة (البخت) و(النصيب) وقارئة (الفنجان) و(الابراج) والأسرار صادقة، لكشفت أرقام أوراق اليانصيب الرابحة لتربح ملايين الدولارات بدل أن تبتزّ الناس بمبالغ صغيرة، ولدفعت عنها الضُرّ والمرض والمشاكل وحوادث السيارات والقدر والمفاجآت.

ولو كان الأمر مؤثراً إلى هذا الحد، لجلست الدول الكبرى تصنع كتب السحر لمحاربة الدول المعادية بدلا من أن تنفق مليارات الدولارات على التسليح واستهلاك آلات الحرب وأدواتها الفتاكة، واللجوء إلى المناورات والمخابرات. .

ويستطيع أي شخص أن يكشف ألاعيب المشعوذين بأن

يذهب إليهم ويسألهم أن يكشفوا نوع مشكلته (حيث لا تكون لديه مشكلة جدّية)، وليس في هذا كذب، حيث هو مجرد تحرّ وسؤال، وسيجد أنهم سيخترعون له مشكلة، ويدّعون فوراً أن أحداً قد كتب له كتاب سحر، وأنهم قادرون على إزالته بشرط أن يدفع لهم مبالغ معينة!!

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾(١).

ويقول في حق متعلمي السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٢).

وورد في الأخبار أن امرأة أقبلت إلى رسول الله ﷺ فقالت: **يا رسول الله إن لي زوجاً، وله عليَّ غلظة، وإني صنعت به شيئاً لأعطفه عليَّ.**

فقال رسول الله ﷺ: «أفّ لك!! كدّرت دينك.. لعنتك الملائكة الأخيار.. لعنتك ملائكة السماء.. لعنتك ملائكة الأرض!!».

فصامت نهارها، وقامت ليلها، ولبست المسوح، ثم حلقت رأسها..

فقال رسول الله ﷺ: «إن حلق الرأس لا يُقبل منها حتى ترضي الزوج»(٣).

---

(١) طه: ٢٠/٦٩.
(٢) البقرة: ٢/١٠٢.
(٣) بحار الأنوار. ج٧٩. ص٢١٤. ب٩٦. ح١٣.

وعلى الرغم من أنّ الإسلام منع من اللجوء إلى السحر فعلاً وشدّد على ذلك، فنحن نشكّ في صحّة هذا الحديث بسبب إرساله أو ضعف سنده، كما أنه لا ينصّ أنّ تلك المرأة فعلت السحر، والأمر في الرواية مبهم، ولا يمكن الاستدلال بها على أنّ محورها هو السحر، كما أنّ النتيجة الشديدة جداً المترتّبة على ما فعلته تلك المرأة لا تتناسب مع امرأة عاديّة قد تكون بسيطة، بل هي تجهل فعلاً أنّ ما فعلته حرام، ولذا جاءت تسأل النبي ﷺ، فكيف تترتّب كلّ تلك النتائج على فعل جاهلة؟! ومن هنا الشكّ في صحّة الرواية، لكنها مؤشر عظيم على خطورة اللجوء إلى قضايا السحر.

أجل جاء في صحيحة السيد عبد العظيم، عن الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه عن الصادق عليه السلام في تعداد الذنوب الكبيرة قول الإمام عليه السلام: «**والسحر لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[1]**»[2]. فعدّ الإمام الصادق عليه السلام السحر من كبائر المعاصي في الإسلام.

وقد نقل عن السيّد الخوئي (قدسّ سرّه) في معنى السحر:

(أنّ السحر هو صرف الشيء عن وجهه على سبيل الخدعة والتمويه، بحيث إنّ الساحر يُلبس الباطل لباس الحقّ ويظهره بصورة الواقع، فيرى الناس الهياكل الغريبة والأشكال العجيبة

---

(١) البقرة: ٢/١٠٢.
(٢) وسائل الشيعة. ج١١. ص٢٥٢.

المخوّفة.. فيريهم البرّ بحراً عجاجاً تجري فيه السفن وتتلاطم فيه الأمواج من غير أن يلتفتوا إلى كونه خدعة وتمويهاً): ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[1].

والواقع أنّ السحر لا يعبّر عن حقيقة واقعيّة في ما نفهم، إلّا إذا استعمل موادّ كيميائية وأشياء يدسّها في الطعام والشراب مضرّة، فهذا أمر آخر، وأما التخويفات السحرية فهي أمور خيالية، لكن قد يرتعب الإنسان من شعوره بأنّ أحداً قد صنع له السحر، فيخاف ويتوسوس ويتعقّد، ويؤدّي ذلك به إلى شلل حياته، فيظنّ أنّ السحر هو الذي صنع هذا مباشرة، ولا يدري أنّ نفسيّته الخائفة أدّت به إلى هذه الانتكاسات.

ومهما يكن فإنّ قراءة سورتي المعوذتين (الفلق) و(الناس) والاستعاذة بالله عزّ وجل والتوكل عليه جلّ وعلا، والاستقامة في التعامل مع الشريك، والتفكير العقلاني السليم، وحسن الإدارة والتدبير، والقدرة على فض المنازعات بالتي هي أحسن، يطرد وساوس الشيطان، ويبطل ألاعيب السحرة والساحرات.

٦ ـ آخر الدواء.. الطلاق:

قد لا تنفع الحلول الداخلية، ولا وساطة الحكمين، ولا دور الحاكم الشرعي، أو القضاء في تصفية وتسوية المشكلات المعقدّة بين الزوجين، فلا يبقى من باب مفتوح سوى الصبر والتعايش مع المشكلة أو الطلاق، وهو آخر الدواء، لأنّه أبغض الحلال عند الله

(١) طه: ٢٠/٦٦.

سبحانه وتعالى ـ بحسب المشهور ـ فحيث لا ينفع لحل الخلافات المتفاقمة والمتأزمة حلّ آخر، يكون الطلاق. وآخر الدواء الكيّ.

نظرة الإسلام إلى الطلاق:

لأنّ عملية الانفصال ليست كعملية الاتصال، ونعني أنّ الاجواء التي يتمّ فيها الطلاق غيرها التي يحصل فيها الزواج، كان لابدّ من تدخّل الشريعة الغرّاء لتنظيم التفرقة بين الزوجين بالمعروف، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[1].

ويقول: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾[2].

ويقول: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٢٢٧﴾[3].

ويقول: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾[4].

وهذه الآيات تنطق بالدعوة إلى التعامل بالمعروف والإحسان وعدم الإساءة في حال الطلاق، فالإسلام حريص على أن تكون الحياة الزوجية منذ بدايتها وحتى نهايتها معاشرة بالحسنى والمعروف، أو التسريح بإحسان.

---

(١) البقرة: ٢/ ٢٢٩.
(٢) البقرة: ٢/ ٢٣١.
(٣) البقرة: ٢/ ٢٢٧.
(٤) البقرة: ٢/ ٢٤١.

التنظيم القرآني لمشكلة الطلاق:

نظّم القرآن الطلاق وفق قواعد معينة:

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[(١)].

ويقول: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾[(٢)].

ويقول في الطلاق الثالث: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾[(٣)].

ويقول: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[(٤)]. ثلاث دورات من الحيض.

فهناك الطلاق قبل الدخول، والطلاق بعده، وهناك أجل تعتدُّ المرأة المطلقة به حتى يحقّ لها الزواج من شخص آخر. وهناك الطلاق الخلعي الذي لا رجعة للزوج فيه، بل الحق لها في الرجعة في أثناء العدة، وهناك طلاق المباراة حين يكره كلٌّ منهما الآخر، وهو قريب من الخلعي، وهناك الطلاق الرجعي الذي يحق للزوج الرجوع عنه في العدة وإعادة العلاقة الزوجية.

---

(١) الطلاق: ٦٥/١.
(٢) البقرة: ٢/٢٣٦.
(٣) البقرة: ٢/٢٣٠.
(٤) البقرة: ٢/٢٢٨.

تشديد السنّة على نبذ الطلاق:

وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننتُ أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة**»(١).

وعنه ﷺ: «**تزوّجوا ولا تطلّقوا، فالطلاق يهزّ عرش الله، وليس هناك أبغض عند الله من الطلاق**»(٢).

وكون الطلاق يهزّ العرش كناية عن خطورته ومقته عند الله.

وعنه ﷺ أيضاً: «**إنّ الله عزّ وجل يبغض كلّ مطلاق ذوّاق**»(٣).

والذوّاق هو الذي لا ترسو سفينته على امرأة واحدة، وفي ذلك يقول ﷺ أيضاً: «**إنّ الله لا يحبّ الذوّاقين ولا الذوّاقات**»(٤).

وجاء في الحديث أو الخبر: «**إنّ الله عزّ وجل يحبّ البيت الذي فيه العروس، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق**»(٥).

وينقل عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنّ رجلاً جاء إليه يريد طلاق امرأته:

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٤. ب٨٦. ص١٢١.
(٢) المصدر نفسه. ج١٥. ص٢٦٧.
(٣) فروع الكافي. ج٦. ص٥٥.
(٤) كنز العمّال. خ٢٧٨٧٦.
(٥) فروع الكافي. ج٦. ص٥٦.

فقال له: ولِمَ؟

قال: إنّي لا أحبّها.

فقال: أوَكلّ البيوت بنيت على الحبّ؟ فأين المروءة والذمّة؟[1].

ومن ذلك كله نستشفّ أنّ السنّة المطهّرة شدّدت النكير على الطلاق باعتباره أسوأ الحلول التي يلجأ إليها الزوجان في حل خلافاتهما الزوجية.

حالات تستدعي الطلاق:

لا يمكن الوقوف أمام طلاق زوجين فاشلين في زواجهما لمنعهما من اتخاذ القرار وتنفيذه، فلقد تعدّدت الأسباب والطلاق واحد، ومن تلك الأسباب:

١ ـ الشقاق المستشري باستمرار بين الزوجين.

٢ ـ التنافر النفسي والكره المتبادل المستحكم.

٣ ـ فساد أحد الزوجين، وعدم مراعاة حرمة الزواج وعهده.

٤ ـ جنون أحد الزوجين.

٥ ـ مرض أحد الزوجين دون رجاء البرء والشفاء، ولاسيما في الأمراض المعدية.

٦ ـ العقم أو فقدان القدرة الجنسية.

---

(١) طرائف ونوادر. ج٢. ص١٢.

٧ ـ الغياب الطويل وجهل الحال التي عليها الزوج.

٨ ـ الحكم عليه بالسجن المؤبّد.

٩ ـ الإعسار وعدم القدرة على النفقة، إلّا إذا صبرت عليه الزوجة وقبلت به واحتسبت ذلك عند الله عزّ وجلّ..

١٠ ـالتفاهم المتبادل على الطلاق بالمعروف.

وتحريم الطلاق في هذه الحالات عنت وتعسّف وحرج، ينافي واقعية الإسلام ويسره، لهذا وغيره أجازه الإسلام.

إباحة الطلاق في النظم الحديثة:

هناك أنظمة أباحت الطلاق لأي سبب وسهّلته دون عوائق مما ساهم في تفكك الأسر وانحلالها.

وهناك أنظمة منعت الطلاق أو عقّدته جداً كما في بعض الدول والكنائس الكاثوليكية التي ربطته بحالة الزنا فقط، مما اضطر الساعين إلى الفراق العمل على إثبات الزنا ولو كذباً للحصول على الطلاق، ومعنى ذلك أن لا يتفرّق الزوجان إلّا بفضيحة ووصمة عارٍ مخزية.

ولكنّ الإسلام حرص على أن لا يكون ثمة إفراط فيه أو تفريط به لا في الزواج ولا في الطلاق: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ولأنّ الكاثوليكية لا تبيح الطلاق إلّا مع إثبات الزنا، فإنك

(١) يوسف: ١٢/٤٠.

ترى أنّ الزوجين يلجأان إلى عصابات من المثقفين الأطباء ورجال القانون والكتّاب والمحامين مهمتها ممارسة الزنا لأغراض قانونية، أي أنهما يمارسان الزنا بالاتفاق، وتضبط العملية، ويُشهَّد عليها، وتُقدَّم المستندات القانونية اللازمة، وكلّ ذلك لقاء أجر مادي، وهذا ما لا تقبله الكاثوليكيّة نفسها بالتأكيد، ولكن لا مفرّ من تلك العملية الشائنة بالاتفاق بين الزوجين سرّاً للحصول على الطلاق الكاثوليكي في الكنيسة.

ويحكى أنه حين أبيح الطلاق في معقل المسيحية (إيطاليا)، رقص الناس فرحاً في الشوارع.

بالنسبة للإسلام، فعلى الرغم من أنه أباح الطلاق، فإنّه جعل أمامه عقبات ومعوقات عديدة، فنرى أن نسبة الطلاق في سوريا لا تتجاوز ١١٪ في الستينيات من القرن الماضي، بينما في البلاد الغربية التي شددت في تلك الفترة على الطلاق وعرقلته نرى ارتفاع نسبته للفترة ذاتها، حيث تصل في أميركا إلى ٤٨٪ وفي ألمانيا الغربية إلى ٣٥٪[١].

وعلى أية حال، فإن نسب الطلاق في البلاد العربية والإسلامية وإن تزايدت أخيراً، فهي تتراوح بين ٣٪ و١٠٪، لكنها تبقى قليلة جداً قياساً بالبلدان الغربية، فهي تصل في فرنسا إلى ٦٠٪ وفي نيويورك ارتفعت النسبة إلى ٧٥٪ عام ١٩٨١، حتى وصفت بأنّها مدينة الطلاق.

---

(١) مجلة (الوعي الإسلامي) العدد ١١٢. سنة ١٩٧٤م.

شروط الطلاق[1]:

يقول فقهاء أهل البيت عليهم السلام:

١ ـ يشترط في المطلّق أن يكون بالغاً عاقلاً مختاراً، فلا يقع طلاق المكره، وأن يكون قاصداً للطلاق.

ويشترط في المطلّقة أن تكون زوجة، في طهر لم يواقعها فيه، فلو طُلّقت، وهي في الحيض أو في النفاس، أو في طهر المواقعة، بطل الطلاق.

وأجاز الإمامية الطلاق في الحيض وغيره في خمس حالات هي:

أ) الصغيرة التي لم تبلغ التاسعة.

ب) من لم يدخل بها زوجها ثيباً كانت أم بكراً.

ت) البالغة سن الخمسين (سن عدم الحمل).

ث) الحامل.

ج) التي غاب عنها زوجها شهراً كاملاً وما فوق، على أن يقع الطلاق حال تعذّر معرفة دورتها الشهرية كما لو كانت غائبة لا يمكن استكشاف حالها.

٢ ـ لا يقع الطلاق إلّا بصيغة خاصّة، وهي (أنت طالق) أو (فلانة طالق). قال صاحب (الجواهر) نقلاً عن الكافي: (ليس

---

(١) يمكن مراجعة تفاصيل أكثر من (الفقه على المذاهب الخمسة). للشيخ محمد جواد مغنية. ص٤٠٩ وما بعدها، وقد ذكرنا هنا بعضها.

الطلاق إلّا كما روى بكير بن أعين، وهو أن يقول لها، وهي طاهر من غير جماع: (أنت طالق) ويُشهد شاهدين عدلين، وكلّ ما سوى ذلك فهو ملغى).

٣ ـ الإشهاد على الطلاق، لقوله تعالى في سورة (الطلاق): ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ﴾[1].

وحضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يزجونها إلى الزوجين، فيكون لهما مخرج من الطلاق، كما أن له مغزى آخر، وهو أن تكون الزوجة المطلقة قد انفصلت أمام الله والناس بطريق شرعي حتى لا يساء إلى سمعتها.

٤ ـ ينقسم الطلاق إلى (رجعي) و(بائن). فالرجعي هو الذي يملك فيه الزوج الرجوع إلى المطلقة مادامت في العدّة، ومن شرطه أن تكون المرأة مدخولاً بها، لأنّ المطلقة قبل الدخول لا عدّة لها. ومن شرطه أن لا يكون على بذل مال، وأن لا يكون الطلاق الثالث.

والمطلقة الرجعية بحكم الزوجة، وللمطلق كلّ حقوق الزوج، حيث يحصل التوارث بين الزوجين لو مات أحدهما قبل انتهاء العدّة.

أمّا الطلاق البائن فلا يملك فيه المطلّق الرجوع إلى

(١) الطلاق: ٢.

المطلّقة، ويمكن للزوجة التي تريد طلاقاً خلعياً أن تفتدي نفسها بالمال من زوجها.

٥ ـ وأمّا عدّة المطلقة، فإذا لم يدخل بها فلا عدّة عليها، وتجب العدة على من طلقت بعد الدخول.

أمّا الحامل فتعتدُّ بوضع الحمل لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[1]. أو أبعد الأجلين في بعض الحالات على تفصيل.

ومدّة العدّة مجيء ثلاث دورات حيض للمطلقة، وتسمّى (ثلاثة قروء) فتكون المطلقة حرّة بعد ذلك في أن تتزوج من تريد.

الطلاق، حقوق وواجبات:

وللزوجين في مسألة الطلاق العديد من الحقوق والواجبات ينبغي التعرّف عليها كجزء من الثقافة الزوجية حتى لمن لم يرد الطلاق، فجهل المرأة مثلاً بأنّ لها الحق في أن تطلب في عقد الزواج أن تكون وكيلة عن الزوج في طلاق نفسها متى شاءت وكالة لازمة غير قابلة للعزل، قد يجعلها تندم في حال تعقدت حياتها الزوجية، وكان الزوج مصرّاً على بقائها معه، وهذا يتحقق في التعرف على شروط العقد وملابساته، ونحاول هنا أن نضع بين يدي الزوجين هذه الحقوق والواجبات راجين أن لا يصلا في يوم ما إلى هذا الحلال البغيض.

١ ـ حقّ الطلاق بيد الزوج لا الزوجة، إلّا إذا توكّلت منه

---

(١) الطلاق: ٦٥/ ٤.

أثناء عقد لازم بطلاق نفسها متى شاءت، كما أنّه يحقّ لها أن تطلب طلاقها من الحاكم الشرعي الديني إذا لم ينفق عليها زوجها ولم يعاشرها بالمعروف، فيطلب الحاكم الشرعي منه الإنفاق عليها ومعاشرتها بالمعروف أو طلاقها، فإن رفض الأمرين أو لم يبال وأصرّت على الطلاق؛ طلّقها الحاكم الشرعي وأخلى سبيلها.

٢ ـ للمرأة حق إجبار زوجها على طلاقها في الحالات التالية:

أ) إذا لم ينفق عليها.

ب) إذا كان يؤذيها ويظلمها ولا يعاشرها بالمعروف.

ج) إذا هجرها تماما فصارت كالمعلّقة، لا هي متزوجة ولا مطلقة[١].

٣ ـ للزوجة الحق أن تُعلَم بزواج زوجها من ثانية، إذا كانت الفرادة شرطاً ضمنياً متفقاً عليه في الزواج، ومن ترفض الضرّة لا ترفض الشرع بل ترفض المشاركة، فلو تزوّج عليها سرّاً يحقّ لها طلب الخلع إذا وقع عليها ضرر من الثانية، بل إذا قلنا بأنّ قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) لا ترفع الأحكام الشرعية الضرريّة فقط، بل تنتج أحكاماً جديدة، فإنه يجوز أن يطلقها الحاكم الشرعي إذا تضرّرت حقاً ورفض زوجها طلاقها...

٤ ـ في عدة الطلاق الرجعي تبقى المطلّقة بمنزلة الزوجة،

(١) الفقه للمغتربين: ص٢٦٧.

ولا يجوز لزوجها إخراجها من بيت الزوجية قبل انتهاء العدّة، إلّا إذا فعلت فاحشة مبينة.

كما لا يجوز لها أن تخرج من منزل الزوج بدون إذنه، وعليه الإنفاق عليها طيلة فترة العدّة، ويجوز لها أن تراه خلال العدّة عسى أن يكون ذلك عاملاً للإغراء بعودة المياه إلى مجاريها، وعلى الزوج تسديد مهرها.

أمّا في عدّة الطلاق الخلعي، فالمرأة تصبح أجنبية عن زوجها، ويحقّ لها الخروج من بيته، ولا يجب عليه الإنفاق عليها أثناء العدّة.

٥ ـ حضانة الولد لأبويه على السواء، ولا يجوز فصل الطفل عن أمّه قبل سنتين، والأحوط استحباباً إبقاؤه سبع سنوات عندها ذكراً كان أم أنثى. وإذا تزوّجت بعد طلاقها؛ رجع حقّ الحضانة للأب، وتنتهي الحضانة ببلوغ الولد رشده، وبعدها يصبح القرار له.

دعوة لدراسة الطلاق:

لابدّ من تبيان بعض النقاط التي نسترعي بها الاهتمام للدراسة والمعالجة:

أ) إنّ مناهجنا التعليمية والتربوية لا تعلّم الجنسين كيفية المحافظة على الأسرة، والتدريب على تفهّم مشاكل الأسرة والزوجين، ما يسبّب خللاً في تقدير قيمة الحياة الزوجية ويدعو إلى التفريط بها.

ب) يجب أن تتبدل النظرة الاجتماعية المزدرية للمطلّقة، حيث إنّ النظرة الاجتماعية الظالمة تحمّلها المسؤولية كاملة حتى ولو كانت الضحية.

وليست هذه النظرة مقتصرة على المطلّقات فقط، وإنما تشمل المطلقين أيضاً، وإن كانت بالنسبة إليهنّ أشدّ. فكثيراً ما توجّه إلى المطلّق أصابع الاتهام عندما يريد أن يتزوّج ثانية، في الوقت الذي يجب التمييز أيضاً بين المظلوم والظالم منهما بحسب المقاييس الشرعية.

ت) اتضح أنّ الزواج من غير الأقارب يسهّل التضحية بالشريك في الطلاق منه بعكس الزواج من القريبات، والحال أن الطلاق يجب النظر إليه من خلال النظرة الواقعية التي تضع حلاً لطريق مسدود بين شريكين لا يجدان إمكانية الانسجام والتوافق والاستمرار، سواء كانا قريبين أم بعيدين.

ث) إنّ العقم لا ينبغي أن يكون سبباً للطلاق. نعم، يمكن أن يكون سبباً للتعدّد، فإذا لم تجد الزوجة غضاضة في الشراكة والضرّة، فلمَ يقطع الزوج حبل المودّة والمعاشرة بالمعروف ليطلق الأولى العاقر وهي تريد البقاء على سابق عهدها معه؟

ج) هناك من يرى ضرورة إيجاد تشريعات توجب على المطلق إجراء نفقات للزوجة المطلقة حتى لا يدفعها العوز إلى حالة من الذلّ والانحراف والسقوط في الرذيلة، ويمكن إجراء مصالحة وتسوية شرعية بين الطرفين حول ذلك ولو من بداية الزواج.

ح) إنّ خروج المرأة للعمل كان سبباً مهماً من أسباب الطلاق، فما عدا الحالات الاضطرارية التي تستدعي المرأة العمل، فإنّ البيت والأسرة والزوج أحوج للمرأة المتفرّغة الراعية لشؤون زوجها وأسرتها، فلابد للزوجة من إحداث حالة من التوفيق والتوازن، وإلّا فإنّ خسارة البيت والزوج أكبر وأفدح من خسارة العمل.

خ) نكرّر دعوتنا إلى التشديد في اختيار الزوج أو الزوجة ضمن الشروط والضوابط التي ذكرناها في مستهل البحث، حيث لوحظ أنّ عوامل الطلاق ليست فقط بعد التجربة الزوجية، فهناك طلاق يقع قبل الزواج، وآخر يتعلّق بسوء الاختيار، وثالث يحدث بعد الزواج.

خطوات لتجنّب الطلاق:

وأخيرا ننقل رأي خبيرة اجتماعية تقترح طرقاً لتجنّب الطلاق والندم الذي يعقبه، حيث تقول:[1]

(السنوات الأخيرة التي حاضرت وكتبت فيها عن الطلاق، حملت إليّ روايات كثيرة من رجال ونساء تعبّر عن ندمهم على إنهاء زواجهم، هؤلاء هم الناس الذين طلّقوا عن خطأ، لأنّ الطلاق بات سهلاً هذه الإيام، أو أنّهم أخطأوا في تقدير المواقف وإصدار الأحكام، والعديد منهم استخدم العبارة نفسها: (آه لو

(١) عن (مجلة المختار) عدد آب ١٩٨٠، من مقال بعنوان (لا تزل قدمك إلى الطلاق). د.لويز مونتاغ.

حاولت فقط أن أحلّ مشاكلي عوضاً عن الهرب منها إلى الطلاق)!

وتضع الخبيرة الاجتماعية ست طرق من شأنها تجنيب الوقوع في مزالق شائعة:

١ ـ لا تتهالك على الطلاق:

فالذين يطلّقون لدافع لا علاقة له بالزواج، لا يكتفون بالعجز عن حلّ مشكلتهم، بل ينفصلون عن الشخص الوحيد الذي كان في إمكانه أن يقدّم إليهم عوناً حقيقياً.

٢ ـ لا تزلّ قدمك إلى الطلاق:

هناك امرأة اختارت الطريق (السهل).. لقد سئمت حياتها وشعرت بأنها غير نافعة، غير أنّها اليوم تتلقّى علاجاً للشفاء من الكآبة وفقدان المعنويات.

إنّ هذه المرأة في محاولة يائسة لبثّ شيء من الحيوية في كيانها، قضت على أفضل وسيلة كانت لديها لإذكاء شعلة حياتها، وعلينا أن نأخذ منها عبرة، فنحذر الانزلاق نحو الطلاق كما فعلت.

٣ ـ لا تجعل من الطلاق موضوع كلام:

بعضهم يهدّد شريكه بالطلاق إذا كرّر أمراً غير مستحبّ.. وقد أخبرتني امرأة عمدت إلى تهديد زوجها بالطلاق، أنه أجابها

بأن تنفّذ ما قالته.. وأضافت باكية: أرجوكِ أن تنصحي الناس بعدم ذكر الطلاق إلّا إذا كانوا جادّين.

ومهما تكن خلفية الزوجين ومشكلاتهما، فالكلام عن الطلاق من شأنه أن يحلّ رباطهما الزوجي بسرعة فائقة.. وإذا أكثر أحد الزوجين من التهديد بالطلاق، فهذا يقضي نهائياً على شيء من البراءة ويدنّس سرّاً زوجياً مقدّساً، وربّما كانت الصدمة من القوّة بحيث تولّد حسّا مريراً بالثأر لدى الطرف الآخر، ومن النادر أن يستمر الزواج بعد أشهر من الكلام الدائم عن الطلاق.

٤ ـ لا تقع ضحية مؤامرة للطلاق:

لئن تكن الزوجات يحرّضن ـ إلى حد كبير ـ على الطلاق، فالأزواج عادة مسؤولون عن تفجير الوضع في النهاية، وظنّاً منهم أنه ليس من الشهامة أن تبدأ عملية الطلاق من جانبهم، فهم يتمادون في التصرفات على نحو ذميم إلى أن تطلب الزوجة الطلاق.

أمّا إذا واجهت الزوجة الوضع بقولها: إذا كنت تظنّ الانفلات، فالجواب: لا. أي أنّها تحاول عدم السقوط في الشرك الذي نصب لها.

ولنقارن بين امرأة استعجلت الطلاق، وأخرى رفضت الاستعجال، حيث تقول الثانية: تعلّمت أنّ أكفّ عن القول: ليته كان غير ما هو عليه، فأنا أعرف أنه كائن غير كامل، تماماً كما أنا!

ثم أني أحاول أن لا أدع الكآبة تسيطر عليّ في الوقت نفسه الذي تسيطر عليه، ولذلك أحاول السيطرة على انفعالاتي إلى أن تستقيم حاله.

٥ ـ لا تدع المحاكم تستدرجك إلى الطلاق:

إن بعض المحامين يحاول تضخيم الأمور على نحو يعزّز إمكانات الطلاق[1]، فإذا لم يكن المرء جاداً في طلب الطلاق، فهو يجازف كثيراً بدخوله عالم المحامين والمحاكم، وأحياناً يكون مجرد طلب المشورة أمراً خطراً.

فإذا لم تكن متأكداً من رغبتك في الطلاق، ففكّر في الأمور ملياً قبل الاتصال بمحامٍ.

٦ ـ لا يغرّرن بك أحد للطلاق:

هناك رجال ونساء كثيرون اليوم يدفعهم إلى كسر الرابطة الزوجية ما تقدّمه إليهم وسائل الإعلام الغربية من برامج مليئة بالمشاهد المثيرة، والمواقف المفتعلة، يؤدّي بطولتها أشخاص بارزون يصوّرون فيها حياتهم الناجحة بعد الطلاق.

إنّ الإعلام الذي من هذا النوع يحمل خطراً إلى زواج مضطرب.

وتختم الخبيرة الاجتماعية (لويز مونتاغ) مديرة مؤسسة

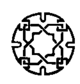
---

(١) لأن للمحامي مصلحة مادية في انجاز الطلاق.. وقد كتب محامٍ في شيكاغو لافتة على مدخل مكتبه تقول: عجِّل بالطلاق فإن العمر قصير!!

الاتحاد الأميركي القومي للنساء المطلّقات، وصاحبة عدد من الكتب الخاصة بالطلاق ومنها: (دليل المطلّقة) و(خطّة حياة جديدة) بالقول:

الطلاق ليس دواء للتعاسة ولا للملل، فلهذه الحالات علاج، لكنّه ليس تحطيم الزواج، وأسهل من الهدم أن نبني حياة مثيرة نحياها مع شريك.. من المهم أنَّ نتذكّر أنّ الطلاق ليس حلاً لأيّ مشكلة سوى مشكلة الزواج التاعس حقاً، وأحياناً ليس هو حلاً حتى لهذه المشكلة.

وتضيف: إنّي لا أدعو أحداً إلى الإبقاء على زواج استحال جحيماً، لكنّي أريد التذكير بقدرة الزواج على بناء الذات على نحو حازم، وبأنّ المكان الأفضل لحلّ كثير من المشكلات هو البيت!!





الفصل السادس

تربية الأولاد



تربية الأولاد

الانتقال إلى المرحلة الوالدية:

الآن وقد دخلت السعادة من جديد إلى البيت لترفرف عليه بمقدم المولود البكر، أو أي مولود يأتي بعده، تبدأ مرحلة جديدة في حياة الزوجين، فلقد كانا مسؤولين عن حياتهما مسؤولية مشتركة، وكان حجم هذه المسؤولية مقتصراً على رعاية كلّ منهما للآخر، أما اليوم، وبعد دخول الشخص الثالث إلى الأسرة، فإنّ أشياء أخرى سوف تتغير بشكل تلقائي.

فالطفل يحتاج إلى رعاية أيضاً، لكنّها رعاية يجب أن لا تؤثر كثيراً على رعاية الزوجين لبعضهما البعض. أجل، قد تنقص إلى درجة ما بسبب الاهتمام بالمولود الجديد وتوفير الأجواء المناسبة لنموّه ورعايته وتربيته، لكن الزوجين الحقيقيين لا يدعان ذلك يؤثر سلباً على حياتهما، بل يعتبرانه عاملاً إضافياً للحصول على مزيد من السعادة، فحتى الانشغال بالطفل هو انشغال بمولود قررا معاً إنجابه والتعاون على توفير أفضل الأجواء لبنائه وتربيته.

إذاً، هناك مرحلة جديدة تسمّى بالنسبة للرجل مرحلة (الأبوّة)، وتسمى بالنسبة للمرأة مرحلة (الأمومة)، وتسمى بالنسبة

لكليهما المرحلة (الوالدية)، وهي لا تبدأ بمجرد قدوم الطفل، وإنّما منذ الأيام الأولى للحمل.

الثقافة التربوية:

ولابد للأبوين الراغبين في إعداد أولاد صالحين ذكوراً وإناثاً من التوفر على الثقافة التربوية الصحيحة، سواء كانت بدنية أم نفسية أم عقلية.

تقول الدكتورة (سناء الخولي): (**يلاحظ أنّ هناك اهتماماً قليلاً في فترة ما قبل الولادة بالإعداد للدور الأبويّ، ذلك أنّه من الملاحظ أنّ هناك مقاومة لهذا التحوّل، كما أنّ هناك نقصاً واضحاً في التوجيه لبلوغ هذا الدور والقيام به بنجاح**)[1].

ومهما تكن أهمية دور الأب في هذه المرحلة، فإنّ دور الأم يفوقه بكثير، فهي التي تتحمّل عناء الحمل ومصاعبه، وأوجاع الولادة ومتاعبها، وهي التي ستنفق معظم وقتها في رعاية الشخص الثالث في الأسرة، وباعتباره أول تجربة تربوية لها فإنّها ستجد بعض المعاناة في ذلك، لكننا وعلى الرغم من تطور الحياة العصرية، وميل الكثير من الشبان والفتيات حديثي العهد بالزواج إلى الاستقلال عن أهلهما، ندعو إلى ضرورة الإفادة من تجربة الأهل التربوية، وليس بالضرورة استنساخها، وإنّما يحرص الزوجان أو الأبوان على توظيف إيجابيات التجارب السابقة وتنقيح ما هو بحاجة إلى تنقيح وصولاً إلى صيغة أفضل للتربية.

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية. ص٢١٩.

ويلاحظ أنّ الأم الشابّة تجد نفسها متجهة نحو دورها الجديد، وخاصّة عندما تشعر باعتماد وليدها الكامل عليها، وعند ذلك تدرك أنّ دورها كأم ربّما يكون أكبر من دورها كزوجة.

إنّ الانتقال من دور الزوجة بلا أطفال إلى دور الزوجة الأم ليس عرضياً ولا مرحلياً، لأنه يتطلّب مراجعة شاملة لكلّ نواحي حياتها اليومية.

دراسة استبيانية:

في إحدى الدراسات سئلت عيّنة من الأمهات: كيف تتغيّر حياة الأم عندما تحصل على الأطفال؟ وكانت الإجابة أنّ وجود الأطفال يعني حرية أقلّ..

لكننا يجب أن ننتبه إلى أمر مهم، وهو أننا ما من شيء في الحياة نحصل عليه إلّا ونفقد بالمقابل أشياء أخرى، فجزء الحرية الذي تفتقده الأم ستجد عوضا عنه سعادة أخرى باحتضانها وتربيتها لطفلها، ما يعني أن افتقاد السعادة هناك ـ ولو نسبياً ـ قد جرى تعويضه بسعادة أخرى هنا.

ويبقى أن نشير إلى أن التنشئة الاجتماعية أو الدور التربوي للأبوين ينبغي أن يكون مشتركاً متلازماً، فمن غير الصحيح إيكال هذه المهمّة الصعبة لأحد الأبوين ليتنصل الآخر منها، كما نلاحظ ذلك في بعض الأسر التي تقوم فيها الأم بدورها ودور زوجها في تربية المولود الجديد، حين يتخطّى سنيّه الأولى ويبدأ يتقبّل بوعي ـ ولو ابتدائي ـ ما يوعظ به أو يوجّه إليه، أو ما يقدّم إليه من إرشادات وتعاليم.

دور الأب:

يمكننا، من وجهة نظر إسلامية، أن ندرس دور الأب في تربية أبنائه وحقّهم عليه في ذلك بعد أن يحسّن تسميتهم ويقوم بالآداب والسنن المتبعة عند ولادتهم، وبعد توفير ضروريّاتهم، وهذه الدراسة تقوم على نظرتين:

أ) النظرة القرآنية لهذا الدور.

ب) نظرة السنّة المطهرة إليه.

أ) نظرة القرآن الكريم للتربية:

في القرآن الكريم نلتقي بقصة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، ومع أنّ القرآن لا يحدّثنا عن الأساليب التي اتبعها إبراهيم عليه السلام في تربية ابنه إسماعيل عليه السلام، لكننا يمكن أن نتعرّف على ذلك من خلال عدّة مؤشرات كالتالي:

ـ كونه صادق الوعد، وهذا الصدق لا يأتي بين عشية وضحاها، فلابدّ من أن يكون قد تربّى عليه منذ نعومة أظفاره في ظل رعاية أبوية وأمومية مخلصة.

ـ كونه مطيعاً لله مستجيباً لإرادته، حتى أنه وافق أباه على ذبحه امتثالاً للأمر الإلهي في ذلك، حيث تبيّن في ما بعد أنّه كان مجرّد امتحان، ولإظهار عظمة الوالد والولد وتسليمهما الأمر لله تعالى.

وهذا اللون من الاستسلام والتسليم المطلق لله يمثل أرقى درجات العبودية، وهو أيضاً نتيجة تربية عالية من أب أسلم وجهه لله وأم مطيعة راضية بقضاء الله وقدره، ومن هذا الأب المسلم

وتلك الأم المسلمة، كان (إسماعيل) مسلماً كأفضل ما يكون الإسلام.

كذلك نرى (لقمان الحكيم) وهو يعظ ابنه ويربيه على مكارم الأخلاق وفضائل السلوك الذي يجدر بكلّ أب أن يتخذ منه منهاجاً وقدوة في بناء شخصية ابنه بناء إسلامياً: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[1].

أسس المنهج القرآني في التربية:

إن منهج القرآن التربوي يقوم على:

أ) البناء العقيدي: (لا تشرك بالله) فدور الأب وكذلك دور الأم زرع وحدانية الله وحبه ومعرفته في نفس الطفل من وقت مبكر، حتى يعرف أنّ الله هو ربّ السماوات والأرض، وهو

(١) لقمان: ٣١/١٣ ـ ١٩.

القادر على كلّ شيء، وهو المنعم علينا الذي يستحق الشكر منّا، وما إلى ذلك، ما يجعله يشعر بحبّ الله وهو لا يزال غضاً غريراً، كما يجعله يتعرف على لزوم الطاعة والعبودية لله والإئتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، واتباع كتبه ورسله لاسيما خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وأنه ينتمي في هويته إلى العزة الإلهية المطلقة صاحبة القدرة الكلية والجلال والجمال والكمال مما لا يضاهيه أي انتماء آخر في العالم.

ب) **البناء الاجتماعي**: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[1]. فأول علاقة اجتماعية يبنيها الطفل هي علاقته مع والديه، فإذا كانت هذه العلاقة مبنية على أسس سليمة؛ نشأ الطفل تنشئة اجتماعية صالحة، بحيث يمكن أن نطمئن إلى أنّه سيكون لطيف المعشر مع إخوانه وجيرانه وأصدقائه ومعلميه والناس من حوله، وأن تكون علاقته بوالديه علاقة إحسان ومعروف، ليمتدّ في تعامله مع الآخرين بهاتين الفضيلتين أيضاً.

ج) **البناء الأخروي**: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[2].

فعملية التربية عملية متدرّجة، فقد لا يفقه الطفل في سنيّه المبكرة أنّ هناك عالماً آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه، لأنّه يتعامل بحكم ذهنيته غير الناضجة مع الأشياء والاشخاص تعاملاً مادياً محسوساً.

---

(١) العنكبوت: ٨/٢٩.
(٢) لقمان: ١٦/٣١.

لكنّه سيحتاج في وقت لاحق إلى أن يعرّفه أبوه أنّ هناك عالماً آخر أدوم وأعظم وأرحم من هذا العالم، وأننا يجب أن نؤمن به وبكل ما يتعلّق به حتى ولو لم نره.

د) **البناء الأخلاقي**: وهو الذي تحدّثت عنه آيات (**الصلاة**) و(**الأمر بالمعروف**) و(**النهي عن المنكر**) و(**الصبر**) و(**التواضع**). أي التركيز بعد معرفة أصول الدين على معرفة فروعه، والتلازم القائم بينهما، فهي لا تؤتي ثمارها منفردة، بل باجتماعهما جميعاً، وأنّ الشخصية الإسلامية هي التي تتوفر على جميع هذه المقومات من عبادات وأخلاق.

ب) نظرة السنّة المطهّرة للتربية:

وأمّا نظرة السنّة المطهرة للتربية ودور الأب فيها، فيمكن ملاحظته من خلال هذا الكمّ الكبير للأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وآل بيت النبي عليهم السلام في الاهتمام بتربية الطفل بعد سنيّه السبع الأولى التي تعتبر سنوات لعبٍ ولهوٍ ولغوٍ وعفوٍ.

ولابدّ من إلفات النظر هنا إلى أنّ منظومة الروايات التربوية تشكّل منهجاً تربوياً متكاملاً يجدر بالأبوين توظيفه في عملية بناء شخصيات أطفالهم وأبنائهم وبناتهم.

ففي جانب تغذية الطفل بالآداب والفضائل جاء عن الرسول ﷺ: «**اكرموا أولادكم وأحسنوا إكرامهم**»(١).

(١) بحار الأنوار. ج١٠٤. ص٩٥. ب٤٤. ح٢.

كما جاء عنه ﷺ: «**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن**»[١].

وقال أيضاً: «**ما ورّث والد ولده أفضل من أدب**»[٢].

وفي جانب تغذيته بالعلم ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**مروا أولادكم بطلب العلم**»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين**»[٤].

وعنه عليه السلام: «**بادروا أحداثكم الحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة**»[٥]. أي علّموهم الإسلام قبل أن تسبقكم التيارات الضالّة المضلّة إلى عقولهم لتحرفها عن الخط المستقيم.

وفي الجانب العبادي، جاء الحديث عن الرسول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين...**»[٦].

وفي جانب الحقوق، ورد عن النبي ﷺ: «**من حق الولد على والده: يحسن اسمه، ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ**»[٧].

---

(١) المصدر نفسه. ص١٢٣. ب٤٤. ح١٦.
(٢) بحار الأنوار. ج١٠٠. ص٢٢. ب٣. ح٢.
(٣) المصدر نفسه. ج١٠٤. ص١١١. ب٤٤. ح٩.
(٤) أصول الكافي. ج١٠. ب٤. ص٢٥٠.
(٥) بحار الأنوار. ج٦٧. ص٢٣٩. ب٥. ح٨.
(٦) سنن أبي داود. ح٤١٨.
(٧) كنز العمال. ح٤٥١٩١.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: **«تجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالدته، ويحسن اسمه، والمبالغة في تأديبه»**[(١)].

ولابدّ من الالتفات إلى حق اختيار الوالدة أي الزوجة، فكما أكّدنا سابقاً ونؤكد هنا، فإنّ اختيار الزوجة الصالحة يحقّق سعادتين، السعادة الزوجية بالانسجام والتفاهم والاحترام والطاعة للزوج، والسعادة الأسرية بتربية سليمة لأبنائها وبناتها، يقول الحديث الوارد عن النبي ﷺ: **«من سعادة الرجل، الولد الصالح»**[(٢)].

وفي الجانب العاطفي، جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الله يرحم العبد لشدّة حبّه لولده»**[(٣)].

وجاء عن النبي ﷺ: **«من كانت له ابنة فأدّبها وأحسن أدبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، وأوسع عليها من نعم الله التي اسبغ عليه؛ كانت له منفعة وستراً من النار»**[(٤)].

ويضيف الحديث النبوي الآخر، فيقول: **«مَن ولد له ابنة فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها** ـ أي يفضل الذكور على الإناث ـ؛ **أدخله الله بها الجنّة»**[(٥)].

---

(١) تحف العقول. ص٣٢٢.
(٢) بحار الأنوار. ج١٠٤. ص٩٩. ب٤٤. ح٨.
(٣) وسائل الشيعة. ج٢١. ص٤٨٣. ح٢٧٦٥١.
(٤) المصدر نفسه. ج٥. ص٣٥٧. ب٤. ح٣.
(٥) كنز العمال. ح٤٥٤٠٠.

وفي جانب العدل في المعاملة يقول الحديث النبوي:

«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[(١)].

«إنّ لهم عليك من الحقّ أن تعدل بينهم، كما أنّ لك عليهم من الحقّ أن يبرّوك»[(٢)]..

«اعدلوا بين أولادكم في النُحَل والعطايا والهدايا، كما تحبّون أن يبرّوكم»[(٣)]..

«ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنتُ مفضّلاً أحداً لفضّلت النساء»[(٤)].

ويروى أنّ النبي ﷺ رأى رجلاً يقبّل أحد ولديه، فقال له: قبّل الآخر. وهي لفتة تربوية نبوية رائعة تشير إلى ضرورة العدل حتى العاطفي بين الأولاد، حتى لا يستشعروا التمييز، فهم على درجة بالغة من الحساسية في هذه الأمور.

ومن كلّ ذلك، نخلص إلى أنّ برّ الوالدين الذي هو أمنية كلّ أب وكلّ أمّ لا يتحقّق إلّا ببرّ الأبوين بأولادهم، ونعني أن يربوهم التربية الإسلامية الصحيحة، حيث جاء في الحديث النبوي: **«رحم الله من أعان ولده على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله»**.

---

(١) وسائل الشيعة. ص٣٤٥. ب١٢. ح٤.
(٢) المصدر نفسه. ج٥٨. ص١١٢. ب٣. ح١.
(٣) المصدر نفسه. ج٦٨. ص٣٠. ب٣٣. ح٣.
(٤) المصدر نفسه. ج٩٩. ص٣١٦. ب١٢. ح١٥.

كما جاء أيضاً عنه ﷺ: «**برّوا آباءكم؛ يبرّكم أبناؤكم**»(١).

ومن خلال الأحاديث المذكورة نلاحظ أن الإسلام لم يدع جانباً من الجوانب التربوية التي تبني الشخصية الإسلامية القوية إلّا وأولاه اهتماماً كبيرا.

وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

ولعلّ من أهم حقوق الابن على أبيه أن يمحضه النصيحة، وأن يحيي قلبه بالموعظة، كما جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام مع ولده الحسن عليه السلام حيث يقول له: «**وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي**»(٢).

وأهم ما جاء في هذه الوصية التي تمثل ورقة عمل تربوية لكل أبوين مسلمين يريدان لأولادهما أن ينموا في أحضان الإسلام:

١ ـ **الوصية بتقوى الله ولزوم أمره وإدامة ذكره والاعتصام بحبله.**

٢ ـ **إحياء القلب بالموعظة، وإماتة سلبياته بالزهادة.**

٣ ـ **الاتعاظ بتجارب الآخرين وأخبار الماضين.**

٤ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

٥ ـ **تعويد النفس على الصبر على المكروه.**

والوصية طويلة وغنية ننصح بمراجعتها في كتاب (نهج

---

(١) تحف العقول. ص٢٦٤.

(٢) نهج البلاغة. الخطبة ٢٧٠.

البلاغة)، لدراستها والتأمل فيها والأخذ بما جاء فيها، ولكننا نحب أن نشير إلى قوله عَلَيْهِ السَّلامُ في تلك الوصية: «**أي بني، إنّي لما رأيتني قد بلغت سنّاً، ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي إليك**»[١].

وقوله عَلَيْهِ السَّلامُ: «**استخلصت لك من كلّ أمر نخيله (صفوته)، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك، أن يكون ذلك وأنت في مقبل العمر، ومقتبل الدهر، ذو نيّة سليمة، ونفس صافية، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله عزّ وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه**»[٢].

الأمر الذي يستدعي من كل أب غيور على إيمان وصلاح ابنه أو ابنته أن يأخذ ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ـ بما جاء في بنود هذه الوصية التربوية الخالدة.

شهادات بحق الأب:

سألت إحدى الصحفيات فتاة جامعية: أراك تتحدثين بأسلوب وفلسفة تتخطّى كثيراً سنّك، فمن أين لك كلّ هذا؟

الفتاة: من والدي الذي يرجع إليه الفضل الأول في تكوين شخصيتي، وفي اختيار طريق حياتي.. كنت أراه كتلة من النشاط والحيوية حتى آخر لحظات عمره، وعلى الرغم من كثرة مهامه

---

(١) نهج البلاغة. الرسالة ٣١.

(٢) نفس المصدر.

ومشاغله كان يعرف كيف يوفّق بين كلّ هذه المهام بتنظيم الوقت، وعدم إضاعة أي دقيقة من وقته في ما لا يفيد..

وقد تعلّمت منه أيضاً حبّ القراءة، فقد كان يقرأ كثيراً، وكنت أقول عنه إنّه (موسوعة)، لأني لم أسأله مرة سؤالاً في أي موضوع؛ إلّا ووجدت عنده الإجابة.

وتعلّمت منه أيضاً حبّ السفر والرحلات، فقد كان يعشق السفر، وكان يأخذني معه دائماً في رحلات الصيف، ولا يحرمني قطّ من الاشتراك في أيّ رحلة في المدرسة أو الجامعة.

هو مثلي الأعلى في الحياة، تعلّمت منه الكثير، ومازلت أسير في حياتي على هدي مبادئه وأخلاقياته، وكلّ ما تعلّمت منه مصباح منير يضيء لي طريق حياتي!!

وتجيب امرأة قطعت شوطاً طويلاً في الحياة، على سؤال: من هو الرجل الذي ترك أعمق أثر في شخصيتك، وكيف تجلّى تأثيره؟

المرأة: والدي.. وقد تجلّى تأثيره في جعلي أنتقي الرجل الذي يحمل في أعماقه خصائص الرجولة والإقدام والشهامة والذكاء، بالإضافة إلى طاقة الحنان التي أعتبرها إحدى أهم ميزات الرجل المتوازن.

هذه الشهادات ـ ومنها الكثير ـ تعبّر عن حقيقة أثر الأب ودوره في حياة أبنائه وبناته، حتى قيل: (**لولا المربّي ما عرفت ربّي**).

دور الأم:

دور الأم في التربية أعظم من دور الأب، وإن كنّا نؤكّد على أن الدورين متكاملان متلازمان لا يستغني أحدهما عن الآخر.

فليست (لغة الأم) فقط هي التي يتعلّمها الطفل في طفولته، بل كلّ الخصال الطيبة والخبيثة التي تصدر عن أمّه، لأنّه شديد اللصوق بها، فإذا كان الأب لا يرى ابنه أو ابنته إلّا في ساعات محدودة، فإنّ الأم تقضي معظم أوقاتها معهم، وهذا هو الذي يفسّر سبب العلاقة الحميمة بين الأم وأولادها بدرجة أكبر من علاقتهم بأبيهم، فضلاً عما تمتاز به الأم من دفق الحنان ورقّة العاطفة.

ويجب أن لا يشغلنا التركيز على دور الأم عن أهمية العلاقات الاجتماعية الأولى للطفل، خاصة مع أخوانه وجدّته وجدّه، ذلك أنّ **(السنين الأولى وما يرتبط بها أمر هام في حياة الطفل، ولكنّ طبيعة العلاقات الاجتماعية مع الأم والآخرين تعتبر أكثر أهمية، لأنّها تؤثر على الصورة التي يأخذها الطفل عن نفسه، والدليل على ذلك أنّه على الرغم من أنّ الأم تنهض بكل احتياجات الطفل وتسهر على رعايته، فإنّ خبرات التنشئة الاجتماعية لأغلب الأطفال تتضمن تفاعلاً مع الأعضاء الآخرين في الأسرة النواة وكذلك في الأسرة الممتدّة)**[١].

لكننا وكما سبق أن أكّدنا، فإنّ تربية الأم لأولادها وبناتها

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية. ص٢٣٥.

يترك فيهم بصماتها التي لا تزول مع الدهر، فلقد أكّد رجال كثيرون أن حبّهم الأول هو لأمّهم، كما أن الفتاة أكثر تأثراً بأمّها، ولذا فإذا أردت أن تعرف فاطمة ﷺ فاعرف خديجة ﷺ أولاً، فهذه العظيمة من تلك العظيمة، حتى أننا يمكن أن نعتبر خديجة ﷺ ومن بعدها فاطمة ﷺ أروع نموذجين وأفضل مثالين عاليين للأمهات المسلمات.

وقد تكون الأم مشاركة في الحياة الاجتماعية، وهذا شيء حسن، ولكنّ مشاركتها في الاهتمام برسالتها الأولى، وهي تكوين وتربية جيل مؤمن وأمين وآمن وباعث على الأمن والطمأنينة، يأتي في المقام الأول بين مسؤولياتها الأخرى.

شهادات بحقّ الأم:

كثيرة هي الشهادات التي قيلت بحقّ الأمّ، ولكننا لا نريد أن نستعرض شهادات الإشادة بها، فلقد أشادت بها الأحاديث الشريفة التي ركّزت على الأم أولاً والأب ثانياً، حتى ورد عن الرسول ﷺ أنّ سائلاً سأله:

«أيّ الناس أبرّ يا رسول الله؟

قال: أمّك.

قال: ثم من؟

قال: أمّك.

قال: ثم من؟

قال: أمّك.

قال: ثم من؟

قال: أباك»!

وأن رجلاً جاءه، فقال:

«يا رسول الله عندي دينار فما تأمرني به؟

قال: أنفقه على أمّك.

قال: عندي آخر فما تأمرني به؟

قال: أنفقه على أبيك.

قال: عندي آخر فما تأمرني به؟

قال: أنفقه على أخيك.

قال: عندي آخر فما تأمرني به، ولا والله ما عندي غيره؟

قال: أنفقه في سبيل الله وهو أدناها أجراً»[1].

تقول مديرة (معهد الدراسات النسائية في العالم العربي) عن الأم والطفل:

(لو نظرنا إلى الاثنين؛ لوجدنا من الصعب فصلهما، الطفل بحاجة إلى أم واعية، حكيمة، متعلّمة، مثقفة، وقادرة على تربيته بشكل صالح كي تنمو شخصيته، وكي يكون ناجحاً في الحياة.

والمرأة إذا كانت جاهلة لدورها الأمومي، ولم تتمكن من تربية الطفل ستحصد أجيالاً متعاقبة من الجهلاء)[2].

---

(١) بحار الأنوار. مج٢٣. ج١٠٤. ص٧٠.

(٢) مجلة النساء العصرية.

وسئل أحدهم:

(من هي المرأة التي تركت أعمق الأثر في شخصيتك؟ وكيف تجلّى تأثيرها؟

(قال: أمي، فهي الأرض والعطاء والإبداع والفرح والإلهام.. أمّي هي الشخصية التي تركت أثرها في كياني، فذرّات دمها في دمي، وعروقها تجري في عروقي، وكينونيتها وجمالها وشخصيتها، وحنانها وقسوتها وحبّها وتضحياتها كلّها طبعتني، فأنا منها وهي منّي)[١].

ويجيب آخر عن السؤال نفسه:

(لا أبالغ القول إنّ أمّي تركت أعمق الأثر في شخصيتي.. تعلّمت منها الكثير من القيم الإنسانية، مثلاً: تعلّقها بأولادها جعلني أتعلّق بعائلتي، وبالتالي وطني.. تعلّمت منها: الوفاء والحنان، الصدق والأمانة، الاستقامة ومخافة الله. وإن أنسَ لا أنسَ صورة أمّي وأنا مع أخوتي السبعة تسهر على راحتنا.. تسعد لسعادتنا وتشقى لشقائنا، إنّها مثال الأم المعطاء)[٢].

يقول (نزار قباني):

.. وطفتُ الهندَ طفت السندَ

طفت العالم الأصفرْ..

ولم أعثرْ..

---

(١) المصدر نفسه. سامي الرفاعي.

(٢) المصدر نفسه. خالد حمدي.

على امرأة تمشّط شعريَ الأشقرْ..
وتكسوني إذا أعرى
وتنشلني إذا أعثرْ
أيا أمّي أنا الولد الذي أبحرْ..
ولا زالت بخاطرهِ
تعيش عروسة السكّرْ..
فكيفَ فكيفَ يا أمّي غدوتُ أباً ولم أكبرْ؟!

ولو استعرضنا إجابات أخرى، فسنجد أنّ أعمق القيم وأسماها كان الرجل قد تعلّمها من أمّه، وأنّ فضلها في تربيته لا يعدله فضل، فكلّ ما هو فيه الآن راجع إلى الدروس الأولى التي تلقاها من مدرسة الأم.

ومن هنا، تأتي الدعوة إلى كلّ أمّ مسلمة أن تعطي دور التربية لأبنائها غاية مجهودها، فعلاوة على البصمات التي تتركها في نفسية الطفل والشاب، فإنّها ستنال من الثواب جزيله، لأنّها أفنت زهرة شبابها لإعداد جيل صالح، الخير منه مأمول والشرّ منه مأمون، وهذا هو الذي يفسّر لنا تلك الكلمات الخالدات التي وردت عن الرسول الأعظم محمد ﷺ: «**الجنّة تحت أقدام الأمهات**»[1]!!

مسؤولية الوالدين في تربية الأطفال:

لابدّ في البداية من التأكيد على نقطة جوهرية في تربية

(١) كنز العمال. الحديث: ٤٥٤٣٩.

الوالدين لأطفالهما، وهي أنّ هذه التربية ليست مرحلية ينتهي تأثيرها بمجرد انتقال الطفل إلى المرحلة التالية، وهي مرحلة المراهقة، فكلّ ما يتلقاه الطفل في الصغر وفي المراهقة سيبقى يلازمه في مراحل حياته القادمة أيضاً، ولذا جاء الاهتمام بتربية الطفل في مراحله الأولى تربية سليمة حتى لا يعاني في سنواته اللاحقة من سيئات تربيته في الصغر.

تقول الدكتورة سناء الخولي: (**إنّ الآباء لا يزوّدون أطفالهم بالتوجيه في ما يتعلّق بالأدوار التي يلعبونها في مرحلة معينة من الزمن فحسب، بل إنّهم يوجهونهم أيضاً لأدوارهم المستقبلية.**

فالخبرات التي يتلقاها الأطفال، وخاصة في مجال التعلّم من آبائهم والتي تتعلّق بأدوار الزوج والزوجة، تترك آثاراً بعيدة المدى على زواجهم في المستقبل)[1].

ولكي نضع الزوجين أو الأبوين أمام مسؤولياتهما وواجباتهما التربوية، نرى تقسيم هذه الواجبات كما يلي:

١ ــ التربية الأخلاقية:

وهي تربية الطفل على القيم الأخلاقية الحميدة التي ستتحول مع الأيام إلى جزء لا يتجزأ من شخصيته، حيث (**تضطلع الأسرة بدور أساسي جداً في التربية الأخلاقية، لأنّ الإنسان يقضي شطراً طويلاً من حياته بين أحضانها، وتتشكّل روحه وشخصيته من خلالها. فالأسس الأخلاقية تستقر في ذهن الفرد وفكره في البيت**

(١) الزواج والعلاقات الأسرية. ص٢٣٦.

وتبقى معه إلى الأبد، فإذا كانت الأسرة صالحة؛ فإنها ستنتج أولاداً صالحين، أمّا إذا فسدت؛ فإنّ الأولاد سيكونون كذلك. ولكي نبني الأسس لأخلاق سليمة، لابدّ أن يكون الآباء أفراداً واعين للدين والأخلاق، وأن تكون علاقاتهم فيما بينهم مبنية على التفاهم والاحترام لحقوق بعضهم البعض، وسيادة المحبّة ومعرفة الواجبات والحدود، إلى جانب التوازن المطلوب، ثم يكونوا قدوة لأبنائهم في السلوك)[1].

إنّ الصدق والوفاء والأمانة والإخلاص والسخاء والشجاعة وغيرها من القيم الأخلاقية، كالغراس الصغيرة، تحتاج إلى وقت طويل حتى تنمو وتثمر، لكن على مقدار الرعاية الأولى يمكن التنبّؤ بمستقبل الشجرة.

وهكذا الأخلاق السلبية، فإذا اقتلعت منذ الصغر، نشأ الصبي وهو يكره الحقد والبغضاء والسرقة والكذب والخيانة والغش والعنف وما إلى ذلك.

٢ ـ التربية العبادية الإيمانية:

من المعلوم أنّ العبادات والفرائض تجب على الشاب البالغ، أي أنّها تصبح تكاليفه الشرعية منذ أن يطأ عتبة البلوغ، لكن من المنصوح به تربوياً أن نعدّ الطفل ـ وهو حدث صغير السنّ ـ إعداداً عبادياً يجعله لا يجد صعوبة ولا حرجاً في أداء العبادات حينما تجب عليه.

---

(١) تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، د.علي القائمي. ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

كما أنّنا يمكن أن نشجّع الطفل على أداء العبادة، لاسيما الصلاة في تعليمه الاقتداء بنا، وأن نخبره أنّ صلاته هذه ستكسبه عليها مكافأة من ربّ العالمين الذي يحبّ المصلين.

وهكذا في عبادة الصوم الذي يستحسن أن تكون متدرجة حتى لا يكابد مشقة الجوع والعطش.

وباختصار، فإنّ الأجواء العبادية المحيطة بالطفل تلعب دوراً أساسياً في غرس حبّ العبادة في نفسه، فتبدأ في البداية تقليداً ثم تنتهي إلى الالتزام الواعي.

وكم من منظر أم تصلي وتقرأ القرآن يترك في نفس الطفل صورة لا تمحى عن الصلاة وعن القرآن وعن غيرها من العبادات، ومن هنا قالوا:

(إذا أردت أن يتعلّم أولادك الصلاة والصدق والوفاء ويصبحوا مؤمنين ملتزمين، فعليك من الآن أن تعوّد آذانهم على سماع صوت التكبير والأذان، وتعوّد أبصارهم على مشاهدة صفوف المصلين وهم يركعون ويسجدون أثناء صلاة الجماعة).

٣ ـ التربية العقلية:

للطفل مواهب وإمكانات مودعة في صميم خلقته، وعلى الأبوين مسؤولية تدريب وتنمية وتطوير تلك المواهب الذهنية والعقلية حتى تؤتي ثمارها في مرحلة النضوج.

إن الطفل الموهوب لابدّ أن يتميز ببعض المميزات الخاصّة، وليس بالضرورة أن نعمل على أن يكون أبناؤنا نسخاً طبق الأصل منا

(فأولاد (باخ) كونهم عاشوا في محيط الموسيقى، لم تنم عندهم إلّا موهبة الموسيقى، وكان بالإمكان أن تتحقق لهم السعادة في مجال آخر. لا تجعلوا إذاً من ولدكم إنساناً فاشلاً، ابحثوا عن الميدان الذي خلق له.. وفّروا له الفرصة الحقيقية حتى ولو كانت لا تتلاءم مع رغباتكم الشخصية، واعلموا أنّ عامل أدوات صحيّة ناجح في مهنته، ويعرف كيف ينمّي طاقته، أسعد بكثير من طبيب فاشل، علماً بأنّ هذا الأخير لا يستطيع خدمة مجتمعه)[1].

إنّ تنمية قدرات الطفل العقلية تجري بالتدريج أيضاً، فتعليمه الاعتماد على النفس وتدبير أمره وتصحيح أخطائه وحلّ مشاكله بنفسه أو بالتعاون معه، كلّ ذلك ينمّي ويوسّع مداركه الفكرية والعملية.

وحينما يتمكن الطفل من القراءة بشكل جيد، فلابدّ من زرع حب القراءة في نفسه، فأهمية الكتاب في حياة الطفل لا تظهر بشكل واضح جليّ إلّا بعد حين، والطفل الذي يغرم بالكتاب منذ طفولته سينشأ وهو عاشق للكتب متعطّش لقراءة الجديد منها، وسيكون إنساناً مثقفاً يسعد بصحبته كل من يلتقيه من زملائه وزوجته وأولاده.

وقد يخطئ بعض الآباء والأمهات إذ يتصورون أن هوايات أولادهم تعيق دراستهم، فإذا ما نظّم وقت الطفل والشاب بحيث يعطي لكلٍ من الدراسة والموهبة وقتها؛ كانت الحصيلة عطاءً موفوراً، ذلك لأنّ الموهبة تحرّك وتنشّط الذهنية والنفسية، ما يساعد على إنتاج دراسي أفضل.

---

(١) مجلة (الشبكة) مقال (اكتشفوا مواهب أولادكم).

(وبشكل عام، فإنّ العلاقة المتواصلة بين الأم وطفلها هي التي تجعل الأم تكتشف مواهب طفلها، وبقدر ما نملك أمّاً حكيمة، بقدر ما سنجني طفلاً قادراً على النجاح)[١].

٤ ـ التربية الاجتماعية:

وتبدأ منذ أن يفتح الطفل عينيه على التعامل مع أمّه وأبيه واخوته، ولذا كان من الضروري أن يتدرّب الطفل على أصول التعامل الاجتماعي بالتي هي أحسن، وأن يعلّم اجتناب كلّ ما من شأنه أن يسيء للآخرين.

إنّ تعامل الوالدين مع الأولاد سينعكس على تعاملهم مع بعضهم البعض وعلى تعاملهم مع الآخرين. فتحبيذ ولد على آخر أو تمييزه أو تقريبه أو الإحسان إليه بدون مبرر قائم على جهوده بشكل يحسّس إخوته وأخواته الآخرين بالتفرقة؛ سيترك في نفوسهم جروحاً قد لا تندمل بسهولة.

إنّ من الخطأ والخطورة أن تنمو الأثرة بين الأبناء، لأننا بذلك نجعلهم أعداء لبعضهم البعض من حيث لا نشعر، كما نغرس في نفوسهم الفتيّة نزعة الغيرة التي تحطّم نفسياتهم.

معالجة الغيرة عند الطفل:

نصح بعض المهتمين بالشؤون النفسية لاستئصال الغيرة من نفس الطفل بالطرق التالية:

---

(١) المصدر نفسه.

أ) احترام شعوره، والاهتمام به، وإزالة الشعور بالمظلومية والاضطهاد النفسي.

ب) زرع المحبّة بين الأبناء، حيث إنّ الأم تستطيع بأساليب مختلفة أن تقوّي أواصر الأخوّة بين الطفلين.

ج) زرع الشعور بالمسؤولية إزاء بعضهم البعض، فتحاول الأم أن توحي لكلّ منهم أن ينتبهوا لأخوتهم وأخواتهم في حال غيابهم أو خروجهم إلى المدرسة أو في أثناء الدوام.

د) عدم التفرقة في المعاملة، ذلك أنّ أشدّ ما يسبّب الإزعاج للطفل ويثير أعصابه محاولة تفضيل اخوته عليه، فعلى الأم أن لا تقول لطفلها: أخوك أو أختك أحسن، أو أفضل، أو أجمل، وما إلى ذلك من أفعال التفضيل.

كما أنّ عليها أن تراعي عدم ذكر عيوب طفلها أو تأديبه أمام أقربائه، لأنّ ذلك مدعاة لإذلاله، لأنّ ذلك يجعله يشعر أنّ أقرباءه يفضّلون أخاه أو أخته عليه.

هـ) تشجيعه على التقدّم في سلوكه ودروسه دون مقارنته بأحد، لأنّه على الرغم من أن المنافسة تشجّع على التقدم، إلّا أنّ لها آثاراً جانبية سيئة، فهي تغرس في نفسه الكراهية لمن هم أفضل منه أو متفوقين عليه سواء كانوا أخوة أم زملاء)[1].

---

(١) مجلة (مريم) بتصرف.

وقد أثر عن النبي ﷺ قوله: «**اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف**»[1].

واجبات الوالدين:

وفيما يلي لائحة بالواجبات التي يتعيّن على الوالدين العناية بها إزاء أبنائهم وبناتهم، وهي في المقابل حقوق لهؤلاء على آبائهم وأمهاتهم[2]:

١ ـ إكرام الأطفال:

لقد أوصى النبي ﷺ بإكرام الأطفال وتربيتهم تربية صالحة.. وكان نفسه ﷺ يحترمهم ويكرمهم ويسلّم عليهم ليكون السلام على الصبيان سنّة من بعده.. وكان ﷺ يقول: «**أحبّوا الأطفال وعاملوهم برفق، وأوفوا بوعودكم لهم**».

٢ ـ السلام عليهم:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**يسلّم الرجل إذا دخل على أهله، وإذا دخل يضرب بنعليه ويتنحنح، يصنع ذلك حتى يؤذنهم أنّه قد جاء حتى لا يرى شيئاً يكرهه**».

٣ ـ تقديم الهدايا لهم:

ليدخل الوالد إلى بيته وبيده شيء يفرح الأولاد كهدية لهم ولزوجته، حتى يزرع في قلوبهم الفرح وفي عيونهم الأمل، ويجعل

---

(١) بحار الأنوار.ج١٠٤. ص٩٣.

(٢) استقينا جملة هذه النصائح بتصرّف وزيادات عن كتاب (العلاقات الزوجية).

الحياة حلوة وجميلة في أذهانهم، وذلك من خلال ابتسامته الأبوية وسلامه الدافئ.

٤ ـ تنمية الثقة في نفوسهم:

يجب على جميع الآباء والأمهات أن ينمّوا الثقة في نفوس أبنائهم وبناتهم، حتى لا تكون شخصياتهم هزيلة تنهار أمام أي صدمة أو تجربة فاشلة، وأن يركزوا على طاقاتهم وقدراتهم في تجاوز ذلك.

٥ ـ عدم تحقيرهم:

من الخطورة بمكان أن يحقّر الأب أو الأم ابنهما أو ابنتهما، فكما أنّ الكلام اللطيف يبعث على الأمل والسرور ويكون مصدر سلامة وقوة للأولاد، فإنّ التهكّم والسبّ والكلام البذيء والدعاء بالشرّ وعبارات التصغير والإهانة، تجعل من الطفل السليم والنشيط إنساناً يائساً مشلولاً ضعيفاً، والله تعالى يقول: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]. ويقول الإمام الباقر عليه السلام في هذه الآية: «﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ **أحسن ما تحبّون أن يقال لكم**».

٦ ـ اجتناب العنف معهم:

من الصحيح القول بأنّنا يجب أن نمنع الطفل من التعوّد على الأعمال والتصرّفات الخاطئة وغير السليمة، ولكن يجب أن لا يتمّ ذلك عن طريق العنف والشدّة والكلام البذيء والصراخ.

---

(١) البقرة: ٢/٨٣.

فعلى جميع الأمهات والآباء أن يعلموا أنّ الطفل يولد جاهلاً وضعيفاً، وهو يزداد فهماً وقوةً شيئاً فشيئاً، ولهذا يجب أن يأخذوا بعين الاعتبار مستوى قوته وفهمه ودرايته.

٧ ـ تدريبه على ترك العادات السيئة:

يجب أن لا نعلّم الطفل عادة سيئة، ولا ندعه يكرر التصرفات الخاطئة بحجّة أنّه صغير وإذا كبر فسوف يتركها، فالعادة السيئة، كما هي العادة الصالحة تنمو معه، وقد يتعذّر إقلاعه عنها، وقد قال علي عليه السلام: «**العادة عدوٌّ تَمَلّك**».

وفي مقابل ذلك لابدّ من تدريب الطفل على العادات الحسنة، حيث إنّ أعضاء جسمه وذهنه وروحه وفكره تبدي كلّها مرونة أكثر واستجابة أكبر للتصرّفات التي كرّرها في حياته، وهذا هو معنى التعوّد، وكما نؤنّبه على السيئات؛ يجب أن نكافئه على الحسنات، حتى يتعوّد على الخير والصلاح والطاعة، ويبتعد عن الشرّ والسوء والمعصية.

٨ ـ قدّموا لهم النصائح:

إنّ نصائح الوالدين وتوجيهاتهما للأبناء تعتبر ضرورية، وهي أفضل وأثمن هدية يمكن أن يقدّمها الوالدان لأبنائهما وبناتهما، ولكن على الرغم من أنّ النصيحة والموعظة تؤدّي إلى النمو والتكامل، وتبعث على الحياة، لكن لا ينبغي أن نقدّم النصحية أمام الآخرين من أخواته وأخوته ـ كما ألمحنا إلى مثله سابقاً ـ،

لأنّها قد تسيء إلى سمعته وتكسر شخصيته أمامهم. نعم، إذا كانت النصيحة عامّة وليست موجهة لأحدهم فلا بأس.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظ أخاه علانية فقد شانه**».

٩ ـ خصّصوا جانباً من أوقاتكم لهم:

جدير بالأب والأم أن يخصّصا جزءاً من وقتهما للاهتمام بشؤون البيت والأولاد ومتابعة نشاطاتهم ودراستهم والتحدّث معهم وتربيتهم، وهذا من أفضل أعمال الخير، فالنبي ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[١].

وفي هذا المجال، يفضّل أن يتناول الأب طعامه داخل البيت مع زوجته وأولاده، فتلك من الأجواء المساعدة على المحبّة والصفاء وتبادل الكلام معهم والتبسّم في وجوههم، ومشاركتهم ما يحبّون ـ كما ذكرنا سابقاً ـ.

وفي الحديث عن النبي الأكرم ﷺ: «**ما من رجل يجمع عياله، ويضع مائدته، فيسمّون في أول طعامهم، ويحمدون في آخره فترفع المائدة؛ حتى يغفر لهم**»[٢].

ويقول ﷺ: «**جلوس المرء عند عياله؛ أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا**»[٣].

---

(١) وهج الفصاحة في أدب النبي ﷺ. ص٤٤٧.
(٢) وسائل الشيعة. ج١٦. ب١٢. ح٣. ص٤٢٢.
(٣) ميزان الحكمة. ج٤. ص٢٨٧.

١٠ ـ اجتنبوا الضرب المبرّح:

من أساليب التربية الخاطئة استخدام العنف مع الأطفال البالغين، حيث مازالت بعض الأمهات والآباء يقومون بتعذيب أبنائهم ظنّاً منهم أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتقويم سلوكهم، يضربونهم ضرباً مبرّحاً تحمرّ وتزرقّ وتدمى له جلودهم!! علماً أنّ الشريعة الإسلامية لا تجيز ذلك، بل تحرّمه وتوجب دفع التعويض للطفل وحفظه له كأمانة حتى يصبح بالغاً راشداً فيستلمه أو يصرف على شؤونه، كما أن الشريعة قد تعاقب الضارب في بعض الحالات، إلّا أن يكون تأديباً خفيفاً يشعرهم بالتأنيب.

وإلّا فالطفل أو الشاب الذي يعذّب في بيته ومن قبل أهله سيصبح إمّا ناقماً على البيت والمجتمع فيتحول إلى مجرم، أو ينكمش فيتحوّل إلى شخصية ذليلة هزيلة خانعة مستكينة، وكلاهما تحطيم للشخصية.

١١ ـ حذار من الازدواجية:

وتجدر الإشارة إلى أن التعليمات الصادرة من أحد الأبوين يجب أن لا تختلف وتتناقض مع تعليمات الوالد الثاني لأنها ستخلق حيرة وقلقاً وارتباكاً لدى الأطفال، فلابدّ من التنسيق والتفاهم بين الأبوين في أساليب تربية الأولاد.

١٢ ـ كونا قدوة لهم:

وتبقى مسألة القدوة في ذلك وفي غيره هي الأهم، فالأبوان يجب أن يكونا قدوة لأولادهما وبناتهما في سلوكهما وأخلاقهما

وتعاملهما وعباداتهما وتفكيرهما وآرائهما، لأن البيت هو المدرسة الأولى التي تزرع فيها الفضائل وتُجتَثُّ فيها الرذائل.

مسؤولية الوالدين في تربية المراهقين:

قد يخطئ الوالدان إذا تصوّرا أنّ سن المراهقة هو مجرد دخول الفتى أو الفتاة سنّ البلوغ، فالدخول ليس مباغتاً ولا يأتي على حين غرّة وبلا سابق إنذار، فالسنوات الثلاث أو الأربع التي تسبق المراهقة هي سنوات التمهيد لهذه المرحلة، وكلّما كانت التربية والتعامل مع الفترة التي تسبق المراهقة سليمة وخالية من العقد البيتية؛ أمكن الاطمئنان إلى مراهقة طبيعية وسليمة النتائج.

إنّ مشكلات المراهقة، كما يؤكد الكثير من علماء النفس، لا تنجم عن أشياء خارقة في هذه المرحلة، إنّما هو الشعور الأسري أنّ الصغير الذي كان بالأمس صغيراً لا يزال صغيراً، فتنشأ مشكلة الفهم والتعامل بموجب هذا الفهم، والواقع أن صغير الأمس أصبح رجلاً أو امرأة، والشرع الإسلامي حينما يضعه على قدم المساواة في الفروض والتكاليف والمسؤوليات مع الكبار، فإنّه يراعي هذه النقطة بدقّة في وقت مبكر.

وغير خافٍ على المربين أنّ هذه المرحلة الانتقالية من طفولة لاهية إلى رجولة أو أنوثة مسؤولة، شأنها شأن الكثير من مراحل الانتقال، يصاحبها بعض التوتر والقلق وعدم نضوج الرؤية والاختلاف مع الآخرين.

لكنّ ذلك لا يشكّل عقبة لا يمكن تجاوزها، وكما سيتضح،

فإنّ أسلوب التعامل الفنّي الواعي لخصائص هذه المرحلة؛ يقي الوالدين الكثير من المتاعب.

الإحسان والطاعة:

على سبيل المثال، هناك إساءة فهم للكثير من المصطلحات التربوية والاجتماعية التي تجعل من المراهقة مشكلة، وما هي بالمشكلة، كالفرق مثلاً بين مفهومي **(الإحسان)** و**(الطاعة)**، إذ يندر أن تجد في الآباء والأمهات من يتحدث عن الإحسان، فالحديث عن المراهقين حديث الطاعة المفترضة، وإلّا فهو العصيان والتمرّد والعقوق.. كلا! ليس الأمر بهذا الشكل.

إننا في الوقت الذي ندعو الوالدين إلى أن يوفّرا الأرضية التربوية المناسبة للطاعة، وإلى جعل الأبناء يقبلون على ذلك بمحض إرادتهم وقناعتهم وحبهم واحترامهم لوالديهم، لا بالضغط والإملاء، نذكّر أنّ الله لم يطلب من الأبناء والبنات الطاعة المطلقة غير الواعية للوالدين، بل طالبهما بالبرّ بهما والإحسان إليهما: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[(١)]. ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[(٢)].

والبرّ والإحسان تعامل أخلاقي مرن وليس إلزاماً عملياً صارماً.. أجل لا يبعد وجوب طاعة الوالدين في الأوامر الإشفاقيّة، أي بما فيه شفقة على الولد وصيانة له.

---

(١) الإسراء: ١٧/٢٣.

(٢) مريم: ١٩/٣٢.

الحزم والقسوة:

ويخلط بعض المربين من الآباء والأمهات أحياناً بين مفهومي (الحزم) و(القسوة)، فالشائع في بعض البيوت أنّ الأب الحازم والأم الصارمة هما اللذان يضيّقان الخناق على أولادهما وبناتهما لدرجة الحرمان واستخدام العنف أحياناً، مع أنّ الحزم شيء من العقل، والقسوة انفعال، والحزم مع إخراج مرِن يُصْلِح، والقسوة تفسد أكثر مما تصلح، والحزم يمسك العصا من الوسط، أما القسوة فتطرّف.

وإذا كان الحزم يربّي في شخصية الشاب المراهق والفتاة المراهقة مسؤولية الالتزام والاتزان، فإنّ القسوة، لاسيما المفرطة، تخلق شخصيات هزيلة مهزوزة وربما مشلولة، وبذلك فإنّ الحزم مع الأسلوب المرن يبني، والقسوة تهدم.

المراقبة والتجسس:

وهكذا القول في (المراقبة) و(التجسس)، فليس من الصحيح أن يترك الحبل على الغارب، فيكون (الوالدان) كالزوج المخدوع آخر من يعلم، لكن ثمة فرقاً بين أن نراقب سلوك أولادنا وبين أن نتجسّس عليهم في كلّ صغيرة وكبيرة.

فالشاب والفتاة يجنحان في هذه المرحلة إلى نوع من الاستقلالية الذاتية كجزء من الشعور أنهما لم يعودا طفلين. وقد يدفع الحرص أو الخوف الأبوين إلى تفتيش الأوراق الشخصية والحقائب، والإنصات للمكالمات الهاتفية واجتياح الغرف بدون

استئذان، وانتهاك ما يعتبرونه أسراراً، ومن المعروف أنّ الأسرار من الناحية الشرعية تعتبر منطقة مقدّسة.

المطلوب إذاً الرقابة، بل الإشراف والرعاية وليس التجسّس. والمراد بالمراقبة أو الاشراف: المتابعة غير المباشرة لحركات وتصرّفات وعلاقات الشبان والفتيات، وكلما منح الوالدان أولادهما الثقة بحيث يشعرون أنهم أصدقاء حقيقيون، فإنّ الأولاد لن يتردّدوا في الكشف أمام ذويهم عن أخطائهم وتصرّفاتهم في الخارج.

ولابدّ من التنبيه هنا في شمول الجنسين بالمراقبة والإشراف والرعاية وليس الفتيات دون الفتيان، لأنّ لذلك آثاره النفسية السيئة التي لا تخفى على الأبوين اللبيبين.

الولاية والرعاية:

وكذلك الحال مع مفهومي (الولاية) و(الرعاية)، فالأبوان مسؤولان عن تربية ورعاية أبنائهما حتى يبلغا سنّ الرشد، فإذا بلغا تلك السنّ تتحوّل الولاية أو الوصاية إلى: صداقة حميمة ومشورة وتبادل الآراء، فالشاب البالغ العاقل والفتاة البالغة الرشيدة شخصيتان مستقلتان استقلالاً شرعياً وقانونياً إذا بلغا سنّ الرشد. يقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[1].

إنّ الرعاية الأبوية تبقى ملازمة حتى بعد زواج الأبناء

---

(١) النساء: ٤/٦.

والبنات، بمعنى حاجة الاثنين لآراء ومقترحات وتوجيهات أسرهما فيما يصلح ويبني حياتهما الزوجية على الأسس الصحيحة. أمّا الولاية فتنتفي بمجرد أن يصبحا راشدين يقدّران عواقب الأمور، ويحسنان التصرّف في ما تحت أيديهما من أموال، وفي ما يبنيان من علاقات. وإن كان الأحوط للفتاة البكر استئذان وليِّ أمرها وهو أبوها أو جدّها لأبيها إذا أرادت الزواج، كون الزواج خطوة مصيرية يرتّب عليها أعباء الحمل والولادة ومسؤولية الأولاد، بينما لا يحتاج الشاب إلى هذا الاذن في الزواج لأن هذه الأمور لا تترتب عليه جسدياً.

إن التربية الإسلامية تخلق حالة من التواصل الاجتماعي الدائم بين الأجيال، فليس ثمة انفصال عن الجو الأسري والاجتماعي حتى بعد الزواج، فالوالدان يشعران بالحاجة النفسية لجمع الشمل والتفقّد من قبل الأبناء والتعاون في السرّاء والضرّاء، وكذلك لابدّ أن يجعل الأبوان من نفسيهما حاجة ومرجعاً لأولادهما في أي مشكلة أو صعوبة أو قضية ملحّة تحتاج إلى خبرة الأهل وتجربتهم.

إرشادات في تربية المراهقين:

وحتى يتمكن الوالدان من إدارة مرحلة المراهقة إدارة ناجحة، ولكي نتيح لهما ممارسة مسؤولياتهما إزاء أبنائهما في هذه المرحلة الحسّاسة من العمر، ارتأينا أن نشير إلى بعض الإرشادات التي أثبتت جدواها في التعامل مع المراهقين:

١ ـ لنتذكر كآباء وكمربين أنّ المراهقة مرحلة طبيعية، وأنّ الكثير من السلوكيات الصعبة ستتحسَّن بتقدّم عمر المراهق واكتمال نضجه.

٢ ـ لنكن قريبين من قلوب أبنائنا وبناتنا في هذه السنّ، فذلك مما يسهّل عملية الفهم والتفاهم بيننا وبينهم، فبالحب والحنان والإشعار بالحرص والاحترام تتذلل الكثير من الصعوبات ويذوب الكثير من الجليد.

٣ ـ إنّ المناخ العائلي الصحيح والسليم، أي الذي يعيش حالة من الشورى والتشاور والنصح والتناصح والنقد وقبوله من الطرفين؛ يجعل التربية أسهل وأنفع وأكثر تأثيراً في الشخصية المستقبلية للشاب أو الفتاة.

٤ ـ يقول علماء النفس إنّ المراهقين يرفضون أو يتذمّرون من الأوامر، لكنّهم أكثر استجابة للطلب والاقتراح، كما لو تقول للمراهق: ما رأيك بهذا؟ حبذا لو تصنع كذا. أليس من الأفضل أن تفعل ذلك؟ سأكون شاكراً إذا قمت بهذا العمل.. وما شاكل.

٥ ـ لنمنح المراهق فرصة أن ينمّي خبراته ويتعلّم من أخطائه، ولا نحاول توجيهه في كلّ صغيرة وكبيرة، فالبعض لا يريد لابنه أو ابنته أن يخطئ، وهذا ما لا يمكن أن يكون، فالوقوع في الخطأ والفشل في التجربة أمرٌ طبيعي في مثل هذه السنّ، بسبب نقص التجربة وقلّة الخبرة في الحياة، فالمهم أن نعلّمهم كيف يستفيدون من أخطائهم وتجاربهم،

نعم.. لابدّ من تنبيههم لتجنّب الأخطاء الفادحة قبل وقوعهم فيها..

٦ ـ لنكن مرنين مع شبابنا وفتياتنا في الأمور التي لا تتعارض مع الدين والخلق والنظام، وما عدا ذلك فيمكن التساهل فيه أو غضّ الطرف عنه، أو تركه لهم حتى يعيشوا مسؤولية أعمالهم.

٧ ـ لنسمح لأبنائنا المراهقين وبناتنا المراهقات بالتعبير عن مشاعرهم وتذمّرهم ورضاهم وسخطهم، فالبيت هو المحضن الأول الذي يتربيان فيه على الرفض والقبول والمعارضة والتأييد والشورى.

٨ ـ عندما نضع قاعدة للسلوك المقبول، لنحاول أن نشرك المراهقين من أبنائنا وبناتنا في مناقشتها وتوعيتهم بأهميتها، فالاقتناع أمر مهم بالنسبة إليهم، كما أنّ الاملاء والفرض أمر لا يستسيغونه.

٩ ـ ليتفق الأبوان على أسلوب موحّد للتعامل مع المشكلات الخاصّة بالمراهقين، حتى يشعر الأبناء أنّ الأوامر والنواهي ليست مزاجية أو ذوقية، بل تصبّ أولاً وأخيراً في مصلحة الشاب أو الفتاة.

١٠ ـ لننفتح على المراهقين في مناقشة المواضيع الحساسة، كالمخالفات الدينية أو الانحرافات السلوكية والاخلاقية، ولندعّم وجهات نظرنا بالأمثلة والأدلة المقنعة، ولنبدِ الاستعداد للمساعدة في تعديل السلوك، وأن نتفهّم مشاعرهم

وحاجتهم الشديدة إلى حبّنا واحترامنا الدائم ودعمنا المتواصل لهم.

١١ ـ لابدّ أن نلتفت إلى أنّ تأثير البيئة والمحيط على الأطفال والمراهقين أشدّ بكثير من تأثير التربية البيتية عليهم كما أثبتت التجارب أخيراً، لذا علينا تهيئة التربية الصالحة لأولادنا باستمرار، وأخيراً نورد هذا النصّ من (تربية الشباب) للدكتور القائمي[١] عن مسؤولية تربية الشبان والفتيات:

(إنّنا مسؤولون إزاء هؤلاء، وعلينا أن لا نغفل عنهم، ولابدّ من إغناء أفكارهم وثقافتهم، وأن نحميهم من الانحراف، ونوجههم وجهة صالحة، ونمنع تراجعهم في مجال العلم والعاطفة وأداء الواجبات.

فإذا ما وقعوا بأخطاء؛ يجب أن لا نخدش احترامهم أو نستهزئ بهم، لأنّ ذلك يخلق الألم والمشاكل، بل العكس لابدّ من توجيههم ليصبحوا أفضل وأن ينغمسوا في الأعمال.

ولابدّ من عدم النظر إليهم بعين من يتفقّد عيوبهم، ومن الأفضل أن يمنحوا رأس مال بسيط، حتى يتمكنوا من ممارسة استقلاليتهم الحالية وبناء شخصيتهم الواثقة، وعلينا أن لا ننسى أن أفكارهم وأرواحهم في حال نمو وتطوّر، فهم يحبّون اكتشاف المجاهيل بشدّة، كما أنّ ذاكرتهم قوية،

---

(١) انظر (تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه) د. القائمي. ص٢٧٢.

وكذلك قدرتهم على الاستنباط، ولابدّ في التعامل الإيجابي مع مثل هذه الكنوز من أرضية فكرية ووعي مناسب وروحية ميالة إلى الدين والعدل والأخلاق).

الأسرة المسلمة في الغرب:

أتاح الإسلام الهجرة إلى الأرض غير الإسلامية شريطة أن لا يضعف التزام المؤمن والمؤمنة ودينهما في الخارج.

اليوم وقد اتسع نطاق الجاليات المسلمة في ديار الغرب، وراح العديد من الفقهاء يتحدثون عن فقه الاغتراب والمغتربين، نجد، ونحن نبحث في شؤون الاسرة المسلمة، أنّ من الضروري إفراد وقفة لهذه الاسرة التي سبق لنا أن عقدنا مؤتمراً خاصّاً حول مشكلاتها سنة ١٩٩٢م في مؤسستنا (المجمع الإسلامي الثقافي) في ديربورن ـ ديترويت ـ ولاية ميشيغان الأميركية.

هنا نورد أهم النقاط التي جاءت في بحوث المؤتمرين، لأنّها تلتقي عند نقطة التحذير من مغبّة ترك الأسرة دون اهتمام ديني، روحي، تربوي، ثقافي، واجتماعي يحصّنها من مخاطر الذوبان غير المحسوب في الهجرة والاغتراب.

إن نمط الحياة وشرائط العيش وأساليب التعامل وبناء العلاقات، كلّ ذلك يفرض أن نجعل الأسرة المسلمة في منأى ومنجى من الرياح الهابّة من هذا الطريق أو ذاك، لئلا تنبهر الأسرة فتذوب في الأجواء والقيم السلبية للحياة العصرية، ولئلا تعيش العزلة والانكماش فلا تقوم بدورها المطلوب ولا تندمج بشكل

واعٍ ومحسوب في مجتمعاتها الجديدة، وأن تحافظ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، على قيمها وآدابها ودينها مع مزيد من المرونة والانفتاح الواعي المحسوب، وإلّا فإنّ الانعزال سيهمّشها من جهة، والذوبان المطلق سيلغيها من جهة أخرى؛ وإن المكاسب المادية في الذوبان مهما تكن عظيمة، لا تعادل خسارة إبن أو بنت من الأسرة في ميزان الإسلام.

ولقد كانت الكلمة التي أجمع عليها المؤتمرون، وهم ممن عاش في الغرب، وعرك بعض مشاكل العيش فيه، ودرسها وعالجها واقترح حلولاً لها أنْ: (**أصلحوا العائلة؛ تصلح الجالية**).

مشكلات الأسرة المسلمة في الغرب:

إنّ أهم المشاكل التي تعصف بالجالية المسلمة في الغرب وأميركا، هي:

١ ـ ضعف التواصل التربوي مع الأجيال النابتة في تلك الديار، أي انحسار الدور الوالدي، إمّا بسبب انشغال الأبوين، أو بسبب منافسة المدرسة والتلفاز والشارع لدورهما الأصيل.

٢ ـ إنّ مدارس الاغتراب تقدّم العلم، لكنها لا تقدّم الزاد الروحي، ما يجعل الطالب ينمو نموّاً ذهنياً مادياً بحتاً، وإذا أضفنا إلى هذه المشكلة مشكلة ضعف الدور الأسري في البناء الإيماني والروحي، نصبح أمام مشكلة غاية في التعقيد. وبالطبع نحن لا نتحدث بالمطلق، فهناك من الأسر

من تمكّنت من الحفاظ على هويتها الإسلامية، وعلى رعاية أبنائها وتحصينهم ضد أشكال الانحراف والضياع.

٣ ـ تدهور العلاقات الزوجية، ونشوب مشكلات جديدة لم تكن مطروحة في الأوطان، أو أنها كانت موجودة لكنّها طفيفة، غير أنّ أسلوب العيش وطرق التعامل هنا هددت الحياة الزوجية من الداخل وبتنا نسمع الكثير من حالات الطلاق ولأسباب تافهة أحيانا.. فالمرأة في بعض الأحيان تدخل في صراع مع زوجها بسبب استقلاليتها المالية، أو تلقيها ثقافة عصرية غير مدروسة تجعلها ـ ومن دون وعي للمخاطر المترتبة على ذلك ـ تتبع نموذج المرأة المنحلّة أو اللامبالية، وسواء شعرت أم لم تشعر، فإنّ النتائج المؤسفة لصراع الأزواج أدّى إلى تدمير الكثير من الأسر المحافظة العربية والمسلمة بسبب الاختلاف الكبير بين المجتمع الذي رحلت عنه الأسرة والمجتمع الجديد، في مدى الحريّة والاختلاط والاستقلالية وأنماط القيم المختلفة التي تؤثر في كلا الزوجين وتُبدّل أنماط حياتهما وتزلزل تكوين الأسرة..

٤ ـ مشكلة الإعلام الذي يوظف فرقاً متخصّصة لغرس القيم المادية فقط، حيث التركيز في الإعلانات والدعايات والأفلام على الأطعمة والسيارات والأثاث والإباحية الجنسية واللهو العابث، ما يترك تأثيره في نفوس البالغين والناشئة معاً، وقد اتضح أنّ من بين المشكلات التي تعاني منها بعض الأسر: وقوعها تحت تأثير الدعايات والإعلام غير المسؤول أسوة بالعديد من الأسر المفككة الضائعة.

المشكلات الأساسية الأربع:

هذا وقد لخّص بحث طُرِح في مؤتمرٍ تناوَلَ المشكلات التي تواجه الأسرة المسلمة في الغرب، بأربع، نبرمجها ونصححها كما يلي[١]:

١ ـ المشكلات الأخلاقية، كالتالي:

أ) التربية التي لا تعلّم الأخلاق في المدارس.

ب) المحيط الاجتماعي السلبي وغير الملائم.

ت) وسائل الإعلام المفسدة.

ث) قلّة المظاهر والمراكز الدينية والعبادية.

٢ ـ المشكلات الاعتقادية، كالتالي:

أ) إنّ التعليمات المدرسية ليس فيها قواعد وأسس للمعرفة الربانية.

ب) طرح الكثير من الشبهات والاعتراضات في العقيدة دون معرفة جوابها.

ت) قلّة الدعاة والمبلّغين والمربين الإسلاميين، المدرَّبين على فهم سيكولوجية المجتمع الجديد وأنماطه ولغته.

ث) قلّة وجود الكتب الاعتقادية باللغات الحيّة، لكنّ الانترنت سهّل نقل المعرفة.

---

(١) نفس المصدر. ص٩٨.

٣ ـ المشكلات الاجتماعية، كالتالي:

أ) ظروف العمل القاسية لا تدع مجالاً للوالدين لأداء مهمتهم التربوية.

ب) ضعف الروابط والعلاقات بين المغتربين في بعض الجاليات.

ت) عدم وجود المحيط المناسب لإقامة المراسيم الاجتماعية كالزواج والأعياد وغيرها في بعض المدن غير الآهلة بالعرب والمسلمين والمهتمّين بالقيم الروحية.

ث) قلّة المراكز الإسلامية التي تتدارك عجز الوالدين وتقصيرهم القسري في بعض الاصقاع النائية عن الجاليات الكبيرة.

٤ ـ المشكلات والأمراض النفسية والروحية:

أ) الإحساس بالدونية عند البعض، وقد بدأت هذه الحالة بالانحسار.

ب) الإحساس بالهزيمة والضياع، ونسيان الجوهر الثمين للإيمان والإسلام.

هذه هي المشكلات الأربع. وبعد مراجعتنا للاقتراحات، تبيّن أنّ أهم الحلول لمشاكل الأسرة المغتربة تتصل بالبيت والمدرسة والمجتمع.

مكامن حلول المشاكل الأسرية:

١ ـ البيت:

أ) اختيار الزوج أو الزوجة الصالحة للأسرة (الشريك الملتزم بأحكام الإسلام ومعرفة القرآن).

ب) الاهتمام بتربية الأولاد وإعطائهم الوقت الكافي، وتلك هي مسؤولية الأبوين اللذين يجب أن يفكّرا باقتطاع جزء من وقتهما لتربية أولادهما، وإلّا ضاعت الأسرة وتفكّكت.

ت) تكلّم اللغة العربية في البيت لتشجيع الأولاد على تفهّم لغة القرآن الكريم وسنّة النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ، كما يمكن توفير فرص العطل الصيفية لتقديم دروس في تعلم اللغة العربية وتقويتها، يضاف إلى ذلك توفير الكتاب العربي المناسب والاستفادة من الفضائيات العربية النظيفة السليمة.

ث) ضبط التلفزيون في البيت، وإغلاق كلّ القنوات الفاسدة المفسدة.

ج) عدم التشجيع على عمل المرأة خارج البيت، وذلك من أجل أن تتفرّغ لتربية أبنائها وبناتها جيداً.

ح) تقوية صلات الرحم، فذلك يوثق العلائق الاجتماعية الأسرية والإسلامية، ويدعو إلى تفاعل التجارب والخبرات، للوصول إلى الأفضل.

خ) تشجيع الجوّ الروحي بتلاوة القرآن والأدعية، وإقامة الصلاة،

والمواليد النبوية الشريفة، ومجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

د) تأسيس المكتبات الإسلامية في البيوت وفي كلّ محلّة يقطنها مسلمون..

ذ) مكافحة الطلاق مادامت هناك حلول شرعيّة تتفاداه وتصلح الحياة الزوجية.

ر) مساعدة الأولاد في اختيار الزوجة الصالحة، والفتيات في اختيار الزوج الصالح قبل تورّط الفتى أو الفتاة مع شريك غير صالح.

ز) السلوك المستقيم للوالدين كقدوة ونموذج تربوي للأولاد يتأثرون به ويقتفون خطاه.

٢ ـ المدرسة والثقافة:

أ) إنشاء مدارس إسلامية خاصة أو مدارس محافظة تعلّم القيم الروحية المشتركة بين الأديان للجاليات ذات الصبغة التعددية المحافظة على اللغة، وعلى التواصل الاجتماعي والقيم الروحية والعفاف، وتلقي الزاد الإسلامي الديني المتفهم للعصر.

ب) قراءة القرآن والكتب الإسلامية لبناء الشخصية الإسلامية القادرة على مواجهة تيارات العصر السلبية.

ت) إقامة دروس دينية وفقهية من قبل العلماء.

ث) دعم سلوك الشبّان والفتيات الملتزمين في المدارس، ومساندتهم في تعميم القضايا الإسلامية ونشرها.

ج) تقوية المدرسة العربية واللغة العربية في المدارس، فما لم نفعل ذلك، فإنّ من الصعب أن يتلقى أولادنا الثقافة والمعرفة الإسلامية إلَّا بجهد جهيد.

ح) احترام الذات والكرامة الإنسانية، ونشر ثقافة العزة الإسلامية، ونبذ روحية الحقارة والدونية والشعور بالنقص من الالتزام بالإسلام وقيم الدين، والتأكيد على عظمة الإسلام والتأريخ الحضاري والفكري والفلسفي والسياسي والعلمي العظيم للعرب والمسلمين دون التنقيص والاستهانة بالإيجابيات والانجازات العظيمة للأمم الأخرى، ولاسيما للمجتمع الجديد الذي انخرطنا فيه وأصبح جزءاً من هويتنا.

خ) تنمية الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمنظور.

د) تهيئة معلمين إسلاميين لتعليم الطلّاب والطالبات وتربيتهم تربية إسلامية ملتزمة.

٣ ـ المجتمع:

أ) الهجرة إلى المناطق والمجتمعات والتجمّعات الإسلامية في دول الاغتراب والسكن مع الجاليات الإسلامية.

ب) ارتياد المراكز الإسلامية وحضور المناسبات الدينية، وتجنّب

الأماكن الفاسدة كالنوادي الليلية وحفلات الشرب والطرب والأعراس الاباحية.

ت) اختيار الأصدقاء المؤمنين، والابتعاد عن السيئين.

ث) التركيز على البرامج التلفزيونية والإذاعية الإسلامية.

ج) إيجاد أماكن الترفيه والتسلية الإسلامية وارتيادها.

ح) إعداد أنشطة رياضية للأطفال والجيل الجديد.

خ) إقامة نوادٍ اجتماعية وثقافية ورياضية إسلامية لاستيعاب طموحات ورغبات وهوايات الشبّان والفتيات الإيجابية.

د) تقوية العلاقات الأخوية بين الجاليات الإسلامية، وبين الأسر، ونبذ النزاعات، ودعوات الفرقة التي تزرع الأحقاد والإحن في القلوب والنفوس بين أفراد الأسرة والمجتمع.

ذ) تشجيع تنظيمات الشباب الاجتماعية الثقافية والروحية.

ر) ضرورة وحدة العمل والتوجهات، وتوحيد توجّهات العلماء والمراكز الإسلامية في اطار عمل جامع منظّم هادف لتسهيل شدّ أزر الأسر المسلمة وتهيئة أجواء المجتمع الفاضل.

ز) تسهيل فرص الزواج أمام الشبّان والفتيات، وعدم المطالبة بالمهور الغالية أو وضع الشروط المعقّدة.

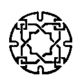
س) ضرورة تقوية العلائق وزيادة وتيرة التفاعل بين الجاليات الإسلامية أو الأسر المسلمة والمؤسسات الدينية.

ش) العمل الجماعي لمواجهة المخدرات والمتعاطين لها ومعالجتهم، وتبيان مخاطرها وأضرارها الصحية والنفسية والدينية والأخلاقية.

إن الأسرة العربية والمسلمة، والأسرة المحافظة في الغرب أمام مسؤوليات إضافية غير تلك التي عرفتها تأريخياً أو توارثتها عن الآباء، أو تعاملت بها وعلى ضوئها في أرض أوطانها وبلدانها الأصلية.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].



(١) التحريم: ٦/٦٦.
(٢) الزمر: ١٥/٣٩.

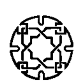


خلاصة البحث

تبيّن لنا أن الثقافة الزوجية على هدي الإسلام وضوء مبادئه وشرائعه ليست ترفاً كمالياً، وأن التربية الروحية والإسلامية ليست هامشية أو ثانوية، وإنّما هي ثقافة يجب أن تأتي في الصميم من اهتمامات الزوجين.. فعلى ضوء دقة وسلامة الاختيار لشريك المستقبل يمكن النظر إلى صورة الحياة الزوجية والأسرية المقبلة، ولذلك شدّد الإسلام كثيراً على هذه النقطة التي أعطيناها مساحة واسعة من بحوثنا، وبالتالي فإنّ المشاكل الزوجية التي تنشب فيما بعد، ترجع في أحد أهم أسبابها إلى سوء الاختيار أو عدم التدقيق فيه جيداً، ولا مجال فيه للحديث دائماً عن الحظّ والنصيب إلّا بشكل محدود.

هذا وإنّ الثقافة الأسرية من حيث إدارة شؤون البيت وتوزيع مسؤولياته وتربية الأولاد والأطفال والمراهقين، هي ثقافة مكمّلة للثقافة الزوجية ولا تنفصل عنها، وعلى مقدار الفهم والاهتمام بها ينشأ البيت السعيد؛ ذلك أن التعرف على مسؤوليات ومهمات كلٍّ من الزوجين قبل الزواج لأمر مهم جداً في نجاح الأسرة وتربية الجيل الصالح.

نسأله تبارك وتعالى أن يسدّد خطانا جميعاً لإنشاء أجيال قياديّة مؤمنة تكون مناراً للإنسانية وممثلّة لقيم الله على الأرض، كما قال تعالى في عباده الأبرار: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾[1].



(١) الفرقان: ٧٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة، للإمام علي عليه السلام.
- الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين عليه السلام.

ومن كتب الأحاديث:

١ ـ صحيح ابن ماجة

٢ ـ صحيح أبو داود

٣ ـ أصول الكافي

٤ ـ بحار الأنوار

٥ ـ صحيح البخاري

٦ ـ تحف العقول

٧ ـ صحيح الترمذي

٨ ـ الشافي

٩ ـ الطبقات الكبرى

١٠ ـ غرر الحكم ودرر الكلم

١١ ـ فروع الكافي

١٢ ـ كنز العمّال

١٣ ـ كنز الكراجكي
١٤ ـ المحجة البيضاء
١٥ ـ مستدرك الوسائل
١٦ ـ صحيح مسلم
١٧ ـ مفاتيح الجنان
١٨ ـ من لا يحضره الفقيه
١٩ ـ منهاج الصالحين
٢٠ ـ ميزان الحكمة
٢١ ـ صحيح النسائي
٢٢ ـ وسائل الشيعة

ومن كتب التفاسير:

١ ـ تفسير الأمثل
٢ ـ تفسير البرهان
٣ ـ تفسير الصافي
٤ ـ تفسير الكاشف
٥ ـ تفسير الميزان
٦ ـ تفسير من وحي القرآن

بقية المصادر والمراجع:

١ ـ أحكام الأسرة في الإسلام، محمد مصطفى شلبي.
٢ ـ الأخلاق البيتية، الاستاذ مظاهري، دار المحجة البيضاء، دار مكتبة الرسول الأكرم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٣ ـ آداب الزواج في الإسلام، هشام قبلان، منشورات بحر المتوسط، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ١٩٨٢م.

٤ ـ آداب ليلة الزفاف، محسن عقيل، دار المجتبى، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥ ـ أدب الدنيا والدين، للماوردي، حققه وعلق عليه: محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦ ـ الإسلام وتنظيم الأسرة.

٧ ـ الإسلام ومشاكل المرأة، الشيخ عبد اللطيف بري. طبع ديترويت. أميركا.

٨ ـ تأملات إسلامية حول المرأة، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ بيروت.

٩ ـ تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، د.علي القائمي، دار النبلاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠ ـ حقوق الزوجية ويليه: حق العمل للمرأة. الشيخ محمد مهدي شمس الدين. المؤسسة الدولية للدراسات والنشر. بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١١ ـ حول مشاكل الأسرة المسلمة في الغرب، المؤتمر السنوي الرابع، للمجمع الإسلامي الثقافي ـ ديربورن ـ أميركا. دار المحجة البيضاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٢ ـ دنيا المرأة، السيد محمد حسين فضل الله، حوار: سهام حمية، إعداد: منى بليبل، ط١، دار الملاك ـ بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م.

١٣ ـ الزواج المبكر في الطب والدين والمجتمع، محمد كاظم، ط٢، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٤ ـ الزواج والعلاقات الأسرية، د.سناء الخولي، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).

١٥ ـ الشباب ومشاكلهم الجنسية، ناصر مكارم الشيرازي، ترجمة: عباس الرضوي، مؤسسة الغدير ـ بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٦ ـ الضاحكون، محمد قره علي.

١٧ ـ الضوابط الاخلاقية، د. الشهيد مطهري.

١٨ ـ طرائف ونوادر من عيون التراث العربي، د. نايف معروف، طبع دار النفائس ـ بيروت، ط٥، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٩ ـ العلاقات الزوجية مشاكل وحلول، السيد علي أكبر الحسيني، تعريب وتعليق: علاء الدين الأعلمي، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ـ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩.

٢٠ ـ فساد العلاقة الزوجية (ولاية الحاكم الشرعي على الطلاق) الشيخ محمد مهدي شمس الدين. المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ طبعة أولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

٢١ ـ فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الشيخ محمد جواد مغنية.

٢٢ ـ الفقه على المذاهب الخمسة، الشيخ محمد جواد مغنية، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ـ إيران، ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٣ ـ الفقه للمغتربين وفق فتاوى المرجع السيد السيستاني، عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم، مؤسسة الإمام علي عليه السلام ـ بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٤ ـ المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد.

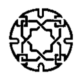
٢٥ ـ المصطفى من أحاديث المصطفى.

٢٦ ـ مفاهيم إسلامية، السيد محمد حسين فضل الله.

٢٧ ـ مفتاح الجنات، السيد محسن الأمين، منشورات دار القاموس الحديثة ـ بيروت (دار الفكر للجميع) ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٢٨ ـ منهاج الصالحين. السيد السيستاني.
٢٩ ـ النظام التربوي في الإسلام، الشيخ محمد باقر القرشي.
٣٠ ـ وهج الفصاحة في أدب النبي ﷺ.

الدوريات:

١ ـ الحسناء النسوية
٢ ـ الحوادث
٣ ـ الشبكة
٤ ـ العصر الإسلامي Islamic Times
٥ ـ المختار
٦ ـ مريم
٧ ـ النساء العصرية
٨ ـ الوعي الإسلامي





الفهرس

الفصل الأول
بناء نواة المجتمع

الفصل الثاني
الخطوبة وعقد القِران

الفصل الثالث
الزواج

الفصل الرابع
حقوق الزوجين وواجباتهما

الفصل الخامس
الخلافات الزوجيّة

الفصل السادس
تربية الأولاد



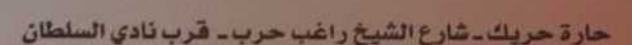
الزواج والأسرة

في الإسلام

كتاب يتناول قضايا الزواج والأسرة وآدابها الدينية والاجتماعية وأساليب التعامل الفضلى لإنجاح العلاقة الزوجية بدءا باختيار الشريك وانتهاءا بتربية الأولاد بإسلوب عصري ودراسة مقارنة وبالرجوع إلى المصادر الإسلاميّة والأكاديمية

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان



ص.ب ، ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف، ٢٨٧١٧٩ / ٠٢ - تلفاكس ، ٥٥٢٨٤٧ / ٠١

E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com